الدكتور علاء الدين كفافي

رعاية نمو الطفل

رعاية نمو الطفل

سلسلة
الثقافة النفسية
(١)

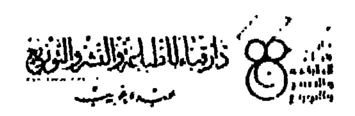
رعاية نمو الطفل

تأليف

الدكتور علاء الدين كفافي

أستاذ ورئيس قسم الإرشاد النفسي

معهد الدراسات والبحوث التربوية ـ جامعة القاهرة



الكتـــــاب : رعايـة نمـو الطفـل

المؤلــــــف : علاء الدين كفافى

تاريخ النشر : ١٩٩٨م

الناشـــــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز ـ عمارة برج آمون

الدور الأول ـ شقة ٦

ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

والمطابـــــع المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

التـــوزيــــــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص.ب : ١٢٢ الفجالة

رقــم الإيـــداع : ٩٨/٤٤٣١

الترقيم الدولـــى : I S B N

977 - 303 - 018 - 0

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾

صدق الله العظيم

(الروم ـ ٥٤)

إهـــداء

إلــى أطفـــال مصـــر

أملهــا فــى غـد مشـرق كـريـم

المحتـــويـــات

الموضوع | ص

الفصل الخامس ١٠٧

النمو العضوى فى المراهقة

الفصل السادس ١٢١

النمو العقلى فى المراهقة

الفصل السابع ١٣٣

النمو الانفعالى فى المراهقة

تصدير

تعتبر الثقافة النفسية هامة وضرورية خاصة ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين. وإذا كان هناك اهتمام من خلال وسائل الإعلام بالثقافة السياسية والثقافة الاقتصادية وغير ذلك مما يساعد البشر على فهم ومعالجة أمور الحياة، فإن الثقافة النفسية لابد أن تأتى فى المقدمة. فمعرفة الإنسان لنفسه وفهمه للآخرين ووعيه بنمو الطفل وتطوره ورعايته تدعو إلى تحقيق السعادة والسواء بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع.

وقد تبنت الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل قضية إصدار سلسلة من المؤلفات تحت مسمى " فى الثقافة النفسية ". تتناول حياة الطفل ونموه والعلاقات الأسرية والانحراف عن السواء وتعلم مفاهيم العلوم والرياضيات فى الطفولة المبكرة وكيفية الوصول إلى مستوى الاتزان النفسى الذى يحقق التكامل والصحة النفسية.

وتتولى دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع مشكورة طباعة ونشر هذه السلسلة إيماناً منها بالدور الذى يجب أن تلعبه دور النشر فى إثراء الفكر والمعرفة.

والكتاب الحالى عن رعاية نمو الطفل هو باكورة هذه السلسلة فى الثقافة النفسية.

د. كاميليا عبد الفتاح

رئيسة الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل

القاهرة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وبعد ،،،

قارئي العزيز

ليس لدينا في حياتنا أعز من أولادنا، ونحن مدفوعين إلى رعايتهم بحكم العاطفة التي تتكون لهم في قلوبنا، ونحن نشبع من خلال هذه الرعاية دوافع الأبوة والأمومة لدينا. هذا من الناحية النفسية العاطفية، أما من الناحية العملية البرجماتية فإننا نرعاهم لأنهم صانعو المستقبل وعدته. ونحن بهذه الرعاية نعمل على تقدم الحياة وتنميتها وترقيتها. والفرع من علم النفس الذي يدرس نمو الطفل وارتقائه هو علم النفس النمائي أو الارتقائي، وهو العلم الذي يرصد ويحلل أثر الزمن على الظاهرة السلوكية، أو بمعنى آخر العلم الذي يدرس أثر سنوات العمر على الإنسان منذ بداية تكوينه كبويضة مخصبة وإلى أن تنتهي حياته. وبذلك فإن المادة التي يقدمها هذا العلم هامة ومفيدة للعديد من المهنيين الذين يتعاملون ـ من خلال مهنهم ـ مع الأطفال، كما في مهن التعليم والخدمة النفسية والخدمة الاجتماعية والطب والتمريض. كما أن المعلومات التي يقدمها هذا العلم مفيدة لنا جميعاً كي نمارس أبوتنا وأمومتنا على أساس صحيح متجنبين أخطاء التربية التي يمكن أن تحدث بنقص المعرفة في معظم الحالات، وإن كانت تحدث بحسن نية في كل الحالات في الاطار السوي .

قارئي العزيز

لقد أدركت القيادة السياسية في مصر أهمية مرحلة الطفولة فخصصت عقد التسعينيات من هذا القرن عقداً للطفل المصري لتحشد فيه كل الجهود وتسخر فيه كل الإمكانيات بهدف تحقيق الشروط والأوضاع التي تكفل أفضل تنشئة لهذا الطفل. وقد انتهزت "الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل" هذه المناسبة واتفقت ـ ضمن خطة نشاطها هذا العام ـ مع دار قباء لنشر سلسلة "في الثقافة النفسية" التي تدور مطبوعاتها حول موضوعات ترتبط بالطفل وكيفية رعاية نموه المتكامل وتحقيق صحته النفسية.

وهذا الكتاب الذى بين يديك ــ قارئى العزيز ــ هو باكورة هذه السلس
ويقدم خلاصة مركزة ومبسطة للتغيرات النمائية التى تحدث للطفل فى كل جوا
شخصيته منذ ميلاده وحتى بلوغه سن الثامنة عشرة حسب ما انتهى إليه قا
الطفل المصرى الذى صدر أخيراً، وأقر بأن مرحلة الطفولة تنتهى بنهاية ال
الثامن عشر. وقد وضع المشرع المصرى هذا القانون تمشيا مع توجهات منذ
الصحة العالمية وما تأخذ به الدول المتقدمة التى تعرف لمرحلة الطفولة قيم
وأهميتها وتوفر لها أرقى الخدمات وأشملها. كما يقدم الكتاب أيضاً الخط
الأساسية والتوجيهات العملية والتطبيقية التى تكفل رعاية نمو الطفل رعاية شا
من حيث أن الكتاب موجه بالدرجة الأولى إلى الآباء والمعلمين ليساعدهم ع
تخير أفضل الأساليب فى التنشئة والتعامل مع الطفل، وتوفير أفضل مناخ لتن
قدراته واستعداداته فى المنزل أو فى المدرسة.

والله من وراء القصد . إنه نعم المولى ونعم النصير

علاء الدين كفافى

نائب رئيس الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل

الباب الأول

الطفـــــولـــــة

الفصل الأول

النمو العضوى فى الطفولة

مقـدمة :

ميلاد الطفل لا يمثل بداية وجوده ونموه، ولكن ميلاد الطفل يأتى به إلى بيئـة مختلفة تمام الاختلاف عن البيئة التى كان يعيش فيها. وإذا كـانت بيئـة الرحـم ثابتـة نسبيا ومهيأة لمعيشته ونموه، فإن البيئة الجديدة ليست كذلـك، بـل تحتـاج تهيئتهـا لـه إلى مجهود من الآباء. كذلك كان الطفل فى مرحلتـه الجنينيـة يعتمـد اعتمـادا كـاملا على أمه فى غذائه وتنفسه والتخلص من فضلاته. أما بعد الميلاد فإنـه يشـارك فـى القيام بهذه المهام، ولم يعد ذلك المخلوق الطفيلى بصورة كاملة كما كان من قبل.

وما أن يولد الطفل فإن عليه أن يواجه ظروف البيئة الجديدة، فعليـه أن يقـوم ببعض العمليات الضرورية كالتنفس والهضم والإفراز والنوم، وأن ينسـق بيـن هـذه العمليات. ويسـتغرق الطفـل الأسبوعين الأوليـن حتـى يقـوم بهـذه الأعمـال بنجـاح. ويعتبر بعض العلماء أن هذين الأسبوعين مرحلة قائمة بذاتها. كما يعتبرها البعض الآخر امتداداً لحياته الجنينية وإن كانت بشكل آخر.

وسنعالج فى هذا الفصل مظاهر النمو العضوى فى الطفولة: من نمو جسـمى ونمو حسى، ونمو حركى، وما يحدث فيها من توافق حس حركى.

أولا : النمو الجسمى فى سنتى المهد

أ ـ الـــوزن :

يغطى جسم الطفل عند ولادته طبقة شـمعية تـزول بعـد سـاعات عـن طريـق امتصاص الجلد لها. ويزن الطفل الطبيعى حوالى ثلاثـة كيلـو جرامـات. وقـد يزيـد عن ذلك، وقد ينقص. وبصفة عامة، فـإن الـوزن إن قـل عـن كيلـو جراميـن احتـاج الطفل إلى رعاية خاصة، وقد تكون فرصته فى مواصلة الحياة ضئيلـة ويلاحـظ أن بعض الأطفال يزن عند الـولادة أربعـة كيلـو جرامـات ونصـف. وتقـل الأنثـى عـن الذكر ببضعة جرامات. وينمو الوليد بسرعة حتى يتضاعف وزنه عند نهاية الشـهر

الرابع، كما يصل ثلاثة أمثال وزنه فى نهاية العام الأول، أى تس
ويصل فى نهاية العام الثانى إلى أربعة أضعاف وزنه أى اثنا عش

ب ـ الطـــول:

يبلغ طول الطفل حديث الولادة ٥٠ سم، ثم يزيد بمعدل ٢
السنة الأولى، فيصل طوله إلى حوالى ٧٤ سم فى نهاية العام الأو
النمو فى السنة الثانية بحيث يزيد فى هذه السنة ١٠ سم فقط، فيكو
العام الثانى حوالى ٨٤ سم.

جـ ـ التسنين:

توجد بذرة الأسنان منذ الشهر الثالث من شهور الحمل، وت
معظم الأطفال فى الشهر السابع من ميلادهم. وتكون السِّنة
الأسنان الأمامية السفلى. وتبكر الأسنان عند بعض الأطفال ا
الخامس كما قد يتأخر ظهورها إلى الشهر الثامن. وظهور الأسنار
الصحية، ولذا لا يكون من حسن حظ الطفل، إذا واجهته هذه الأز
أى قبل الشهر السابع. ويصل مجموع الأسنان للطفل فى نهاية
أسنان. ويأخذ عدد الأسنان فى الازدياد، وتظهر الأنياب قرب
الذى ينتهى ولدى الطفل ١٦ سنةً تقريباً.

د ـ النـــوم :

الطفل حديث الولادة يقضى ما يقرب من ٨٠٪ من وقته
فرصة طيبة لتنمو خلايا جسمه دون استنفاذ للطاقة التى يفقدها وه
الساعات العشرين فى التناقص مع نمو الطفل. ويبدأ التناقص فـ
وتبقى ساعات الليل كما هى. كما يقل النوم المتقطع ليلا ويكاد يقت
النهار. ويتأثر نوم الطفل إلى حد كبير بعادات الأسرة ونظامو
الطفل إلى نهاية عامه الثانى تبلغ ساعات نومه خمس عشرة ســ
حالت بعض الظروف بين الطفل وبين أن ينام ساعات نومه المطلـ
الطفل ويؤثر على سلوكه تأثيراً واضحا.

ثانيا: النمو الحركى فى سنتى المهد

تظهر فى النمو الحركى المبادئ والمميزات العامة للنمو النفسى أوضح ما تظهر فى أى جانب آخر من جوانب النمو كما سنرى. ويحتل النمو الحركى مركزاً هاما بين ظواهر النمو النفسى لما لـه من أثر على بقية الجوانب الأخرى. وأهم مظاهر النمو الحركى فى هذه المرحلة هو المشى الذى يكسب الطفل الاستقلال المكانى عن أمه ويجعله أكثر تحرراً، ويعطيه الفرصة للتجول واستكشاف كنه البيئة التى يعيش فيها.

يتحرك الطفل منذ أن يولد، ولكن حركته عشوائية، وفى كل اتجاه، ولا يكون لها هدفا محددا، ولكن مع النمو تبدأ هذه الحركات فى التكامل حتى تصل إلى هدف النمو الحركى وهو التحكم فى العضلات المختلفة فى انقباضها وانبساطها وتوافقها حتى يستطيع أن يؤدى العمل الذى يريده، أو ليكتسب المهارة التى يسعى إلى إتقانها. والملامح الرئيسية للنمو الحركى يمكن إبرازها فى الخطوات الآتية، مع ملاحظة أن قوانين ومبادئ النمو ومستويات النمو الحركى تتمثل فى هذه الخطوات:

١ ـ الوضع المعتاد للطفل فى الشهور الثلاثة الأولى هو وضع الاستلقاء على الظهر مع حركة مستمرة لليدين والقدمين وقت اليقظة. وتكون هذه الحركات عشوائية، وحسب المثيرات التى يتعرض لها الطفل. ويكون لهذه الحركات هدف التسلية. وقد يحاول الطفل أن يأخذ وضع الرقاد على أحد جنبيه، وقد ينقلب على وجهه أثناء هذه المحاولات.

٢ ـ عندما يبلغ الطفل الشهر الرابع يكون فى استطاعته أن يتحكم فى عضلات رقبته بحيث يحتفظ برأسه منتصبة، وليست ملقاة على كتفه أو كتف من يحمله، وهذه المهارة يستطيعها معظم الأطفال فى الشهر الثالث. وعندما يكتمل الشهر الرابع تقوى عضلات ظهره بحيث يكون فى إمكان الطفل أن يتخذ وضع الجلوس. ويظل جالسا فترة إذا أحيط بما يسنده، ويمكن أن يحرك يديه ورجليه بحرية فى هذا الوضع.

٣ ـ عندما يصل الطفل الشهر السابع يستطيع أن يجلس بمفرده بدون مساعدة من أحد، بل ويمد يده ليلتقط مكعبا بجواره ولا يختل توازنه إلا نادراً.

٤ ـ فى نهاية الشهر التاسع يمكنه أن يتخذ وضعا يكون لـه دور هام فى تطوره الحركى، ألاَ وهو وضع الحبو، حيث يسير الطفل على أربع. ولكنه ليس من

الضرورى أن يمر كل طفل بمرحلة الحبو هـذه. ويلاحظ أن الأطف
يَحْبون فترة من الزمن تكون سيطرتهم على مهارة المشى أسرع من
الذيـن يتعلمـون الوقـوف والمشـى مباشـرة دون المـرور
الحبو هذه.

٥ ـ وفى نهاية السنة الأولى يستطيع الطفل أن يقف بمساعدة أحد الكبار و
يخطو بعض الخطوات إذا كان ممسكاً بأحد المناضد، كما يمكنه
السن تقريباً أن يتسلق درجات سلم غير عالية ومتسعة.

٦ ـ فى بداية العام الثانى وعند بلوغه الشهر الثالث عشر أو الرابع عشر
الطفل أن يقف بمفرده ويحاول أن يخطو خطواته الأولى.

٧ ـ يتمكن معظم الأطفال من تعلم المشى عند بلوغ الشهر الثالث من العا

٨ ـ هناك فروق فردية كبيرة فى هذه الناحيـة ـ فهناك من الأطفال من
على مهارة المشى باكتمال العام الأول، كما إن البعض يتأخر إلى
العام الثانى، وقد لا يرجع هذا التأخر إلى أسباب عضوية ظاهرة،
هذا البعض المتأخر من الأطفال يستطيع فى غضون أسبوع أو أسـ
يجيد المشى وأن يلحق برفقائه ممن تعلموا المشى قبله بشهور، ور
لتغذية الطفل ولتدريبه على المشى دخل فى تحديد الموعد الذى
الطفل المشى.

ثالثا: النمو الحسى فى سنتى المهد

أ) البصـر :

تنضج العين تشريحيا فى منتصف فترة الحمل تقريبا، وتكـون جـاه
منذ الولادة، ولكن على نحو بدائـى جدا. حيث لا تكون حركة حدقتى
متفقتان، ولكن هذه الظاهرة تنتهى بعد أسبوع أو أسبوعين. وتستجيب العين
الحدقة إذا وجه إليها ضوء. ومع ارتقائه درجة فى سلم النمو يستطيع الولي
نقطة ضوء متحركة بتحريك حدقـة العينيين فقط بعد أن كان يحرك ر أ
ولكن المدى البصرى لا يزال قصيراً نظراً لأن نضج الشبكية لا يتـ
منتصف العام الأول. وبداية من الشهر السابع تتحسن رؤية الطفل، ويه
ينسّق بين الحس والحركة، أى أنه عندما يرى شيئاً يمد يده إليه ليمسكه.
يحقق التناسق الحس حركى، وهذا التناسق هو بدايات النمو العقلى.

ب) السمـــع :

يولد الطفل وأذنيه تكاد تكون عاطلة عن العمل، الأرجح أن السـبب فـى ذلـك هـو وجـود مـواد مخاطيـة تمـلأ الأذن الوسـطى، ولكنهـا تـزول بعـد فـترة. والطفـل يستجيب للأصـوات العالية المفاجئة بحركة انتفاضية مـن جسـمه. كمـا أنـه يسـتجيب للأصوات الموسيقية والمنغمة بغلق عينيه. وقد أثبتت البحوث الحديثة أن الطفل لديه فى هذه السن المبكرة القدرة على التمييز بين النغمات.

جـ) اللمس والشم والذوق:

وهى ما تسمى بالحواس الدنيا، وتكون جـاهزة للعمـل مباشـرة بمجـرد مـيلاد الطفل. فالطفل منذ البداية يستطيع أن يميز بين الروائـح الطيبـة والروائح الكريهـة، ويعبر عن ذلك بالانفراج أو بالتقلصات فى عضلات وجهه . أما اللمس فـإن الطفـل يستطيع عن طريق حساسية جلده أن يحس بالسخونة والـبرودة والضغـط وبالنسـبة للذوق فإن الطفل يميِّز بين الطعوم المختلفة، خاصة الحلو والمالح ويظهر ذلك علـى تعبيرات وجهه أيضاً. أما الحساسية للألم فإنها تنمو سريعاً منذ الأيام الأولـى لمولـد الطفل، وإن كانت تبدو منعدمة فى هذه الأيام الأولى، ولذا تعمد الأمهـات إلـى ثقـب صـرصـور أذن الطفلة دون أن يسبب ذلك لها ألما.

رابعاً: النمو الحس حركى
فى الطفولة المبكرة (٣ ـ ٦)

يبلغ طول الطفل فى أول العام الثـالث حوالـى ٨٥ سم، كمـا يبلـغ اثنـا عشـر كيلو جراما فى الوزن. ويكون معدل النمو فى الجزء الأسفل من الجسـم أعلـى مـن معدل النمو فى الجزء الأعلى منه. فيزداد طول الرجلين بينما لا يزيد قطـر الـرأس الطولى كثيراً. أما من الناحية الحسية فإن حواس الطفل تعمـل بصـورة طبيعيـة فـى الفترة السابقة كما رأينا. أما حاستى البصر والسمع فإن نموهمـا يسـتمر طـوال هـذه المرحلة حتى يكتمل فسيولوجيا ووظيفيا فى بداية المرحلة التالية من النمـو، أى فـى سن السابعة أو الثامنة ومن الناحية الحركيـة نجد أن الطفـل يسـيطر سـيطرة كاملـة على مهارة المشى، ونـراه فـى الثالثـة يسـرع فـى خطـاه فرحـا بقدرتـه علـى السير بسرعة بل إنه يجرى إذا كان يلعـب مـع أحد أصحابـه أو يجـرى وراء كـرة مثـلا، ويستطيع فى الرابعة أن يقفز ويتسلق. ويكون لدى الطفل طاقة كبيرة يصرّفهـا فـى الجرى والقفز ، وقد يضيق الكبار بالضوضاء التى يحدثها. مع ملاحظة أن كل هذه

الحركات من النوع الذى يستخدم العضلات الكبيرة فى الجسم مثل عضلات الكتفين والفخذين والساقين، أما الحركات التى تستخدم العضلات الدقيقة، مثل أشغال الإبرة التى تستخدم عضلات أصابع اليد، ومثل قص الأوراق واللعب بالصلصال فإن الطفل لا يجد فيها متعة كبيرة. وإذا بدأ نشاطا من هذا النوع فسرعان ما ينصرف عنه.

خامساً: النمو الجسمى
فى الطفولة المتأخرة (٦ ـ ١٢)

يمكن أن نحدد أهم ملامح النمو الجسمى فيما يأتى:

١ ـ هذه المرحلة مرحلة نمو بطئ فى الناحية الجسمية يقابلها نمو سريع فى بقية الجوانب الأخرى. ويظهر بطء معدل النمو الجسمى فى هذه المرحلة إذا قورن بالمرحلتين السابقتين (مرحلة سنتا المهد ومرحلة الطفولة المبكرة ٣ ـ ٥) ويبدو ذلك واضحاً فى الجدول الآتى:

العمر بالسنوات	نسبة النمو
٢	يحقق الطفل ٢٥٪ من النمو العام
٤	يحقق الطفل ٤٠٪ من النمو العام
٦	يحقق الطفل ٤٢٪ من النمو العام
٨	يحقق الطفل ٤٥٪ من النمو العام
١٠	يحقق الطفل ٥٠ ٪ من النمو العام
١٢	يحقق الطفل ٥٨٪ من النمو العام

نسبة النمو فى الأعمار المختلفة

وبقراءة الجدول يتضح أن الطفل فى السنوات الأربع الأولى يحقق ٤٠٪ من نموه العام، بينما لا يحقق إلا ١٦٪ من نموه فى مرحلة الست سنوات من سن السادسة حتى سن الثانية عشرة. ونلاحظ انخفاض معدل الزيادة كلما اتجهنا إلى نهاية المرحلة باستثناء سن الثامنة التى يحدث عندها ذبذبة طفيفة. ومعظم التغيرات الجسمية التى تحدث فى هذه المرحلة هى تغيرات تتعلق بنسب أجزاء الجسم أكثر

ما تتعلق بحجم الجسم ككل. ويحدث النمو فى النصف الأسفل من الجسم بصورة أكبر مما يحدث فى النصف الأعلى منه.

٢ ـ أما بالنسبة لنمو الطول فإنه يزيد بنسبة ٥٪ فى السنة بينما يزيد الوزن بنسبة ١٠٪ وتستمر هذه النسب إلى نهاية المرحلة تقريبا، إلى أن يحدث البلوغ فترتفع النسبة ارتفاعا عاليا. وفى الجدول الآتى معايير الطول والوزن المصرية كما انتهت إليها إدارة الصحة المدرسية بوزارة التربية والتعليم لكل من البنين والبنات:

السن	الجنس	الطول (سم)	الوزن (كجم)
٦	بنون	١١٠,٧	١٩,٣
	بنات	١٠٩,٨	١٨,٨
٧	بنون	١١٧,٥	٢١,٦
	بنات	١١٥,٦	٢٠,٨
٨	بنون	١٢٢,٨	٢٤,١
	بنات	١٢٢,٦	٢٤,٧
٩	بنون	١٢٩,٩	٢٥,٧
	بنات	١٢٦,٤	٢٥,٨
١٠	بنون	١٣٩,٣	٢٧,٤
	بنات	١٣٠,٧	٢٧,٨
١١	بنون	١٣٥,١	٢٩,٧
	بنات	١٣٥,٦	٣٠,٦
١٢	بنون	١٣٩,٥	٣٢,٠٠
	بنات	١٤١,٥	٣٤,١

ويظهر من دراسة هذا الجدول أن البنين يزيدون زيادة طفيفة فى الطول عن البنات حتى سن العاشرة ثم يحدث العكس، فيزيد طول البنات فى العامين الأخيرين فى هذه المرحلة. وبالنسبة للوزن فإن البنين أيضاً يكونون أثقل وزنا بفارق بسيط ثم تنقلب الآية فى العام الثامن ليزيد وزن البنات على وزن البنين. وتستمر الزيادة فى الطول والوزن لصالح البنات إلى نهاية المرحلة. وتغلّب البنات على البنين فى

الطول والوزن يتمشى مع التغيرات الأساسية للنمو عند كلاً من الجنسين، حيث يحدث البلوغ عند البنات قبل أن يحدث عند البنين بعام كامل على الأقل.

٣ ـ تتمثل الزيادة فى الوزن عند البنين بالدرجة الأولى فى بناء النسيج العضلى، بينما تتمثل هذه الزيادة عند البنات فى الدهن الجسمى.

٤ ـ تتساقط الأسنان اللبنية ويظهر بدلاً منها الأسنان الدائمة وتظهر الأنياب الأربعة فى سن السادسة وهى أنياب مؤقتة يحل محلها أنياب أخرى فى نهاية المرحلة. ويتوالى ظهور القواطع والأضراس إلى أن يكتمل نمو الأسنان.

سادساً: النمو الحسى والحركى فى الطفولة المتأخرة

١ ـ تنمو حاسة اللمس نمواً كبيراً، حتى أن الطفل فى هذه المرحلة يتفوق على الراشد الكبير فى هذه الناحية. وهى عند البنات أقوى منها عند البنين.

٢ ـ لا يكون سمع الطفل قد وصل إلى غاية نضجه فى أول المرحلة، رغم النمو المستمر لقدرة الأذن على التمييز بين الأصوات. ولكن الطفل يتذوق الموسيقى ويطرب للألحان التى يسمعها. وتصل الأذن فى السابعة إلى درجة كبيرة من النضج تسمح للطفل بأن يميّز بين نغمات السلم الموسيقى.

٣ ـ كذلك يتأخر نضج حاسة الإبصار مثل حاسة السمع. حيث يكون حوالى ٨٠٪ من الأطفال قبل سن السابعة مصابون بطول النظر يقابلهم حوالى ٢٪ أو ٣٪ مصابون بقصر النظر. ولكن طول النظر هذا يزول تلقائيا مع النمو، فى الوقت الذى تزيد فيه نسبة قصر النظر، ولكنه يزول أيضاً وتصل العين كحاسة إبصار إلى غاية نضجها فى هذه المرحلة.

٤ ـ أما بالنسبة للحاسة العضلية ـ وهى حاسة التمييز بين الأوزان بالاعتماد على العضلات ـ فإنها تنمو نمواً كبيراً فيما بين سن السابعة وسن الحادية عشرة. وإن كان المعروف أن الطفل يميل إلى استخدام العضلات الكبيرة فى جسمه أولاً، كعضلات الساقين والذراعين، بينما يتأخر نمو العضلات الدقيقة مثل عضلات الأنامل، وبالتالى تتأخر قدرة الطفل على القيام بالأعمال التى تتطلب استخدام هذه العضلات. ولكنه فى النصف الثانى من هذه المرحلة يبدأ الطفل

فى استخدام العضلات الدقيقة ـ بعد نضجها ـ بلذة وشغف. وتميل البنات إلى القيام بالأعمال المعتمدة على العضلات الدقيقة أكثر من الأولاد كأشغال الإبرة والتريكو وقص الورق.

٥ ـ تظهر بوضوح الفروق بين الجنسين فى الناحية الحركية فى لعب كل من البنين والبنات فى هذه المرحلة. فألعاب البنين تتصف بالخشونة وتتسم بالتعبير العضلى مثل كرة القدم "وعسكر وحرامية" "واستغماية". أما ألعاب البنات فتتسم بالدقة والتناسق فى الحركات والتوافق الحركى مثل الرقص الإيقاعى و "ونط الحبل" والحجلة".

٦ ـ لا يمكن أن نترك الحديث عن النمو الحركى فى هذه المرحلة قبل أن نشير إلى حالة خاصة فى هذه الناحية وهى حالة الطفل الأعسر أو (الأشول) الذى يفضل استخدام يده اليسرى أكثر من يده اليمنى. نلاحظ أن الأغلبية تستخدم اليد اليمنى فى الكتابة والتحية والأكل، ولكن هناك أقلية تستخدم اليد اليسرى وقد يزعج هذا الاختلاف بعض الآباء أو المعلمين ومن ثم نجدهم يحاولون بشتى الطرق تحويل الطفل عن استخدام يده اليسرى إلى استخدام اليد اليمنى. ومهما كان الأمر فإن ما يهمنا هو أن حالة الطفل الأعسر لا تستحق الانزعاج، ولا يجب أن ينظر إليها باعتبارها ظاهرة شاذة. ويجب ألا نقسر الطفل أو نجبره بالقوة على استخدام اليد اليمنى، إذا لم يستطع استخدامها بسهولة ويسر، لأن هذا القسر لن يفلح غالبا فى تحقيق هذا التحول، كما أنه سيسبب للطفل اضطرابات سيكولوجية تظهر على صورة التهتهة والخوف والانطواء.

سابعاً: رعاية النمو العضوى فى الطفولة

أ ـ فى سنتى المهد :

أ / ١ فيما يتعلق بالنمو الجسمى :

أ / ١ / ١ ـ يجب تنظيم أوقات رضاعة الطفل بحيث تكون فى الشهور الثلاثة أو الأربع الأولى كل ٣ ساعات. ويمكن أن تكون كل ٤ ساعات بعد ذلك. وتنظيم الرضاعة ينظم عملية الهضم، ويعوّد أجهزة الهضم أن تعمل بانتظام، وتجنبه المغص والمتاعب المعوية. ولكن ليس معنى ذلك أن تلتزم الأم حرفيا بالفترة التى بين الرضعات:

فلا يجب مثلا أن توقظ الطفل إذا حانت ساعة رضاعته، كما لا يجب أن تترك الطفل يبكى جوعا لأن موعد رضاعته لم يحن بعد، كما يجب ألا تنسى الأم ـ خاصة فى الشهور الثلاثة الأولى ـ أن تعطى للوليد فرصة إخراج الهواء من بطنه "بالتكريع" عن طريق حمله فى الوضع الرأسى مع الربت على ظهره.

أ / ١ / ٢ ـ فى هذه الفترة يتعلم الطفل أن يتحكم فى عمليتى التبول والتبرز وهما عمليتان على جانب عظيم من الأهمية من الناحية النفسية للطفل لأنها تؤثر على نظرة الكبار نحو الطفل. ففى حالة تأخره فى تعلم هاتين العادتين ينال الطفل معاملة سيئة تنعكس على فكرته عن نفسه. ويرتبط تعلم الطفل لهذه العادات بالحالة الصحية والجسمية عند الطفل. فقدرة الطفل على التحكم فى التبول تعتمد على درجة سلامة جهازه البولى، وقدرته على التحكم فى عملية التبرز تعتمد على قوة عضلاته الهاصرة فى فتحة الشرج.

ومما يزيد من دقة الموقف وتعقيده أن الأمر يتعلق بالحالة الانفعالية عند الطفل. فكم من طفل سليم البنية وقد تعلم بالفعل ضبط مثانته ثم نجده يتبول على نفسه ليلا، وأحيانا نهاراً، عندما يواجه بعض المواقف الضاغطة أقوى من إمكانياته وقدراته. كل هذا يجعلنا نوصى الآباء بأن يكونوا على جانب كبير من الحكمة والصبر فى تعليم الطفل هذه العادات. وبصفة عامة فإن التبكير الشديد فى التعليم ضار كما أن الشدة والقسوة مع الطفل فى حالة الفشل ضارة أيضاً. وعلى الأم أن تعوّد طفلها منذ الشهر الرابع أن يجلس على "القصرية" بعد الرضاعة حتى ولو لم يتبول فيها لأن ذلك سيعلمه أن يربط بين الرضاعة من ناحية وعمليتى التبول والتبرز من ناحية أخرى، وينظم أوقات التخلص من الفضلات مع أوقات الرضاعة، على ألا تنتظر الأم أن يتقن الطفل هذه العادات قبل العام الأول. ومالم يكن هناك عيوب جسمية أو عوامل نفسية تعوق تعلم الطفل، فإنه يتعلم هذه العادات فى سنتى مهده.

أ / ١ / ٣ ـ يجب توفير الجو المناسب لنوم الطفل من ناحية الهدوء والإظلام، حيث أن ساعات النوم هامة جداً للطفل لسلامة صحته الجسمية وصحته العصبية. ويجب أن يجد الطفل ما يساعده على النوم المريح الهادئ عندما يريد أن ينام .

أ / ١ / ٤ ـ تحدث عملية على جانب كبير من الأهمية فى هذه المرحلة، ألا وهى الفطام والفطام عملية هامة لأنها من علامات نضج الطفل، واعتماده على نفسه نسبيا، وبالتالى انفصاله عن أمه. فبقدر ما يحدث الاعتماد على النفس يكون الانفصال عن الأم والاستقلال بالذات عن الآخرين. ويرى أصحاب مدرسة التحليل النفسى أن سلوك الوالدين مع الطفل إزاء موقف الفطام وموقف ضبط التبول وضبط التبرز يشكل أهم العوامل المؤثرة فى تكوين شخصية الفرد فيما بعد. ونحذر الأمهات هنا من التبكير أو التأخير فى عملية الفطام. ونهاية العام الأول وبداية العام الثانى وقت مناسب لعملية الفطام. وأهم من وقت الفطام هو الأسلوب الذى تتبعه الأم فى فطام طفلها. والأسلوب الصحيح هو أن يتم الفطام بالتدريج بمعنى أن على الأم أن تعود طفلها عند بلوغه الشهر الخامس على تناول بعض الوجبات المناسبة له عن طريق الملعقة. على أن ـ تحل هذه الوجبات بالتدريج محل الرضعات من الثدى، حتى إذا انتهى العام الأول يمكن للأم أن تمنع الثدى عن الطفل دون أن تسبب ازعاجا له أو توقعه فى الصراع، أما الأسلوب الذى تلجأ إليه كثير من الأمهات بوضع مادة مرة على أثدائهن، أو إبعاد الطفل عند أقاربه، فهو أسلوب غير مناسب حيث يتضمن صدمة نفسية أليمة للطفل. لأن الطفل فى ظل هذا الأسلوب يُمنع من الثدى فجأة وبدون ذنب أو جريمة، والثدى بالنسبة له فى هذه السن هو رمز للغذاء والدفء والحنان والرعاية. وحدوث هذه الخبرة للطفل فى الوقت الذى لم يدرك فيه بعد مغزى ما يحدث ولا يملك المحصول اللغوى ليعبر عن نفسه ترسّب فى أعماقه شعوراً بأن الدنيا لا أمان لها، وأنه عليه أن يتوقع السوء من آن لآخر.

أ / ٢ ـ فيما يخص النمو الحس ـ حركى:

أ / ٢ / ١ ـ أهم مظاهر النمو الحركى فى هذه السن هو تعلم الطفل مهارة المشى. والمشى كما بيّنا مهارة معقدة، وهى تتويج لعدد كبير من المهارات الحركية السابقة عليها. وأى تأخير فى إتقان هذه المهارات السالفة يؤخر مشى الطفل.

ومن هنا يجب ألا يتعجل الآباء مشى الطفل. حيث أن الأمر يعتمد ـ كما في اكتساب كل العادات ـ على النضج والتعلم معا، والنضج يأتى أولاً. ويكون الطفل مهيئاً لتعلم المشى ـ تقريباً ـ عند الشهر العاشر. وعليه فإن التبكير فى تعليم الطفل قد يأتى بنتيجة عكسية. وعلى الآباء أن ينتظروا سن النضج حتى يبدأوا التدريب.

أ / ٢ / ٢ ـ تعمل معظم الحواس فى هذه المرحلة. ويجد الطفل لذة فى استخدام حواسه ولذا فإن الآباء عليهم أن يحيطوا الطفل بكل ما يثير حواسه للعمل. حتى يمكنه أن يدرّب حواسه وهو يلعب. وأفضل مثل على ذلك اللعب الملونة من البلاستيك والمطاط.

أ / ٢ / ٣ ـ يجب العناية بنظافة الطفل وأخذه إلى الحمام باستمرار، والتأكد من أن يديه نظيفة لأنه يضعها فى فمه وعلى عينيه.

ب ـ فى الطفولة المبكرة:

ب / ١ ـ العناية بصحة الطفل الجسمية والتأكد من أنه أخذ كل التحصينات ضد الأمراض المختلفة.

ب / ٢ ـ عدم خلع الأسنان اللبنية وتركها حتى تسقط وتنمو مكانها الأسنان الأصلية حتى لا يتشوه الفم.

ب / ٣ ـ مساعدة الطفل على أن يكوّن عادات نوم صحيحة بأن نُعوده بقدر الإمكان على ساعة معينة للنوم، وعلى الذهاب إلى الحمام وعلى تنظيف اسنانه قبل النوم، وتوفير الهدوء والتهوية الجيدة لمكان النوم. وإذا خاف الطفل من الظلام يمكن أن تترك الحجرة مضاءة. ومن يخشى من بعض المخاوف يجب أن ترقد بجانبه أمه بعض الوقت وتضمه إلى صدرها وتطمئنه وتحكى له بعض القصص المسلية، وسوف يترك ذلك أثراً طيبا فى نفسه ويسلمه للنوم هادئا مستريحا.

ب / ٤ ـ تنظيم مواعيد أكل الطفل ومحاولة ربطها بنظام الأكل فى الأسرة فالطفل فى المرحلة السابقة كان يتبع نظاما خاصا به، ولكنه فى هذ المرحلة قد فطم وبدأ يأكل كما يأكل الكبار. ولكن ليس معنى ذلك أن يبقى الطفل بدون أكل ولو كان جائعا، إذا كان موعد الأكل لم يحن بعد إنما المقصود أن يتعود تناول الطعام مع الأسرة وأن يعمل حساب ذلك

إذا قدمت لـه الأم بعض الأكـل بين الوجبـات، لأن جلوس الطفل مـع الأسرة عند الأكل يعلمه كثير من العادات السلوكية والشخصية الهامة.

ويجب أن تعوّد الأم طفلها على أن يـأكل الأطعمـة وبدون ضغط، لأن الضغط أو القسر وإجباره على تناول طعام معين قد يأتى بنتيجة عكسية ويجعله يعاف هذا الطعام، وكلما زادت الأم فى ضغطها على الطفل بعد الطفل عن الطعام وكرهه. وحتى لو نجحت الأم في جعل الطفل يتنـاول بعضه بالإرغام، فإنه يكون قـد كره هذا الصنف طـوال حياتـه. وأمـام حالات رفض الطفل لبعض الأطعمة يمكن للأم بالتشجيع وتوضيح قيمـة الصنف فى بناء الجسم الصحيح، وتقديمـه لـه وهو جـائع بدون تقديم الأطعمة الأخرى التى يحبها، يمكن أن تنجح فى حمل الطفل على تناوله طواعية وتعود تناوله بعد ذلك.

ب / ٥ ـ التأكد من سلامة حواس الطفل خاصة السمع والبصر ـ مع ملاحظة أن ٨٠٪ من الأطفال فى هذه المرحلة مصابون بطول النظر ـ فالطفل قد يعانى ضعفا فى هاتين الحاستين خاصـة البصر دون أن يعرف الآباء هذا الضعف لأنـه لم يقف فـى مواقف تكشـف هذا الضعف ويجـب اكتشاف أى ضعف أو قصـور فـى وقت مبكـر حتـى يفيد العـلاج لأن كثيراً من الأمراض إذا اكتشفت متأخرة يصعب علاجها .

ب / ٦ ـ إتاحة الفرصة للطفل لينشط ويلعب ويعبر عن طاقته الجسمية والحركية بحريـة. لأن ذلـك يرتبط ارتباطـا وثيقـا بالشـعور بالراحـة والسـعادة والهدوء. ولذلك نجد أن الأطفال إذا أعيقت حريتهم فـى الحركـة يبـدون أقصى مظاهر الغضب والحنق والعنـاد. وإذا كـانت البيوت لا تسمح للأطفال بالتعبير عن نشاطهم بحرية فـإن الفرصـة تتوفـر فـى الحدائـق العامة والنـوادى ودور الحضانـة. ومـن مسئولية الدولـة أن توفـر هـذه الأماكن. والدول المتقدمة تنشئ الحدائق العامة الخاصة بالأطفال والتـى تزود بكل لعب الأطفال مثل المراجيح والزلاقـات والأحصنـة وغيرهـا من الأدوات والأجهـزة التـى تمكن الطفل مـن ممارسـة الألعـاب التـى يرغبها. وكذلك فـإن دور الحضانـة تقوم بـدور هـام فـى هـذا المجـال، ويجب العمل على تعميمها بالجهود الحكومية أو الشعبية. ولا نقصد هنا بالحضانة مجـرد المكـان الـذى تضـع فيـه الأم طفلهـا فترة غيابهـا فـى العمل، وإنما نقصـد بالحضانـة ذلك المكـان الـذى يهيئ للطفل فـرص تنمية حواسه وإدراكه، وإتاحة وسط اجتماعى ينشط فيه الطفل.

جـ ـ فى الطفولة المتأخرة :

ج /١ ـ يجب أن يتاح للطفل فرصة التعبير عن نشاطه الجسمى، خاصة البنين الذين يجدون لذة كبيرة فى ممارسة الألعاب ذات التعبير العضلى العنيف ويشعرون بالضيق الشديد إذا أعيقت حريتهم فى الحركة. فالطفل فى هذه السن طفل متحرك يتعلم وهو يلعب. ولذلك يجب توفير المكان والوقت المناسبين للأطفال لكى يعبرون عن طاقتهم الجسمية والبدنية والأطفال الذين لا يبدون تحمسا ولا مشاركة فى اللعب هم أطفال يعانون تعثرا فى النمو ويستحقون المساعدة. وبالنسبة للبنات فهن يرغبن فى أداء الأعمال الدقيقة كأشغال الإبرة والتريكو، ويجب أن تتاح لهن الفرصة لذلك. علما بأن مناهج المدرسة الابتدائية تحوى دروسا للتربية الرياضية للتلاميذ من كلا الجنسين كما تحوى دروسا فى التربية الزراعية للبنين وفى التدبير المنزلى للبنات.

ج / ٢ ـ حاسة اللمس والحاسة العضلية تصلان إلى قمة النضج فى هذه المرحلة. ولذلك يجب أن تكون الوسائل التعليمية فى المدرسة الابتدائية مجسمة بقدر الإمكان حيث يستطيع الطفل أن يلمس هذه الوسائل بجانب رؤيتها ويأخذ عن طريقها فكرة أقرب إلى الدقة والواقع. فالخريطة المجسمة أفضل من الخريطة المسطحة، ونموذج القلب أو العين والذى يمكن أن يفكه الطفل ويتعرف على ما بداخله أفضل من الرسومات المسطحة مهما بلغ إتقانها، حيث أن البعد الثالث يتحقق فى الوسائل المجسمة، وكلما استغلت الوسيلة حواسا أكثر زادت قيمتها التربوية.

ج / ٣ ـ يتغير بصر الطفل عند سن السابعة بصورة واضحة. ويجب أن يكون الآباء والمعلمين على علم كامل بهذه الناحية حيث أن عدداً كبيراً من الأطفال قبل السابعة يعانون من طول النظر. ويزول بعد ذلك تلقائيا. وهذا يدعو الآباء والمدرسة معا إلى الكشف سنويا على قوة إبصار الأطفال الذين يلبسون نظارات طبية من الصغر، حيث أن البصر تكوينياً وداخليا يتغير ولذلك يجب التأكد من قوة الإبصار دائما وملائمة النظارة.

ج / ٤ ـ نؤكد مرة ثانية أنه فى حالة الطفل الأعسر لا يجب أن يضغط الآباء عليه لاستخدام يده اليمنى. وهذا التحذير يقدم أيضا إلى المعلمين لأن ذلك يرجع إلى أسباب خارجة عن إرادة الطفل. وغالبا ما يتعذر إحداث تغيير فى هذه الناحية، ولن يفلح الآباء إلا فى بث الخوف والاضطراب فى نفس الطفل ودفعه إلى مزيد من السلوك الشاذ.

الفصل الثانى

النمو المعرفى فى الطفولة

القسم الأول: النمو العقلى

أولاً : بدايات النمو العقلى

يولد الطفل ومعظم حواسه جاهزة للعمل ــ باستثناء البصر والسمع اللذان يتأجل اكتمال نضجهما، وبالتالى يتأخر أدائهما لوظيفتهما كاملة إلى سن متأخرة. ويلاحظ أن هذه الحواس تعمل كل منها فى استقلال عن الأخرى فى البداية، ولكن مع تقدم الطفل فى مدارج النمو يبدأ نوع من التناسق أو التوافق بين عمل هذه الحواس، بحيث تؤدى كل منها دورها فى خدمة الكائن، وفى تسهيل مهمة تكيفه فى البيئة التى يعيش فيها.

ويستدل علماء النفس من درجة التوافق الحس حركى عند الطفل على درجة ذكائه، فإذا أظهر الطفل قدرة طيبة على التوافق دل ذلك على ارتفاع نسبة ذكائه. والعكس صحيح فإن من يتأخر لديه هذا التوافق ــ مالم يرجع إلى ضعف فى الحواس ــ كان هذا مؤشراً لانخفاض ذكائه. مع ملاحظة أن التوافق الحس حركى لا يصل إليه الطفل إلا بعد محاولات عديدة من الصواب والخطأ.

ثانياً: معالم النمو العقلى

فى الطفولة المبكرة

يحدث تطور كبير فى الجانب العقلى للطفل فى هذه المرحلة، فلم يعد النشاط العقلى فى مرحلة الطفولة المبكرة قاصراً على الإدراكات الحسية وما يتبعها من سلوك حركى، وإنما تظهر بعض العمليات العقلية العليا. وسيقتصر حديثنا على مظهرين من مظاهر النمو العقلى فى هذه المرحلة هما: التخيل وإدراك الزمن.

التخيـل:

بعد أن كانت العملية العقلية العليا التى يمكن أن نتبينها بوضـوح عند الطفل فى سنتى مهده هى التذكر نجد أن العملية العقلية العليا التى تسود فى هذه المرحلة هى التخيل. وهناك فرق بين التذكر والتخيل، فـالتذكر هـو استرجاع خبرة مرت بالفرد، أما فى التخيل فإن الفرد يضيف مـن عنـده إلـى الواقـع. والتخيل لـه أساسـه الحسى أيضاً. والتخيل فى هذه المرحلة تخيل بصرى بمعنى أنه يعتمد على الصـور البصرية. وهذا النوع من التخيل يختلـف عـن التخيـل الـذى سيسود فـى المراحل التالية، وهو التخيل المعتمد على الألفاظ وليس علـى الصور البصرية. وانبثاق قـدرة التخيل عند الطفل دلالة على صعوده درجة فى سلم النمو العقلى.

والطفل عندما يتخيل، فإنه يبدأ من الواقع ولكنه يضيف إليـه مـن عنـده، فـإذا رأى سيارة تصدم شخصا وتلقيه أرضا فإنه يروى للآخرين أنـه رأى سيارة تصـدم شخصا فإذا بالشخص يطير فى الهواء ليسقط فوق إحدى الأشجار. وهذه الخاصية ـ خاصية التخيل تؤثر فى لعب الطفل. ويسمى لعبه فى هذه السـن "اللعـب الإيهامى"، وهو أن يتخيل نفسه أثناء لعبه قائد طائرة إذا تجول فى حجرتـه، وإذا وضـع بعـض المكعبات بعضها فوق بعض فإنه مهندس معمارى كبير. والتخيل هنـا تخيـل جـامح يبدأ من الواقع ولكنه لا يلتزم بأى قيود. وهـو تخيـل يعكس انطـلاق بعـض القوى الجسـمية والعقليـة للطفـل ومـن ناحيـة أخـرى يعـوّض عجـزه عـن أن يفعـل ما يفعله الكبار.

إدراك الـزمـن :

لايزال هناك قصور فى إدراك البعد الزمنى عند الطفل. فهو لا يـدرك تمامـا عناصر الزمن المتسلسلة والممثلـة فـى المـاضى والحـاضر والمستقبل، ولا يـدرك العلاقة بينهـا. فهـو لايعيش إلا فـى حـاضره، فالمـاضى بالنسبة لـه حـوادث مرت وخبرات عاشها وقد يخلط بيـن مـا حـدث فيـه ومـا يحـدث الآن، كمـا أن المستقبل لا يعنى له شيئاً، ويترتب على هذا أنه لا يفهم معنى التأجيل والانتظار. فالطفل لديه حاجات يريد إشباعها إشباعا عاجلا، فإذا طلـب مـن والده شيئاً وقـال الوالـد: نعم، سأحضره لك فى الغد، فإن هذه الإجابـة عنـد الطفـل تعـادل الرفـض. فهـو لا يقتنع إلا بالحاضر وبما يحدث أمامه. ولا يستطيع أن يتصـور شـيئا لا يحـدث الآن ولكنه سوف يحدث مستقبلا.

ثالثا: مظاهر النمو العقلى
فى الطفولة المتأخرة

مقدمـة:

توصف مرحلة الطفولة المتأخرة مـن النمـو بأنهـا المرحلـة التـى يبطـئ فيهـا النمو الجسمى لحساب جوانب أخرى يسرع فيها النمو. وهذه الجوانـب هـى الجـانب العقلى ونمو الذات والنمو الاجتماعى. ويتضـح لنـا هـذا القول إذا قارنـا الطفـل فـى بداية هذه المرحلة وفى نهايتها. فالطفل الذى كان لا يفهم من أمور بيئته ومـا يحيط به شئياً، يعيش منحصرا داخل نفسه لا يرى إلا رغباته ومطالبـة، يريـد لهـا إشباعا عاجلا بصرف النظر عن أية ظروف أخرى. هذا الطفل المتسرع المتلهف القلق، نجده فى نهاية المرحلة طفلا أقرب إلى اليفوعة هادئا متزنا، يدرك كثيراً مما يدور حولـه، يؤجـل رغباتـه، ويمتثل لرغبـات الكبـار، ويقدر ظروفهم ويحـرص علـى رضائهم، ويربـط الأسباب بالمسببات، والخلاصة أنـه يبدو وكأنـه رجـل صغير. ونسمع كثير من الآباء يصفون أبنائهم فى هذه المرحلة بأنهم "كبروا وعقلوا" بل إننـا نسمع من الآباء تعليقات تعبر عن دهشتهم لطيش أبنائهم المراهقين مقارنين بين هذا السلوك وبين سلوكهم فى المرحلة السابقة وهى مرحلة الطفولة المتأخرة.

مما تقدم يظهر لنا أن الطفل يقطـع شوطا طويـلا فـى طريـق النمـو العقلـى طوال هذه المرحلة. وأهم مظاهر النمو العقلى تتمثـل فـى النمـو الكبير الـذى يطـرأ على العمليات العقلية العليا ونمو الذكاء والتفكير والوصول إلى مرحلة القـدرة علـى تكوين المفاهيم العامة والتعامل بها. وسنعالج النمو العقلـى فـى هـذه المرحلـة تحت العناوين الاتية:

* خـواص النمـو العقلـى
* العمليات العقلية العليا
* الـذكـاء والتفكـير
* أنـــواع التفكـــير
* تكوين المفهوم الكلى

أ) خواص النمو العقلي:

يتميز النمو العقلي فى الطفولة المتأخرة بمجموعة من الخواص والملامح أهمها: ـ

١ ـ يذهب الطفل إلى المدرسة مع بداية هذه المرحلة. ويتعلم القراءة والكتابة والحساب، والقراءة ـ أهم الأدوات فى اكتساب المعرفة ـ ويبدأ فى تلقى الدروس، ويمر فى المدرسة بخبرات متنوعة. ويعيش فيها فى بيئة مليئة بالمثيرات. وكل هذه الخبرات وتلك المثيرات تؤثر فى النمو العقلى.

٢ ـ من علامات الترقّى العقلى الذى يقطع الطفل فيه شوطاً طيبا فى هذه المرحلة تمايز القدرات. فبعد أن كانت الحياة العقلية فى المهد تناسقا بين الحس والحركة وإدراكا محدوداً معتمداً على هذا التناسق، أضيف إليها فى مرحلة الطفولة المبكرة ذاكرة قصيرة وخيال منطلق وإدراك قاصر لبعد الزمن مع قدرة طيبة على التعبير، نجد أن العمليات العقلية العليا فى الطفولة المتأخرة تتمثل فى الانتباه والتذكر والتخيل والتفكير بمعنى إدراك العلاقات. مع اختلاف كل من التذكر والتخيل فى هذه المرحلة عنه فى المراحل السابقة كما سنرى.

٣ ـ يستطيع الطفل فى هذه المرحلة أن يفكر تفكيراً مجرداً وإن كان بصورة محدودة. والتفكير المجرد هو التفكير المعتمد على المدركات الكلية أو المفاهيم العامة. ويمكنه أن يدرك بعض المفاهيم مثل العدل والظلم كما يعرف بعض القيم الخلقية كمفاهيم مجردة غير مرتبطة بمواقف خاصة أو بملابسات معينة مثل الأمانة والصدق.

٤ ـ تظهر الفروق الفردية بشكل واضح فى الناحية العقلية، وهو أمر طبيعى يترتب على نمو القدرات العقلية من ناحية وتمايزها من ناحية أخرى. وتظهر الفروق فى المستوى الرأسى بمعنى تشتت درجات الأفراد على مقياس الذكاء بصورة أكبر، كما تظهر الفروق فى المستوى الأفقى بمعنى تباين الميول والقدرات الخاصة بين الأطفال الذين يحصلون على درجات متساوية فى القدرة العامة. ويظهر نوع آخر من الفروق أيضاً، وهى الفروق بين البنين والبنات فنجد فى أول المرحلة تفوقا للبنات على البنين، وتنعكس الصورة فى النصف الثانى من المرحلة حيث يتفوق البنين على البنات حتى يقفا متساويين على عتبة المراهقة.

٥ - يتسم الطفل فى هذه المرحلة بحبه للاستطلاع والكشف، ويبدو ذلك فى سؤاله عن كل شئ يقابله. وهذا الفهم للمعرفة شئ محمود ويجب أن نستغله عند الطفل بل ونتميه بتوفير الكتب المصورة والمجلات التى تعرض للموضوعات الاجتماعية والاقتصادية وللنظريات وتطبيقاتها فى الحياة بطريقة مبسطة كما يجب أن نجيب على تساؤلات الطفل بما يتفق ونمو مداركه. ولا يجب أن يضيق الوالد أو المعلم بأسئلة الطفل، لأن الانصراف عنه يحرمه من فرصة المعرفة. ويخطئ من ينهر الطفل إذا زادت أسئلته لأن هذا السلوك إذا تكرر من جانب الآباء أو المعلمين يضعف فى الطفل حب البحث والرغبة فى المعرفة.

٦ - يتسم تفكير الطفل بالإحيائية وهى نسبة الحياة إلى الأشياء والكائنات غير الحية، فنجد الطفلة تتكلم مع عروستها وكأنها كائن حى وليست جمادا، ثم تتناقص هذه الخاصية فى تفكير الطفل مع تقدم النمو، ويبدأ الطفل فى منتصف هذه المرحلة يأخذ من الحركة الذاتية والنشاط معياراً للتفرقة بين الكائنات الحية وغير الحية.

ب) العمليات العقلية العليا :

١ - الانتبـــاه :

الانتباه من أهم العمليات العقلية لأنه يشترك فى معظمها، وله دور فى كل الوظائف العقلية تقريبا. والانتباه هو أن يحتفظ الفرد بموضوع ما فى بؤرة مجاله الإدراكى. وفى الانتباه عادة نميّز ناحيتين. الأولى مدى الانتباه والثانية مدة الانتباه. أما مدى الانتباه فنقصد به عدد الموضوعات التى يستطيع الفرد أن يحتفظ بها فى بؤرة مجاله الادراكى فى وقت واحد، فإذا كان فى إمكان الشخص أن يحتفظ بعدد كبير من الموضوعات نقول إن مدى الانتباه لديه واسع. وإذا كان الشخص لايستيطع أن يركز انتباهه إلا على عدد قليل من الموضوعات قيل إن مدى الانتباه لديه ضيق. وينمو مدى الانتباه مع النمو العقلى فإذا كان الطفل فى أول هذه المرحلة ضيق الا نتباه فإن هذا المدى يتسع في نهاية المرحلة. كما نلاحظ بصفة عامة أن الراشد الكبير يستطيع أن يركز انتباهه على عدد كبير من الموضوعات فى وقت واحد. فإذا كان طفل السنة الأولى الابتدائية وهو فى سن السادسة ـــ

لا يستطيع أن يركز انتباهه إلا على موضوع واحد فإن طالب الجامعة يستطيع مثلاً أن يستمع لمحاضرة، وأن يسجل بعض نقاطها وأن يجهّز سؤالاً في ذهنه، وأن يتابع نقطة جديدة قالها المحاضر، كل ذلك في وقت واحد.

والناحية الثانية من الانتباه هي مدة الانتباه، وهي الوقت الذي يستطيع فيه الفرد أن يحتفظ بموضوع ما في بؤرة مجاله الإدراكي قبل أن يختفي هذا الموضوع ويظهر مكانه موضوع آخر. ويبدو أن هناك علاقة عكسية بين مدى الانتباه ومدته. فإذا زاد أحدهما قل الآخر. وفي هذه الناحية أيضاً يختلف الراشد الكبير عن الطفل حيث تكون المدة عند الأول أطول منها عند الثاني، ويظهر ذلك جليًا في أن درجة تشتت انتباه الطفل أعلى، وفي أن طالب الجامعة يستطيع أن يركز انتباهه مدة أطول على موضوع ما إذا أراد.

٢ ـ التذكــر :

التذكر هو استرجاع خبرة سبق أن مر بها الشخص، والتذكر من أول العمليات التي تظهر في حياة الطفل وتنمو نموا هائلاً في هذه المرحلة حتى أن الذاكرة عند الطفل في هذه السن أقوى منها عند الراشد. وربما كان السبب أن الذاكرة أول العمليات العقلية ظهوراً وأبكرها نضجاً في الوقت الذي لم تنضج فيه قدرات أخرى بعد. والتذكر في النصف الأول من هذه المرحلة ذاكرة صماء بمعنى أن الطفل في المدرسة يستطيع أن يتذكر أي مادة تعليمية حتى لو لم يفهمها. ولذا نجد أطفال الصفوف الثلاثة الأولى في المدرسة الابتدائية يحفظون بعض الآيات القرآنية والأناشيد بدون فهم، وأحياناً يخطئون في نطقها، ويحلون كلمة مكان كلمة شبيهة بها في جرسها، مما يقطع بعدم فهمها. ولكن في النصف الثاني من هذه المرحلة يبدأ عنصر الفهم يدخل كأحد العوامل التي تساعد على التذكر. فنجد أنه يسهل على الطفل حفظ وتذكر المادة المفهومة أكثر من المادة غير المفهومة، ويتزايد أهمية عنصر الفهم في التذكر، حتى ليكاد يستحيل على المراهق تلميذ المدرسة الإعدادية والمدرسة الثانوية أن يحفظ ويتذكر قصيدة شعر لم يفهمها مثلاً.

٣ ـ التخيــل :

وهذه عملية أخرى على جانب كبير من الأهمية، لأنها الخاصية التي تميّز الإنسان، والتي مكنته على مر التاريخ من تشييد حضارته. والتخيل يختلف عن

التذكر حيث أن العملية الأخيرة تتضمن استرجاعا لخبرة سبقت فى حياة الفـرد. أما التخيل فإن فيه إضافة جديدة إلى الواقع. فالإنسان عندما يتخيل فإنه يبدأ من عناصر الواقع ويبنى تصوراً يضيف إليه من عنده. ومن هنا فإن التخيل فـى هذه المرحلة يختلف عن الخيال الذى كان موجوداً فى المرحلة السابقة من النمو. فإذا كان الخيال فى مرحلة الطفولة المبكرة يبدأ من الواقع أيضاً، لكنه تخيل جـامح لا يتقيد بقوانين الطبيعة وبإمكانيات البشر، فيتصور الطفل نفسه طائراً أو عابراً للقارات أو محطما الجبال، فإن التخيل فى هذه المرحلة تخيـل مرتبط بـالواقع ومقيد بقوانين الطبيعـة، وبما يمكن أن يفعله الإنسان بالفعل. وهناك صلة وثيقة بين هذا التخيل وبين الإبداع أو الابتكار. والإبداع هو التفكير المتسم بالجدة والأصالة. ولذلـك فـالتفكير الإبداعـى يعتمد إلى حد كبير على التخيل، لأن الأساس فيه إتيان أفكار جديـدة غير مسبوقة، وعليه فإن بوادر التفكير الإبداعى تظهر عند الطفل فـى هذه المرحلـة ممثلـة فـى التفكير التخيلى.

جـ) الذكاء والتفكيــر :

١ ـ الذكاء هو القدرة الفطرية العقلية العامـة. ويبدو من هذا التعريف أن الذكـاء فطرى ولادى وليس مكتسبا. وأنـه يتعلق بالنشـاط العقلـى، وأنـه لا يختص بمواقف معينة أو بتحصيل مواد معينة، وإنمـا هـو قدرة عامـة تشترك فـى جميع المواقف وكل المواد. والتعريف الإجرائى يرى الذكاء إدراكاً للعلاقات بين الأشياء أو بين عناصر الموقف.

٢ ـ التفكير هو المجهود العقلى الذى يبذله الفرد ليواجه مشكلة ما أمامـه. ولعملية التفكير مستويات كثيرة، ولها صور متعددة أيضاً. ولا شـك أن أرقـى صـور التفكير هى إدراك العلاقات بين الأشياء أو بين عناصر الموقف بحيث يـؤدى هذا الإدراك فى النهاية لحل المشكلة. وبالتالى فإن التفكير هو وظيفـة الذكـاء ولا غرابـة إذن أن التفكير تتويـج لكـل العمليـات العقليـة، فكـل مـن عمليـات التذكر والتخيل تضع نفسها فى النهاية فى خدمة التفكير، باعتبـار أن التفكير هو المحاولة التى يبذلها الكائن ليواجه مشكلة تعترض سبيل تكيفه.

د) أنواع التفكــير :

للتفكير عدة أنواع أو صوراً أهمها :ـ

١ ـ إدراك العلاقات بين الأشياء :

وهو الذى ذكرناه آنفا. وهو أشهر صور التفكير. وأهم العلاقات التى يستطيع الأطفال إدراكها، علاقات الزمان والكمية والتشابه والاختلاف طالما هى بسيطة. وتبدأ هذه القدرة فى الطفولة المبكرة وتزداد فى الطفولة المتأخرة دقة ووضوحا.

٢ ـ التفكير الاستدلالى أو القياسى:

وهو الذى يعتمد على استنباط أو استخلاص قضية من قضايا معروضة. فإذا قلنا إن جميع المعادن تتمدد بالحرارة وقلنا إن الحديد معدن أمكننا استنتاج أن الحديد يتمدد بالحرارة وهى الصورة الأولى أو الشكل الأول من صور المنطق الأرسطى. ويسمى هذا التفكير بالتفكير الرمزى أو المنطق الصورى. ويستطيع الطفل أن يمارسه فى هذه المرحلة.

٣ ـ التفكير الاستقرائى :

وهو عكس النوع السابق، ويعتمد هذا النوع على استقراء وحدات الطبيعة للخروج بقانون عام. فإذا وجدنا من مشاهداتنا وتجاربنا أن الحديد والنحاس والقصدير والرصاص وكافة المعادن التى نعرفها تتمدد إذا تعرضت للحرارة، انتهينا إلى قاعدة عامة هى أن المعادن تتمدد بالحرارة وهذه القاعدة هى القانون العلمى. ونلاحظ أن الاستدلال يبدأ من قضية كلية أو قانون عام ثم يطبق على الحالات الفردية. أما الاستقراء فيبدأ من الحالات الفردية لنصل إلى قضية كلية أو قانون عام. وهذا اللون من التفكير يستطيعه الطفل أيضاً فى هذه المرحلة.

٤ ـ التفكير النقدى:

وهو تبين نقاط الصحة ونقاط الخطأ أو الضعف فى التفكير . وهى قدرة عقلية تتأخر كثيراً عند الفرد. وبصفة عامة فإن الطفل فى نهاية المرحلة يستطيع أن يكتشف بعض المغالطات أو التناقضات فى قصة تحكى لـه، ولذا تحوى اختبارات الذكاء نماذج من هذه المغالطات مثل: "امبارح شفنا راجل طويل قوى، ماشى فى الشارع، حاطط إيديه فى جيوبه ويهز عصاته وهو ماشى". (مقياس الذكاء ـ إسماعيل القبانى) ...... هذه القدرة تظل ضعيفة بصفة عامة طوال هذه المرحلة، حيث يغلب على الطفل طابع المسايرة أكثر من طابع النقد. ولكن هذه القدرة تنضج فى مرحلة المراهقة.

٥ ـ نماذج من اختبارات الذكاء:

وهذه بعض الفقرات من اختبارات الذكاء لنوضح نوع العلاقـات والمشـكلات المطلوب من الأطفال حلها: ـ

سـن ٧ : نقل رسم معين.
إعادة ثلاثة أرقام بالعكس.
معرفة وجه الشبه بين شيئين.

سـن ٨ : العدد بالعكس من ٢٠ ـ ١ .
معرفة أوجه الشبه والاختلاف بين شيئين.
اكتشاف السخافات اللفظية.

سـن ٩ : إعادة أربعة أرقام بالعكس.
معرفة أسماء الشهور.
اكتشاف السخافات اللفظية.

سـن١٠ : إعادة ستة أرقام.
ذكر ثمانية وعشرون كلمة فى دقيقة.
إعطاء الأسباب.

سـن ١١ : فهم المعانى المجردة.
معرفة أوجه الشبه بين ثلاثة منها.
الاستدلال.

سـن ١٢ : إعادة خمسة أرقام بالعكس.
الفهـــم .
التفكيـــر.

هـ) تكوين المفهوم الكلـى :

١ ـ يقدم لنا علم المنطق مصطلحى "المفهوم" ، "الماصدق" والمفهوم هـو الصفـات التى تنطبق على شئ ما، وتجعلنا نطلق عليه اسمه. أمَّا المـاصدق فهـو عدد

الأفراد أو العناصر أو الأشياء التى ينطبق عليها المفهوم، فإذا قلنا أن كلمة "طبيب" مفهوم فنحن نعنى بهذا المفهوم ذلك الشخص الذى تخصص فى دراسة الطب فى الجامعة، وتخرج منها ويزاول مهنة العلاج. أما الماصدق فهو عدد الأفراد الذين ينطبق عليهم هذا الوصف أو هذا المفهوم. فنقول إن هذه البلدة فيها ٥ آلاف طبيب مثلا وهم الماصدقات لهذا المفهوم. إذن فالمفهوم فكرة مجردة منفصلة عن مفرداتها أو مظاهرها الخاصة.

٢ ـ المفاهيم ضرورية للتفكير. فنحن لا نفكر أو نستخدم فى حديثنا وتفكيرنا أسماء المفردات أو الماصدقات، وإنما نستخدم المفاهيم العامة أو الكلية وإذا حللنا إحدى المقالات المنشورة فى صحيفة، أو تلك المدونة فى كتاب بقصد معرفة نسبة استخدام الألفاظ التى تدل على مفاهيم عامة إلى الألفاظ التى تدل على عناصر معينة، فسنجد أن الأولى أكثر بكثير. ولذا فإنه يجب أن يكون لدى أى طفل فى هذه المرحلة بالذات أكبر قدر ممكن من المفاهيم المرتبطة بحياته وبيئته والمرتبطة أيضاً بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والمكتشفات العلمية والصناعية.

٣ ـ تعتمد عملية التكوين للمفهوم الكلى على ثلاث عمليات عقلية هامة هى: ـ

* التصنيف Classification
* التجريد Abstraction
* التعميم Generalization

ويتعامل الطفل منذ البداية مع العالم المحيط به بناء على هذه العمليات. فالطفل فى عامه الأول يكون متمركزاً حول ذاته، ويحصل على لذة كبيرة من عملية المص، ولذا نجده يضع فى فمه كل ما يصل إلى يديه ويبدأ فى مصه. ثم يميِّز بعد ذلك ما يؤكل وما لا يؤكل مستعينا بخبرته النامية وبتطور إدراكه. ثم يجد أن من بين ما يؤكل أشياء مختلفة تماما. فالموز والبرتقال والتفاح والتين كلها أشياء تؤكل بعد الأكل الأساسى، ولكنها مختلفة فى الشكل والحجم والطعم واللون. ويعتمد الطفل فى هذا التمييز على ملاحظته لهذه الأشياء ومقارنته لأوجه الشبه وأوجه الخلاف بينها، فيجمع بين الأشياء المتشابهة فى مجموعة واحدة ويضطر إلى استخدام اللفظ الذى يطلقه الكبار على هذه المجموعة، وهذه هى عملية التصنيف، وعملية التصنيف نفسها تتضمن عملية تجريد. والتجريد هو استنتاج الصفات العامة

الجوهرية التى تميز مجموعة ما عن مجموعة أخرى بحيث تنفصل هذه الصفات عن مفرداتها أو عن "ما صدقاتها"، فإذا استقر فى ذهن الطفل أن الفاكهة نوع من الطعام يؤكل فى صورته الطبيعية ، ونتناوله ليس كوجبة رئيسية ولكن لقيمته الغذائية أو لطعمه، وإذا استطاع أن يحدد بناءً على هذا المعنى ما إذا كان صنفا معينا لم يره من قبل فاكهة أم لا، فإنه يكون قد قام بالعملية الثالثة والأخيرة فى تكوين المفهوم، وهى عملية التعميم، مع ملاحظة أن هذه العمليات متداخلة وليست منفصلة، كما أنه ليس من الضرورى أن تتم كل العمليات فى كل عملية تكوين للمفهوم.

٤ ـ هناك المفاهيم الكلية المجردة التى ليس لها أساس حسى كالفضيلة والرذيلة والخير والشر، وهذه لا يدركها الطفل إدراكا واضحا ودقيقا كما يظهر فى استخدامه الصحيح لها، إلا فى مرحلة المراهقة.

القسم الثانى : النمو اللغوى

أولاً : النمو اللغوى فى سنتى المهد

مقدمـــة :

للغة عدة وظائف، وعلى رأس هذه الوظائف:

* الوظيفة الاجتماعية، من حيث أنها وسيلة اتصال الفرد بالمحيطين به.
* الوظيفة العقلية، من حيث الاستدلال من بدء تعلمها وطريقة استخدامها على القدرة العقلية للفرد.

ويجب أن ننبه أن علماء النفس الاجتماعى يفرقون بين نوعين من اللغة، اللغة اللفظية واللغة عير اللفظية. واللغة اللفظية هى اللغة التى نتكلم بها وتعتمد على الألفاظ والكلمات. أما اللغة غير اللفظية فلا تعتمد على الألفاظ وإنما على الرموز والإشارات والإيماءات. مثل إشارات اليدين وتعبيرات الوجه والرموز التى يستخدمها رجال الجوالة ولغة الشفرة التى يستخدمها الجنود. بل إن بعض العلماء يعتبرون صيحات الحيوان لغة، حيث أن لكل صيحة معنى يفهمه بقية أفراد القطيع

ولكنه إذا كانت اللغة بهذا المعنى الواسع (وسيلة الاتصال بين الأفراد) يشترك فيها الإنسان والحيوان، فإن الإنسان فقط ـ بفضل تطور جهازه العصبى وقدراته العقلية ـ يستطيع أن يتكلم وأن يستخدم اللغة استخداما على أعلى درجات المرونة. والاستعداد للكلام استعداد طبيعى فطرى عند الفرد، ولكن تعلم لغة معينة أمر يخضع للتدريب والمران والتقليد.

مراحل التطور اللغوى فى سنتى المهد :

ولأهمية اللغة فى حياة الإنسان على المستوى الفردى والمستوى الاجتماعى فقد اهتم العلماء برصد السلوك اللغوى عند الطفل، وقدموا تفسيرات وتصنيفات مختلفة لمظاهر النمو اللغوى. وبصفة عامة، فإن علماء النفس يقسّمون التطور اللغوى عند الطفل فى سنتى مهده إلى المراحل التالية: ـ

١ ـ مرحلة الصراخ :

ويدخل فى ذلك الصرخة الأولى التى يطلقها الطفل عند الميلاد، والتفسير الذى يقبله العلم اليوم لصرخة الميلاد هو أن هذه الصرخة، تحدث عندما يندفع الهواء لأول مرة إلى رئتيه، أى أن الصرخة الأولى رد فعل لأول عملية شهيق. ويظل الطفل فى الأيام الثلاثة الأولى يصدر صرخات ليست عالية، ثم يعلو صراخه بعد ذلك. وصراخ الوليد فى هذه الفترة يعبر عن جوعه، وعن متاعب معوية أو عن ضيقة من البلل، ولكنه قد يصرح لمجرد سماع صوته ولإحداث تأثير فى البيئة المحيطة به، وهذا الصراخ يدرّب الأحبال الصوتية فى الحنجرة. وسيربط الطفل فيما بعد بين صراخه وحضور الأم. ويتعلم أن يصرخ عندما يريد استدعاء أمه.

٢ ـ مرحلة الأصوات العشوائية:

يصدر مع الصراخ أصوات أخرى مختلطة تعلو أحيانا لتكون أشبه بالمناغاة. وهذه الأصوات هى المادة الصوتية التى تتشكل منها الكلمات وبالطبع فإن الطفل عندما يكون مرتاحا ومشبعا ونظيفا فإنه يمكن أن يصدر أصوات أقرب إلى المناغاة. ويعلو صراخه فى حالات الجوع أو المغص أو الرغبة فى النوم.

٣ ـ مرحلة الحروف التلقائية:

تتشكل الأصوات العشوائية والمناغاة إلى حروف أو إلى أصوات أقرب إلى الحروف. وبالطبع فإن الطفل لا يقصد فى البداية نطق حرف معين وإنما هو يصدر أصواته المختلفة، ثم يحدث أن يشجعه الآباء بتعليقاتهم وبالأصوات التى يصدرونها أمامه فيجعلونه أميل إلى تكرار بعض الأصوات القريبة إلى أحد الحروف. وهناك من الحروف ما يصدر عن الحلق مثل " ع " و " غ ". وهناك الحروف الأنفية مثل " م " و " ن "، كما أن هناك حروف الشفاه مثل حروف " ب " و " و "، وكذلك هناك حروف تشترك فيها الأسنان مثل حروف " ت " و " ث ". ويلاحظ أن هذه المراحل متداخلة بمعنى أن بداية مرحلة لا تنتهى بخصائص المرحلة السابقة، وإن كان بعض العلماء يحدد بداية المناغاة فى الشهر الثالث .

٤ ـ مرحلة التقليد والاستجابة اللغوية:

وفى النصف الثانى من عامه الأول يكون الطفل قد وصل إلى مستوى من النضج العصبى والفسيولوجى والعقلى يسمح له بأن يكون أقدر على تقليد الكلمات والحروف التى يسمعها من المحيطين به. وغالبا ما يستطيع الطفل أن يردد أحد المقاطع اللفظية أو كلمة تتكون من مقطعين متكررين مثل " بابا " ، " ماما "، وهنا يظهر أول أثر للتعلم والتدريب المقصود من جانب الأبوين والمحيطين بالطفل. ويظهر فى هذه المرحلة الجانب الاجتماعى والإنسانى فى اللغة. لأن الأطفال الذين وجدوا يهيمون على وجوههم فى الغابات، ولم يتربوا فى وسط إنسانى لا نجد عندهم هذه المرحلة. وتمتد هذه المرحلة حتى الشهر الثامن أو التاسع عندما ينطق الطفل بأول كلمة كاملة.

٥ ـ مرحلة المعانى:

وفيها يكون الطفل قد أتقن تقليد ما يسمعه من حروف أو مقاطع أو كلمات بسيطة ثم يتمكن من ربط هذه المقاطع أو الكلمات بأشياء معينة أى ربط الأسماء بمسمياتها.

متى ينطق الطفل بأول كلمة ؟

يهتم كثير من الباحثين بتحديد السن التى ينطق فيها الطفل بأول كلمة كاملة. ولا يخفى علينا أن هذه السن تتفاوت من طفل إلى آخر بدرجة كبيرة ومجال الفروق الفردية فيها متسع. وظهر من أحد البحوث أن متوسط السن التى ينطق فيه الطفل بالكلمة الأولى كالآتى:

العمر بالشهور	عدد الأطفال
٨	١
٩	٥
١٠	١١
١٢	٣
١٣	٥
١٤	٣
١٥	١
المجموع	٣٥

ويظهر من النتائج أن أكبر مجموعة تنطق بالكلمة الأولى فى الشهر العاشر وإن كانت العينة صغيرة لا تسمح بالتعميم. وبصفة عامة يمكن أن نقول إن الطفل ينطق بكلمته الأولى فى نهاية العام الأول. ويلاحظ هنا أن الطفل ينطق كلمة واحدة ويقصد بها معنى يحتاج إلى جملة كاملة فيقول كرة وهو يعنى " أنا أريد هذه الكرة " كما كان فى مرحلة سابقة يردد حرفا واحداً أو مقطعا من كلمة وهو يقصد الكلمة كلها.

نمو المحصول اللغوى :

وما إن ينطق الطفل كلمته الأولى حتى يبدأ محصوله اللغوى فى الزيادة عن طريق عملية الربط بين المثيرات الصوتية والمثيرات المرئية. فهو يرى شيئاً ويسمع اسمه ويربط بين شكل ما يراه والاسم الذى يسمعه. ولأن الطفل لا يستطيع القيام بعملية التجريد فى هذه السن. فإنه يربط بين شكل معين وبين اسم هذا الشكل. بحيث إذا حدث تغيير فى شكل هذا الشئ، أو رآه فى صورة غير التى تعود أن يراه عليها فقد لا يتعرف عليه. وفى إحدى الدراسات التى استخدمت المنهج العرضى،

حيث انصبت على عينات من الأطفال فى كل سن، وُجد أن متوسط الكلمات "المحصول اللغوى " لديهم كالآتى : ــ

العمر بالشهور	عدد الأطفال	عدد الكلمات
٨	١٣	ــ
١٠	١٧	١
١٢	٥٢	٣
١٥	١٩	١٩
١٨	١٤	٢٢
٢١	١٤	١١٨
٢٤	٢٥	٢٧٢

ويظهر من هذه النتائج أن الطفل عندما يصل عمره إلى سنة ونصف، ويكون لديه السيطرة على مهارة النطق، يزيد عنده المحصول اللغوى زيادة كبيرة جداً. ويظهر ذلك من المقارنة بين محصوله اللغوى عند بلوغه العام ونصف، وعند بلوغه واحد وعشرين شهراً ثم عند بلوغه العامين.

عوامل تؤثر فى النمو اللغوى :

وهناك عوامل متعددة تؤثر فى تحديد السن التى يبدأ فيها الطفل النطق وفى كمية محصوله اللغوى، وفى قدرته على استخدام هذا المحصول استخداما وظيفيا سليما، وفى مظاهر النمو اللغوى بصفة عامة. وأهم هذه العوامل هى : ــ

١ ــ **الذكاء والقدرة اللغوية** : باعتبار أن استخدام اللغة عملية عقلية تتأثر بالقدرات العقلية للفرد .

٢ ــ **سلامة الأعضاء والحواس** : لأن الكلام مهارة معقدة يشترك فيها كثير من أجهزة الجسم كالحنجرة والرئتين والحجاب الحاجز واللسان ومراكز الكلام فى المخ. كذلك لابد من سلامة حواس السمع والبصر، لأن الكلام كما أوضحنا ربط بين المثيرات الحسية الضوئية التى تستقبلها العين والمثيرات الحسية السمعية التى تستقبلها الأذن.

٣ ــ **المثيرات البيئية الثقافية** : فهناك البيئة الغنية بالمثيرات الثقافية، وهناك البيئة الفقيرة بالمثيرات الثقافية. ونقصد بالبيئة الأولى تلك البيئة التى تتوافر فيها

المجلات والجرائد والكتب وأجهزة الإعلام والترفيه والمناقشات العلمية والثقافية بين أفراد الأسرة. أما البيئة الثانية فهى البيئة المحرومة من هذه المثيرات. ومما لا شك فيه أن معيشة الطفل فى بيئة من النوع الأول تسهم بدرجة كبيرة فى نموه لغويا.

٤ ـ **الحرمان العاطفى** : ظهر أن للحرمان العاطفى دخل فى إعاقة النمو اللغوى. وقد تبين لنا ذلك من المقارنة بين أداء الأطفال الذين ينشأون فى المؤسسات والملاجئ ونظرائهم ممن يعيشون فى بيوت عادية بين آبائهم فى كل اختبارات الأداء اللغوى.

ثانياً : النمو اللغوى فى الطفولة المبكرة :

يمكن تلخيص أهم ملامح النمو اللغوى فى مرحلة الطفولة المبكرة فيما يأتى:

١ ـ يعرف الطفل فى عامه الثانى أن للأشياء أسماء. وفى نفس السنة يكون لديه القدرة عل نطق أى كلمة يسمعها، وهذا يفتح الطريق أمام النمو الهائل لثروة الطفل اللغوية ابتداء من العام الثالث حتى أن الطفل ينهى هذه المرحلة "نهاية السنة الخامسة" ومحصوله اللغوى لا يقل عن ٢٠٠٠ "ألفين" من الكلمات تقريباً.

٢ ـ فى المرحلة السابقة كان الطفل ينطق كلمة واحدة ليعبر بها عن جملة كاملة كقوله " عروسة " وهو يريد أن يقول " أعطنى هذه العروسة ". أما فى المرحلة الحالية فإنه يستطيع أن يكوّن جملاً، ولكن الجملة تكون فى البداية قاصرة تقريباً على الأسماء وتكاد تخلو من الحروف والضمائر والأفعال. ثم يأخذ التعبير اللغوى بعد ذلك فى الاتجاه نحو الدقة فلا ينهى الطفل هذه المرحلة حتى يستطيع أن يعبر عن نفسه بوضوح، وفى جمل كاملة تامة المعنى.

٣ ـ تنزع لغة الطفل فى هذه المرحلة إلى التجريد، وهو من سمات الرقى العقلى الذى يصل إليه فى هذه المرحلة، حيث يستطيع أن يستخدم كلمات الجنس العام مثل كلمة "حيوان" التى تشمل القطط والكلاب والذئاب وغيرها. وهذا الاستخدام "التجريدى" للغة يمثل نقلة كبيرة فى لغة الطفل وتفكيره.

٤ ـ وظيفة اللغة الأساسية هى التواصل أو إدارة الاتصال بين الأفراد. ولكن اللغة فى بداية تعلمها لا يكون لها هذا المعنى. فالطفل فى العام الثانى لا يتكلم دائماً ليوضح نفسه أو ليشرح فكره أو ليلقى سؤالاً ينتظر جوابه أو ليسهم فى مناقشة مع آخرين، بل قد يتكلم مع نفسه وقد يلقى سؤالاً ولا ينتظر إجابته وقد يجيب على سؤال لصديقه بسؤال آخر أو بإجابة لا علاقة لها بالسؤال، وهذا ما يسميه بياجيه باللغة "المتمركزة حول الذات". "وهناك اللغة المتمركزة حول المجتمع". وتستمر اللغة المتمركزة حول الذات طوال هذه المرحلة.

٥ ـ من العوامل التى تزيد من قدرة الطفل اللغوية وجود الدافع عنده لاستخدام اللغة. وتستطيع الأم ومن يحيط بالطفل أن يخلقوا هذا الدافع لديه. ويفيد فى هذا السبيل حديث الأم مع الطفل أثناء عنايتها به، وتوضيح الأمور له بأسلوب سهل وبعبارات مختصرة وبمفردات بسيطة. وتفيد هذه الأساليب فى زيادة حصيلة الطفل اللغوية ومن قدرته على تركيب الجمل بطريقة صحيحة. ولكى تدفع الأم طفلها إلى التدريب على تركيب الجمل والتعبير بعبارات تامة المعنى يجب عليها أن تشجعه أن يصيغ طلباته فى جمل وليس فى كلمة أو همهمه. فإذا أراد الطفل أن يطلب من الأم بعض الحلوى فعليها أن تشجعه أن يصيغ هذا الطلب فى جملة مفيدة ولا تكتفى بأن يقول لها "حلوى" لأن الأم إن استجابت له فى هذه الحالة الأخير فكأنها تدعم لديه أسلوب سابق من أساليب التعبير اللغوى.

٦ ـ يوجد ارتباط إيجابى بين الذكاء والنمو اللغوى فى هذه المرحلة. كما أن البنات أسبق من البنين فى نموهن اللغوى فى هذه السن.

ثالثاً : النمو اللغوى فى الطفولة المتأخرة:

تتحدد ملامح النمو اللغوى عند الطفل فى هذه المرحلة كالآتى : ـ

١ ـ يكون محّصول الطفل اللغوى فى سن السادسة أى عند دخوله المدرسة حوالى ٢٥٠٠ كلمة "ألفان وخمسمائة ".

٢ ـ هذه المرحلة هى التى يدخل فيها الطفل إلى المدرسة، حيث يتعلم القراءة. والقراءة مهارة معقدة تتضمن مجموعة كبيرة من المهارات الفرعية، ولذلك

يتعلمها الطفل بعد فترة من المحاولـة والخطـأ. وعندمـا يتعلـم الطفـل القـراءة يكـون قد حصـل علـى مفتـاح سـحرى يزيـد بـه محصولـه مـن الألفـاظ والمصطلحات والتركيبات اللغوية.

٣ ـ يستطيع الطفل في أول هذه المرحلة أن يكوّن جملة من أربع أو خمس كلمـات ويعبر بها تعبيراً صحيحاً عن فكرة واضحة فى ذهنه. وتعمل المدرسة علـى تنمية هذه المهارة فى التعبير الشفوى عند الطفل. ويستمر تحسن قدرة الطفـل على تركيب الجمل طوال هذه المرحلة.

٤ ـ يوجد بجانب القراءة الجهرية نمط آخر من القـراءة، وهـو القـراءة الصامتـة. وهـى أسـرع وأقرب إلـى الفهـم مـن القـراءة الجهريـة. ولـذا تهتـم المـدارس بتدريب التلاميذ على إتقانهـا بعـد تعليمهـم المهـارات الأساسـية فـى القـراءة، باعتبار أن القراءة الصامتة هى الأسـاس فـى التحصيل الذاتـى وهـى النمـط المستخدم فى الحياة اليومية.

٥ ـ يستطيع الطفل فى منتصف المرحلة أن يأتى بالمترادفات للكلمات الشائعة فـى بيئته وأن يميز بين الأضداد، ويحدث ذلك خاصة بين الأطفال الذين يعيشـون فى بيئات غنية بالمثيرات الثقافية.

٦ ـ بجانب التعبير الشفوى يوجد التعبير التحريـرى عندمـا يكـون الطفـل قـد تعلـم الكتابة. ويتحسن تعبير الطفل عاما بعد عام فى هذه المهـارة مـن ناحيـة دقـة التعبير وسلامة التركيب للغة واستخدام الضمـائر الاسـتخدام الصحيـح، وفـى استواء الخط. وفى النصف الثانى من هذه المرحلة يمكـن للطفل أن يسـتخدم الكلمات الدالة على المفاهيم الكلية ـ التى لها مقابل حسى فى تعبيره الشـفوى وفى تعبيره التحريرى أيضاً.

٧ ـ نجد فى هذه المرحلة تفوقاً من جـانب البنـات علـى البنين فـى معظـم جوانـب النمو اللغوى، حتى أن أمراض الكلام توجد بصورة أقل عند البنات أيضاً.

القسم الثالث : رعاية النمو المعرفى فى الطفولة

أ) فـى سنتـى المهد :

يتعلم الطفل الكلام فى هذه المرحلة. وللآباء أثر كبير فـى تحديد السـن التـى يبدأ فيها الطفل النطـق، وفـى زيـادة محصولـه اللغـوى، وفـى طريقـة اسـتخدام هـذا

المحصول فى التعبير، فحديث الأم إلى الطفل منذ الشهر التاسع ـ وهو الشهر الذى يحاول فيه الطفل تقليد ما يسمع من أصوات وكلمات ـ يجعله أقرب إلى تعلم الكلام من الطفل الذى لا يحادثه أحد. كما أن على الآباء أن يزيدوا من ثروة الطفل اللغوية بإسماعه أسماء الأشياء المحيطة به. وترديد الجمل البسيطة ذات المعنى الواضح له أمامه حتى يعرف كيف يتم بناء الجملة.

ب) فى الطفولة المبكرة :

١ ـ توفير المواقف التى تدعو الطفل إلى أن يفكر ويشحذ قدراته العقلية. ومن هذه الوسائل المكعبات (الميكانو) الذى يستطيع الطفل منها أن يبنى بيوتا وأبراجا ومنشآت مختلفة، وتساعد على تنمية قدرات الطفل الابتكارية أيضاً.

٢ ـ يجب أن نشجع الطفل على طلب المعرفة بأن نجيب على تساؤلاته بما يناسبه ونضع تحت يديه بعض القصص المصورة والتى تحوى الحيوانات والطيور والنباتات، خاصة تلك التى لا يراها فى بيئته، وكذلك المخترعات والأجهزة الحديثة. وسوف يسأل الطفل عندما نعرض عليه هذه الصور عن أسماء الأشياء وخواصها، وبالتالى تزيد ثروته اللغوية وتتسع مداركه. ويظهر الفرق واضحاً بين الأطفال الذين ينشأون فى بيوت بها هذه المثيرات الثقافية وبين الأطفال الذين ينشأون فى بيوت محرومة من هذه المثيرات، فى أسلوبهم فى التعبير، وفى كمية معارفهم وفى قدرتهم على فهم الظواهر الطبيعية وعلى كيفية عمل الآلات والأجهزة، اعتماداً على ما لديهم من معلومات سابقة، وهذا الفرق بالطبع لصالح أبناء البيئات الأولى.

٣ ـ ينمو خيال الطفل فى هذه السن نمواً كبيراً، وقد ذكرنا أن هذه الخاصية تظهر فى سرده للقصص، كما تجده يستمتع بسماع القصص التى يشيع فيها الخيال، وبعضهم لا ينام إلا إذا سمع بعض هذه القصص. ولهذا يغرمون بما تحكيه الجدات والمسنين فى العائلة حيث أن هؤلاء الأخيرين لديهم من الوقت والأسلوب الهادئ المتزن المشبّع بالخيال الحالم والذى يشيع فيه الحنان ما يسلب لب الطفل. وقص هذه القصص على الأطفال له قيمة تربوية إذ تنمى خيالهم، ولكن يجب ألا نبالغ فى هذه الناحية، حتى لا نبعد الأطفال عن أرض الواقع ونجعلهم يعيشون فى الخيال باستمرار. ويجب أن تكون القصص التى تحكى للأطفال ذات مغزى اجتماعى وخلقى وألا تحوى قيما هابطة أو معان مسفة.

٤ ـ ذكرنا أن الطفل فى هذه المرحلة ـ خاصة فى نصفها الأول ـ لا يدرك تسلسل وحدات الزمن. ولا يعيش إلا واقعه الحاضر. وبالتالى لا يفهم معنى التأجيل والانتظار. ولذلك علينا أن نتعامل معه على هذا الأساس، فلا نغضب منه إذا رأيناه لا يفهم وعداً قطعناه له، كما يجب ألاّ نعطيه وعوداً طويلة الأمد، حتى لا نرهقه بالانتظار الممل الخانق.

٥ ـ يجب ألا يدفعنا طموحنا ورغبتنا فى تفوق أطفالنا دراسيا إلى الإسراع بتعليمهم القراءة والكتابة، وإلى إلحاقهم بالصف الأول بالمدرسة الابتدائية قبل سن السادسة، لأن فى ذلك إرهاق للطفل عقليا وعصبيا. إذ يكلف الطفل بالقيام بأعمال لا تتناسب مع إمكانياته. وقد وضعت مناهج الصف الأول للطفل فى سن السادسة. فما لم يكن الطفل سابقا لسنه فى النمو، وأعلى من المتوسط فى ذكائه تعثر فى تحصيله وربما ساء تكيفه الدراسى والاجتماعى، وانعكس ذلك كله على سلوكه. ولا يجب أن يقبل الوالد الواعى بوضع ابنه فى هذا الموقف الضاغط.

٦ ـ يجب أن نعمل على زيادة ثروة الطفل اللغوية وأن نساعده على حسن استخدامه للتراكيب اللغوية الصحيحة. وذلك بأن نتحدث إليه وأن نصيغ تعليقاتنا له فى جمل واضحة وليست على شكل أوامر مقتضبة. وأن نعلل له ما نطلبه منه ونشجعه على أن يعبر عن نفسه. وأن نحيطه بالمثيرات التى تكفل له اكتساب مفردات لغوية جديدة.

جـ) فى الطفولة المتأخرة :

١ ـ يحدث تمايز كبير فى القدرات العقلية فى هذه المرحلة. ويجب أن نتيح الفرص التعليمية لتنمية هذه القدرات ومراعاتها أثناء التدريس والتعليم. فبالنسبة للانتباه مثلا نجد مدى الانتباه ومدة الانتباه. ففى الناحية الأولى على المعلم ألا يشتت انتباه الطفل بتقديم أكثر من مثير له فى وقت واحد. بل يجب أن نساعده على التركيز، ونعرف أنه إذا عرض عليه أكثر من موضوع واحد فإنه لن يستطيع أن ينتبه إلى أى منها. وفى الناحية الأخرى يجب على المعلم أن ينوع فى تدريسه فمن شرح لإحدى الفقرات، إلى مناقشة التلاميذ، إلى استخدام السبورة أو أى وسيلة تعليمية، إلى مناقشة بين التلاميذ أنفسهم.

وهكذا لا يستمر نشاط معين على وتيرة واحدة فترة طويلة. ويستطيع المعلم بذلك أن يحتفظ بانتباه التلاميذ معه طوال الدرس.

٢ ـ تنمو قدرة التذكر نموا هائلا فى هذه المرحلة حتى يطلق العلماء عليها "العصر الذهبى للذاكرة" ويستطيع الطفل أن يحفظ ويتذكر أشياء لا يفهمها فى بداية المرحلة. ولكنه فى مجال التربية يجب أن يحرص المعلم أن تكون الخبرة المقدمة للتلميذ مفهومة دائماً. وسيجد الطفل فى النصف الثانى من هذه المرحلة صعوبة فى حفظ واستيعاب ما لايفهم.

٣ ـ أما التصور فإن الطفل بصرى. ولذا يفضل أن نكثر من استخدام الوسائل التعليمية. حيث أن هذه الوسائل تساعد الطفل على الاستيعاب والفهم.

٤ ـ تنمو القدرة على التخيل عند الطفل ويمكن أن نتخذ من هذه الحقيقة نقطة انطلاق لتنمية القدرات الابتكارية عند الطفل، ولذا يجب أن تتيح المدرسة والمنزل معاً الفرصة للطفل لأن ينطلق بخياله فى الرسم والاشغال اليدوية وفى موضوعات الإنشاء والتعبير بدون وضع قيود كثيرة مع تعليمه الأسس الصحيحة فى التعبير حتى ننمّى هذه القدرة لديهم. وحتى يمكن اكتشاف الأطفال ذوى الخيال الخصب وذوى القدرات الابتكارية فى وقت مبكر، فإذا وجدنا عناصر من هذه الفئة يجب أن تحاط بكل ما يضمن تفوقها وامتيازها.

٥ ـ يجب تدريب الطفل فى هذه المرحلة، خاصة فى العامين الأخيرين ـ الصفين الخامس والسادس، على التفكير بمعنى اكتشاف العلاقات بين الأشياء. وذلك بعرض قضايا تحوى علاقات بسيطة يمكن للطفل اكتشافها. كما يجب تدريب التلاميذ على ممارسة ألوان التفكير الأخرى. فيمكن استغلال دروس العلوم فى توضيح المنهج الاستقرائى للتلاميذ ويمكن تدريبهم على ممارسته فى المعمل كذلك يمكن الاستفادة من منهج المواد الاجتماعية فى شرح المنهج الاستدلالى فى التفكير. ومن الأهداف التربوية المنشودة أيضاً تنمية قدرة النقد واكتشاف المتناقضات والمغالطات وعدم قبول الأقوال بدون تمحيص.

٦ ـ يجب تدريب التلاميذ على إجادة القراءة الصامتة، وعلى سرعة الفهم من خلالها حيث أن هذا النوع من القراءة هو المستخدم فى الحياة اليومية، ويشجع التلميذ بأن يوفر له مجموعة من القصص والكتب العلمية والاجتماعية الشيقة لتدفعه إلى القراءة والتحصيل الذاتى.

الفصل الثالث

النمو الانفعالى فى الطفولة

أولاً : النمو الانفعالى فى سنتى المهد :

تعريف الانفعـال :

يختلف العلماء فى تعريف الانفعال حسب الزاوية التى ينظر منها كل منهم إليه، وإن كان الجميع يتفقون على أن الانفعال حالة لها مظاهرها الجسمية الظاهرة والفسيولوجية الداخلية، كما أن لها مظهرها النفسى المميز، وهى حالة عامة تشمل الجسم كله، ويشعر بها الفرد، ويستطيع فى الحالات العادية أن يعبر عنها " فالانفعال حالة يمكن ملاحظتها لما تتسم به من حركات جسمية وتعبيرات وجهية". وتكون هذه الحالة استجابة لمثيرات قد تكون خارجية أو داخلية عن طريق التذكر أو الإحساس.

تصنيف الانفعالات :

كان بعض العلماء يرى أن الطفل يولد ولديه بعض الانفعالات وهى الخوف والغضب والحب وتصبح كافة المثيرات الطبيعية مثيرة لأى من هذه الانفعالات. وتكتسب بعض المثيرات عن طريق الاشتراط خواص المثيرات الطبيعية ولكن هذه النظرية ثبت عدم صحتها بفضل بحوث "بردجز" التى انتهت إلى أن الطفل لا يولد بانفعالات معينة وإنما يكون لديه ما يمكن أن يسمى "بالتهيج العام" وهو المادة الخام التى تتشكل منها الانفعالات فيما بعد. ففى بداية الحياة لا يخبر الوليد أى انفعالات محددة. وهو رأى صحيح لأن الطفل لكى يشعر بالإثم لابد أن يعرف ما هو المحرم وما هو المباح، ولكى يشعر بالفخر لابد وأن يعرف ما هى مواطن الفخر. وهذا ما يؤكد ارتباط النمو الإدراكى عند الطفل بتنوع انفعالاته وتمايزها. فكلما نما الطفل واتسع إدراكه تنوعت أشكال الانفعال لديه وتعددت. كما يؤكد أيضاً الصفة التلازمية لجوانب النمو بمعنى أن يرتبط الارتقاء فى كل جانب بالارتقاء فى الجوانب الأخرى.

تطور الانفعالات فى سنتى المهد :

فى الشهرين الأول والثانى لا يوجد إلا الانفعال العام الذى لا نستطيع تمييز مشاعر محددة فيه وهو ما نطلق عليه "التهيج العام". وفى الشهر الثالث يظهر انفعالان متمايزان هما انفعال الارتياح وانفعال الضيق بجانب التهيج. ويعبر الطفل بالانفعال الأول عن شعوره بالشبع والرضا والدفء الأموى. ويعبر بالانفعال الثانى عن شعوره بالجوع أو المغص أو الإهمال. وفى الشهر السادس يتمايز فى انفعال الضيق ثلاثة انفعالات فرعية هى انفعالات الغضب والتقزز والخوف وفى نهاية العام الأول يتمايز انفعال الارتياح إلى حنان وزهو. وفى منتصف العام الثانى يتضح فى انفعال الحنان نوعان، حنان نحو الكبار وحنان نحو الصغار. ويمكن أن نبين تطور هذه الانفعالات فى الرسم التوضيحى الآتى:

العمر	الانفعالات
عند الميلاد	تهيج عام
٣ شهور	ارتياح - تهيج - ضيق
٦ شهور	ارتياح - تهيج - ضيق - غضب - تقزز - خوف
١٢ شهر	حنان - ارتياح - زهو - تهيج - ضيق - غضب - تقزز - خوف
١٨ شهر	حنان على الصغار - حنان على الكبار - ارتياح - زهو - تهيج - ضيق - غيرة - غضب - تقزز - خوف
٢٤ شهر	حنان على الصغار - حنان على الكبار - ارتياح - زهو - سرور - تهيج - ضيق - غيرة - غضب - تقزز - خوف

تطور الانفعالات في سنتي المهد

وهكذا نجد أنه باكتمال العام الأول يتكون لدى الطفل مجموعة متباينة من الانفعالات تشمل الحنان والزهو والغضب والتقزز والخوف والضيق بجانب الارتياح والتهيج. ويكون أقواها الغضب. ويصل غضب الطفل إلى غايته إذا أعيقت حريته أو إذا لم يستطع أن يحصل على ما يريده.

وهذا الاستعداد الشديد للغضب يلقى على الآباء واجبا يتمثل فى تنظيم إشباع حاجات الطفل الجسمية وإبعاد ما يمكن أن يثير غضبه وحنقه وعدم مقابلة غضبه وثورته بغضب وثورة مماثلة، خاصة وأن العام الثانى هو العام الذى يتعلم فيه كثير من العادات الحركية والجسمية والصحية. فهو يتعلم خلال هذا العام المشى، كما يتعلم الكلام، ويتعلم أيضاً ضبط عمليات التبول والتبرز، وفوق هذا كله يتعلم الطفل الفطام ويكون مُطالبا بأن يأكل كالكبار، وأن يتعود عادات الأكل ونظامه. كل هذه العادات والأساليب السلوكية الجديدة لا يتعلمها الطفل بسهولة، بل عن طريق المحاولة والخطأ، واكتساب المهارات المتعلقة بهذه العادات بالتدرج. وعلى الأباء أن يتحلوا بالصبر والحكمة فى تعليم الطفل وتدريبه على هذه الأشياء إذا عرفنا أن لديه استعداد للعناد والحران.

ثانيا : النمو الانفعالى فى الطفولة المبكرة :

الثورة الانفعالية :

هذه المرحلة من النمو يطلق عليها بعض علماء النفس "مرحلة الطفولة الصاخبة" أو أزمة النمو الأولى (باعتبار أن المراهقة هى أزمة النمو الثانية) لأن هذه المرحلة تتسم فى بدايتها بالثورة الانفعالية الشديدة. يبدأ الصدام بين الطفل وبيئته فى أول المرحلة، ويصل إلى قمته فى نهاية السنة الثالثة. ومظاهر هذه الثورة هى الحدة فى الا نفعالات، فكل انفعال عنده شديد عنيف. فهو عندما يفرح يفرح بشدة وعندما يغضب يغضب بعنف. ولا يقتصر الأمر على الشدة والحدة فى الانفعال وإنما تتمثل الثورة أيضاً فى التقلب الفجائى من حالة الفرح الشديدة إلى حالة الغضب الشديدة أيضاً. فهو يغضب لأتفه الأسباب غضبة شديدة ولكنه سرعان ما يتحول غضبه إلى الفرح والسرور إذا وجد ما يرضيه أو إذا أزيل سبب غضبه ولذلك فانفعالاته سطحية رغم عنفها.

أسباب الثورة الانفعالية :

١ ـ ربما كان سبب هذه الثورة هو رغبة الطفل فى تأكيد ذاته. فهو قد تعلم المشى، كما تعلم الكلام، وأصبح يأكل كما يأكل الكبار، وأصبح عنده من القوة العضلية ما يجعله يقوم بألوان من النشاط لم يكن يستطيع أن يقوم بها من قبل كما أن خياله قد نما بدرجة كبيرة. وغدا الطفل فى عامه الثالث يشعر وكأنه كائن جديد منطلق بعضلاته وبخياله معا. وأصبح شخصا مختلفا عن ذلك المخلوق الضعيف الذى كان يعتمد على أهله اعتماداً كاملا. والآن هو يريد أن ينطلق، ويريد ألاّ تعترض سبيله أية عقبات. وإذا حدثت الإعاقة يغضب ويثور، ويفرح ويسر عندما تتحقق رغباته.

٢ ـ يرتبط بالسبب السابق أن الطفل كما قلنا لا يدرك وحدات الزمن ولا يعترف إلا بما هو حاضر ولا يفهم معنى التأجيل والانتظار. فإذا أجل والده له رغبة فهو يحتج ويثور لأنه يريد تحقيقا فوريا وسريعا لكل رغبة تطرأ على ذهنه وهو أمر يتعذر تحقيقه.

٣ ـ يضيف بعض الباحثين إلى السببين السابقين سبب ثالث وهو مولد الطفل التالى، مما يسبب غيرة شديدة للطفل، إذا وجد انصرافا من والديه إلى أخيه الصغير. وربما يرجع هذا الرأى إلى أن الطفل لا يعرف الغيرة إلا فى منتصف عامه الثانى.

تكوين العواطف :

تستمر الثورة الانفعالية طوال العام الثالث. وفى العام الرابع تبدأ حدة الانفعالات تخف، وتستقر انفعالات الطفل وتتجه من التناقص إلى التكامل. فبعد أن كان الشخص موضوعاً لحب الطفل وكراهيته حسب ما يصدر من هذا الشخص من سلوك يرضيه أو يغضبه، نجد أن هذا التأرجح والتذبذب فى الانفعالات يقل حتى يستقر. ويصبح الشخص هدفا لانفعال واحد، إما حبا وإما كراهية. وهنا نقول إن "العاطفة" قد تكونت. فالعاطفة هى عادة انفعالية ثابتة. وتتخذ من الأشخاص المحيطين بالطفل موضوعاً لها. ونتوقع أن تكون أول عاطفة فى حياة الطفل السوى هى عاطفة الحب ويكون موضوعها الأم أو من يقوم مقامها. فبعد أن كانت الأم موضع سخط الطفل ورضاه حسب تلبيتها لرغباته، تصبح الأم موضوعا لحبه واحتفائه فى كل الحالات حتى فى المواقف التى ترفض فيها مطالبه أو تؤجلها، أو حتى حين تعاقبه. ثم يكوّن الطفل عاطفة نحو أبيه ثم إخوته وجيرانه وأقاربه حسب اتساع دائرة معارفه الشخصية.

عوامل انتهاء الثورة الانفعالية :

تنتهى الثورة الانفعالية فى غضون العام الرابع وأهم العوامل التى تساعد على انتهائها هى :

١ ـ بتكوين العواطف تبدأ ثورة الطفل الانفعالية فى الخمود، وتزول تماما عندما تتسع دائرة معارفه، وتشمل إخوته وجيرانه وأقاربه. ويجد الطفل فى هذا المجتمع فرصة طيبة ليصرف طاقته الانفعالية فى التعامل معه مؤكدا ذاته داخل هذا المجتمع.

٢ ـ إدراك الطفل لبعد الزمن ومعرفته بأن من المطالب مالا يتحقق تحقيقاً عاجلا بل يتأجل تحقيقه. ويساعده نضجه العقلى على ترتيب رغباته حسب أهميتها بالنسبة له.

٣ ـ مع نمو الطفل العقلى والاجتماعى يدرك أهمية حصوله على رضاء الوالدين ويعرف أن السبيل للحصول على هذا الرضا هو طاعتهما والحرص على عدم عصيانهما وتجنب ما قد يضايقهما.

٤ ـ تكوين الأنا الأعلى ـ وهو مظهر من مظاهر النمو الاجتماعى والخلقى فى هذه المرحلة ـ يساعد الطفل على أن يتعامل مع المحيطين به من صغار وكبار بصورة أكثر موضوعية وثباتا.

ثالثا: النمو الانفعالى فى الطفولة المتأخرة

تتميز هذه المرحلة بالهدوء والثبات الانفعالى بصورة واضحة، وهى سمة غالبة على الجانب الانفعالى طوال المرحلة. ويؤثر هذا الهدوء فى الجانب الانفعالى فى شخصية الطفل على جوانب أخرى كالنمو الاجتماعى، كما أنه متأثر بالتطور العقلى الذى يبلغه الطفل فى هذه السن، مما يؤكد علاقة جوانب النمو وتشابكها، وأثر بعضها على بعض.

وهذه المرحلة الهادئة انفعاليا تتوسط مرحلتين كلاهما عنيف من الناحية الانفعالية، وهما مرحلة الطفولة المبكرة ومرحلة المراهقة. وكأن انفعالات الطفل تمر بفترة استراحة تهدأ فيها وتترك المسرح لجوانب أخرى من النمو لتحقق تقدما مميّزا. ولكن هذه الانفعالات ما تلبث أن تنطلق مرة أخرى فى بداية مرحلة المراهقة.

وقد أشرنا فى الفقرة السابقة إلى عوامل انتهاء الثورة الانفعالية عند الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة. ولا بأس من الإشارة إلى أهم العوامل التى تساعد الطفل على تحقيق فترة هدوء انفعالى تمتد طوال سنوات هذه المرحلة. وأهم هذه العوامل ما يأتى:

١ ـ بعد أن كان الطفل منحصرا داخل نفسه مركزاً كل اهتمامه على تحقيق مطالبه ورغباته. فإنه يتجه مع بداية هذه المرحلة إلى العالم الخارجى، فيبدأ فى الالتفات إلى أشياء لم يكن يهتم بها من قبل، كما يبدأ فى التعامل مع الآخرين، وخاصة أنه أصبح تلميذا فى مدرسة ويوجد يومياً وسط عشرات من أقرانه، ويتعود أيضاً التعامل مع كبار آخرين غير والديه. وهذا التنوع والاتساع فى دائرة الطفل الاجتماعية يصرفه عن التركيز على مطالبه الشخصية فلا تكون هناك مبررات للثورة والغضب والتوتر الدائم الذى كان سائداً فى المرحلة السابقة مثلاً.

٢ ـ هناك أوجه كثيرة من النشاط تتيحها المدرسة والبيئة التى يخرج إليها الطفل، مما يوجد له مجالات جديدة ليعبر فيها عن طاقاته الجسمية والحركية والعقلية تعبيراً يأخذ أشكالاً أخرى غير العدوان والغضب والغيرة.

٣ ـ ولا ننسى أن تنظيم انفعالات الطفل فى شكل عواطف أو عادات انفعالية ثابتة يسهم كثيراً فى نمو الطفل انفعاليا، ويجعل انفعالات الطفل فى خدمة أهدافه الاجتماعية وليست فى خدمة مطالبه الطفلية، وحيث تكون العواطف دوافع للسلوك الاجتماعى المرغوب فيه.

٤ ـ التطور الخلقى والاجتماعى الذى يطرأ على الطفل يجعله على استعداد للتنازل عن بعض رغباته أو تأجيلها وفقا لمقتضيات الواقع وظروف المحيطين به. وهذا يقلل من فرص صدامه مع والديه أو إخوته أو أقرانه.

ولا يعنى حديثنا عن الهدوء الانفعالى فى هذه المرحلة أن الطفل لا يغضب، ولا يشعر بالغيرة، ولكن الحقيقة أن الطفل يخبر كل الانفعالات، ولكن الفرق أنه فى هذه المرحلة يغيِّر من طريقة تعبيره عن انفعالاته. فلم يعد ذلك الطفل الذى يضرب الأرض برجليه ويصرخ عندما لا يجاب إلى طلبه، بل أصبح يسلك بطريقة مختلفة، فهو قد يحتج لفظيا، وقد يناقش مشروعية طلبه، وقد يعاند إذا لم يقتنع. والطفل السوى لا يشعر بالغيرة كثيراً من إخوته وزملائه، وإذا شعر بها فإنه يعبر عن ذلك بالتهكم والسخرية والانتقاد اللفظى ممن يشعر بالغيرة تجاههم، كما أن الطفل لديه

مخاوفه ولكن مصادر الخوف تتغير، فبعد أن كـان يخـاف مـن الأصـوات و الأشياء الغريبـة والحيوانـات يخـاف الآن مـن الأشـباح ومـن الخطريـن والمجرميـن الذيـن يسمع عنهم.

ويرتبط بالنمو الانفعالى فى هذه المرحلة نمو الميـول. فممـا لا شـك فيـه أننـا فى هذه المرحلة يمكننـا أن نتحـدث وبدرجـة لا بـأس بهـا عـن الميـول عنـد الطفـل. وتختلف هذه الميول من طفل إلى آخر، ويظهر ذلك فى تفضيله لمهنـة معينـة يريد أن يعمل بها عندما يكبر. وهذا التعبير اللفظى وإن تأثر بما يسمعه من الكبار حوله، وإن كان عرضه للتغير أيضاً، فإنه يعتبر مؤشراً لميول الطفل الدراسية والمهنية. ويصرف النظر عن الفروق الفردية التى تظهر بيـن الأطفـال فـى هـذه الناحيـة فـإن هناك ميولا عامة تميز هـذه المرحلـة. ففـى النصـف الأول منهـا يغلـب علـى ميـول الأطفـال الجـانب الحسـى والحركـى ويتمثـل ذلـك فـى لعبهـم، وفـى النصـف الثـانى يظهرون الميل لتركيب الأشياء وصنعها. ويسـتطيع الطفـل فـى هـذه السـن أن يقـوم بصنع الأشياء الدقيقة لأن العضلات الصغيرة لديه قد نمت وهو يجد لـذة كبيرة فـى صنع الأشياء وفكها وتركيبها. ويغلب عليه هذا الطابع العملى إلى نهاية المرحلة.

رابعاً: بعض مشكلات النمو عند الأطفال

يرى بعض العلمـاء أن كـل الأطفـال تقريبـاً يصـدر عنهـم بعـض المشـكلات السـلوكية أو المخـاوف أو القلـق ولذلـك كـان علينـا ألا نعـد الطفـل "عصابيـا" أو "مشكلا" إلا إذا حالت كثرة هذه الاستجابات أو حدتها بينه وبين أن يؤدى وظائفه على نحو مُرض، أو حالت بينه وبيـن أن يستمتع بالتفـاعل الاجتمـاعى السوى مع غيره من الناس.

وهم محقون فى ذلك لأن الطفل فى هذه السـن يواجـه كثيراً مـن الصـعوبـات ويعانى من كل من الإحباط والقلق والتوتر والخوف، وهو أمـر طبيعـى لأنـه يدخل إلى عالم ملئ بالمثيرات بعضها سـار وبعضهـا الاخـر غير سار، وهـو لـم يكتمل إعداده للحياة بعد، ولم تتم خبرته بالدرجة الكافيـة. ويزيـد الأمـر صعوبـة أن الطفل فى هذه السن يمر بثورة انفعالية كما أسلفنا، ويغلب على سلوكه الإلحـاح فـى إجابة مطالبه بسرعة بدون تأجيل أو انتظار. ولذلك فـإن صـدور سلوك مـن الطفـل يتسم بالعناد أو التشبث أو التخريب لا يعد من قبيل الحـالات المرضيـة أو الحـالات غير الطبيعيـة التـى تسـتدعى اهتمامـا خاصـا، إلا إذا تكـرر هـذا السـلوك بصفـة دائمـة واستمر مع الطفل فترة من الزمن.

والأساليب السلوكية "الطفلية" التى تعد أساليبا مشكلة متعددة ومتنوعة وغالبا ما تظهر على شكل مجموعات كأنها "زملة" أعراض لمرض معين. ويقسم بعض الباحثين هذه الأعراض كما تظهر فى نهاية هذه المرحلة إلى أربع مجموعات هى:

أ ـ **المجموعة الأولى**: وتتألف من : السلوك العدوانى من قبيل كثرة الشجار ـ التقلبات المزاجية ـ السلبية ـ العناد ـ القابلية الشديدة للتهيج ـ الانفجارات الانفعالية ـ الغيرة ـ شدة الميل إلى المنافسة.

ب ـ **المجموعة الثانية**: وتشمل الانطواء ـ الخضوع ـ الخجل ـ غلبة النعاس على الفرد ـ التحفظ المفرط ـ قلة النشاط على المستوى العادى.

جـ ـ **المجموعة الثالثة**: وفيها نجد الاستمناء ـ الاهتمام الجنسى غير العادى ـ التهتهة أو اللجلجة.

د ـ **المجموعة الرابعة**: وتتضمن التبول اللاإرادى الليلى أو النهارى.

وهناك عوامل كثيرة ترتبط بانتشار هذه المجموعات عند الاطفال بعضها جسمى، وبعضها يتعلق بأسلوب تربية الطفل، وبالأساليب الخاطئة التى يكون قد مارسها الآباء فى تنشئة الطفل ومعاملته، من قبيل القسوة الشديدة أو التدليل المسرف أو التجاهل أو التفرقة بين الأبناء فى المعاملة أو اتباع أساليب تخلق عنده شعور بالذنب، وبعضها الثالث يتعلق بالظروف والملابسات البيئية المحيطة بالطفل من قبيل طبيعة العلاقة بين الوالدين. فمن الثابت أن أطفال المنازل المنهارة ـ التى يدب الشقاق بين الوالدين فيها ـ يعانون من هذه الأعراض أكثر مما يفعل الأطفال الذين ينشأون فى بيوت يسودها الوئام والحب والعاطفة الدافئة. كما أن حرمان الطفل المبكر من أحد الوالدين أو كلاهما بالوفاة أو بالانفصال يخلق ظروفا موائية لظهور هذه الأعراض فى سلوك الأطفال.

ومشكلات النمو عند الأطفال كثيرة ومتعددة، وهى متعددة بتعدد الأسباب أو العوامل الكامنة وراءها. وتظهر هذه المشكلات كدلالة على اختلال النمو وخروجه على الخط الطبيعى أو السوى. ويعتمد العلماء فى تصنيف مشكلات الأطفال إما على الأسباب المؤدية لهذه المشكلات أو على الأعراض نفسها كما تتبدى فى سلوك الطفل. ولكل تصنيف مزاياه وعيوبه. وهناك من التصنيفات ما

يحاول أن يُدخل فى اعتباره الأسباب والأعراض معاً. وسنعالج المشكلات التى تهمنا فى هذه المرحلة من خلال تصنيف يهتم بكلا الناحيتين الأسباب والأعراض ويقسم هذه المشكلات إلى الأقسام الثلاثة الآتية :

القسم الأول : المشكلات التى تشمل الجوانب الانفعالية وهى المشكلات التى تلعب المعاملة الوالدية والظروف البيئية دوراً واضحاً فيها، ومنها مشكلات: العناد ـ الغيرة ـ المخاوف ـ الكذب ـ السرقة ـ البوال ـ اضطرابات الكلام.

القسم الثانى : المشكلات التى تشمل الجوانب الجسمية والحسية وهى مشكلات لا تلعب المعاملة الوالدية والظروف البيئية إلا دوراً طفيفاً جداً فى بعضها فقط. ومن أمثلة هذه المشكلات: ضعف الحواس (الإبصار والسمع) ـ الشلل ـ الكساح ـ الكوريا ـ الافزيا ـ الصرع.

القسم الثالث : المشكلات التى تشمل الجوانب العقلية والذهنية. وتنحصر فى فئات الضعف العقلى. وهى مشكلات ولادية صرفة فى الأغلبية الساحقة منها وهذه الفئات هى:

الفئــة	نسبة الذكـاء	نسبة وجودهم فى المجتمع
المورونون	٦٥ ـ ٤٥	٣,١ ٪
البلهـــاء	٤٥ ـ ٢٥	٠,٦ ٪
المعتوهون	٢٥ ـ ٠	٠,١ ٪

وسنقتصر فى حديثنا على القسم الأول من المشكلات لأنه القسم الذى يمكن للمؤثرات التربوية ـ ومنها المعلم والمدرسة ـ أن تلعب دوراً فى علاجه، وفى وقاية الطفل منه. مع ملاحظة أن المشكلات الأربع الأولى تشيع فى فترة الطفولة المبكرة، بينما تشيع الأربع الأخرى فى الطفولة المتأخرة.

١ ـ مخاوف الأطفال:

يتعلم الطفل أن يخاف من بعض المثيرات وأن يقلق لظهورها، وبعض هذه المخاوف صحى ويؤدى وظيفة حيوية، كأن يحافظ الطفل على حياته أو على صحته. فإذا خاف الطفل أن يعبر الشارع وهو مزدحم بالسيارات المسرعة، أو خاف من الاقتراب من الموقد المشتعل، أو من النظر من الأماكن المرتفعة فإن ذلك خوف طبيعي. وتتغير مثيرات الخوف وإن بقى الخوف كانفعال، فقد يخاف الطفل فى البداية من الضوضاء والأشياء أو الأشخاص المرتبطين بها، وبتقدم السن يختفى الخوف من الضوضاء لكى يحل محله الخوف من الظلام واللصوص والمخلوقات الخرافية.

ومن أهم ما يثير مخاوف الطفل هو الخوف من فقدان حب والديه له. خاصة إذا كان يصدر من الوالدين ما يدعم هذا الشعور عنده. كذلك يرتبط الخوف من فقدان الأمن بالخوف من فقدان الحب، ويثوران لنفس الأسباب. فإذا افتقد الطفل الإحساس بالحب والإحساس بالأمن فقد غابت الدعامة الأساسية التى تبنى عليها الشخصية السوية، وأصبح متعذراً على الطفل أن يتمتع بالاستقرار الانفعالى فيما بعد.

ولكى نتغلب على مخاوف الأطفال يجب أن نُدخل الطمأنينة على نفوسهم وأن نؤكد لهم دائماً أنهم موضع الرعاية والحب، وأن نعطى لهم تفسيرات مقبولة لكل الأحداث والوقائع التى يرونها غريبة. وألا تسخر الأم من ابنها إذا عبر عن خوفه من أحد الأشياء، بل يجب أن تبقى بجانبه وتطمئنه حتى يذهب خوفه، وحتى يبطل الاقتران الشرطى بين المواقف المثيرة للخوف وبين شعوره بالخوف. وبالطبع يجب أن نتحاشى أن نحكى للطفل قصصا مخيفة سواء بقصد تسليته أو بقصد اخافته. وكلنا يعرف ما يحدث في بعض بيئاتنا عندما تلجأ الأمهات لتخويف أبنائهن ولإجبارهم على الطاعة إلى سرد بعض القصص المخيفة بأبطالها المرعبين المشوهين مثل "أبو رجل مسلوخة" وغيرها، مما يكون له أسوأ الأثر على نفسية الأطفال.

٢ ـ الغيرة :

الغيرة انفعال مركب ينشأ من تفاعل الإحباط والقلق. والإحباط هو الفشل فى تحقيق الرغبة، ويمتزج بالقلق والخوف من فقدان حب الوالدين وعطفهم. والغيرة

تحدث عند الطفل إذا ولد له أخ. وفى معظم الحالات يتحول جزء كبير من اهتمام الوالدين الذى كان مستأثرا به الطفل إلى الوافد الجديد. وقد لا ينتبه الوالدان إلى خطورة ذلك الموقف عندما يحولان كل اهتمامهما إلى الطفل الجديد مهملين طفلهما، الذى يجد نفسه دفعة واحدة كمًا مهملا بدون ذنب أو جريرة بعد أن كان موضع الرعاية والاهتمام. ولذلك فالغيرة تحمل عناصر الكراهية والعداء نحو الوليد الجديد، ويتمنى الطفل لأخيه بعض الأمنيات غير الطيبة، وقد يحاول إيقاع الأذى به. وقد تأخذ الرغبة فى الانتقام من هذا الدخيل الذى شاركه فى حب والديه صوراً أخرى، فينسب إليه أى تلف أو خسارة تحدث فى البيت، وينعته بالأوصاف السيئة ويتسقط له الأخطاء ويعددها أمام الآخرين. وقد وجد الباحثون أن شعور الغيرة مرتبط بالروح الاتكالية عند الطفل، لأن الطفل الاتكالى يكون فى حاجة لعطف الوالدين ورعايتهما أكثر من الطفل غير الاتكالى، ولذلك يكون فقده لهذه الرعاية أكثر إيلاما على نفسه، وبالتالى يكون أكثر حرصا عليها وتشبثا بها.

٣ ـ نوبات الغضب والعناد والصراخ :

تكثر هذه النوبات فى العام الثالث حيث قمة الثورة الانفعالية. وهى كما بيّنا إذا لم تكن متكررة وكثيرة الحدوث فهى ظاهرة طبيعية، لا شذوذ فيها، بل إنها سنة من سنن النمو السوى. ولكنها تعد مشكلة إذا تكررت كثيراً واستمرت فترات طويلة بحيث تصبح الطابع السائد لسلوك الطفل. والأسباب التى تثير غضب الطفل وعناده هى عدم رغبته فى الامتثال لأوامر الأم المتعلقة بالتغذية وبعمليات الإخراج والتدريب عليها وضرورة الالتزام بقواعد النظافة والنظام.

ويجب على الآباء ألا يقابلوا غضب الطفل بغضب مماثل، بل بالتفهم ومحاولة توضيح الأمور له وتشجيعه بكل الوسائل على أن يسلك السلوك المطلوب وأن يعتمد على نفسه، ويجب أن نتحاشى الأسباب التى تثير غضب الطفل. ولكن هذا لا يعنى أن نجيب طلباته تحت تهديده بالصراخ، لأن ذلك سيعلمه أن الصراخ وسيلة ناجحة للحصول على ما يستحقه ومالا يستحقه، ولن يعرف الحدود بين المسموح به وبين غير المسموح به.

٤ ـ السلوك التخريبى

وهذا السلوك أيضاً له مظاهره أو صوره الطبيعية باعتباره تعبير عن طاقة الطفل ولكنه يصل إلى درجة "المشكلة" إذا زاد عن حد معين. ويزيد هذا السلوك

عند الطفل الذى لا يجد لديه من الألعاب والأدوات ما يمتص طاقته الجسمية والعقلية. كما أن وجود الأماكن الفسيحة التى يستطيع فيها الأطفال أن يجروا وينطلقوا بحريتهم يقلل من فرص ميلهم نحو التخريب.

والتخريب هو بالدرجة الأولى رد فعل عند الطفل فى مواقف الإحباط والإعاقة وعدم الشعور بالراحة والأمان. وقد يكون التخريب أيضاً عند بعض الأطفال ناتج عن عدم تعليمهم المحافظة على الأثاث والأدوات والمقتنيات وكيفية الاستخدام الصحيح للأشياء، ومواجهة هذا السلوك تقتضى توفير فرص مناسبة ليصرّف فيها الطفل نشاطه وحيويته مع تعليمه المحافظة على أدوات منزله وأثاثه.

٥ ـ الكـذب :

هناك نوع من الكذب أساسه سعة الخيال، وهو يسود مرحلة الطفولة المبكرة وقد سبق أن تحدثنا عنه فى الفقرة السابقة. ويضيف علماء النفس الذين اهتموا بدراسة الكذب أنواعا أخرى من الكذب إلى هذا النوع ويصنفون هذه الأنواع كلها باعتبارها كذب برئ. والأساس فى هذا التقسيم يعتمد على الدافع الكامن وراء السلوك أما النوع الثانى من الكذب فهو الذى يكمن وراءه دوافع نفسية معينة.

ومن أمثلة النوع الأول:

- كذب الخيال ويسمى أحيانا كذب أحلام اليقظة.
- كذب مرجعه قلة دراية الطفل بالواقع وقوانينه وعدم دقته فى سرد الوقائع لضعف فى الملاحظة أو الذاكرة.
- كذب مرجعه رغبة الطفل فى القيام بعمل يؤكد فيه ذاته فهو قد يكذب ليحمى صديقا من العقاب.

وهذا النوع من الكذب ليس له خطورة فى سلوك الطفل، بل أن معظم الأطفال يمارسون صنفا أو آخر من هذا النوع. وغالبا ما يزول هذا الكذب بمجرد توجيه الطفل وتوضيح الأمور له، خاصة وأن العوامل الكامنة وراء هذا النوع مرتبطة بمستوى معين من النمو العقلى والإدراكى، ولحسن الحظ أنها تنتهى بوصول الطفل إلى مستوى أعلى.

أما النوع الثانى من الكذب فهو الذى توجد وراءه دوافع نفسية مختلفة، حيث يوجد الطفل فى بيئة تخلق لديه بعض الدوافع السلبية التى تدفعه إلى الكذب وهذه أهم أصناف هذا النوع وتعرف بدوافعها الكامنة وراءها.

ـ الكذب الانتقامى :

وفيه يكذب الطفل ليوقع الأذى بطفل أخر كنوع من الانتقام إذا كان لا يستطيع مواجهة هذا الطفل. ويرتبط هذا الكذب بضعف الأنا الأعلى. ويلجأ كثيراً من أطفال المدرسة الابتدائية إلى هذا النوع إذا وجدوا من المعلم استجابة لشكاياتهم وميلا إلى العقاب بدون التحقق من المخطئ.

ـ الكذب الدفاعى :

وفيه يكذب الطفل ليدفع عن نفسه الأذى. وهو أكثر أنواع الكذب انتشارا فى هذه المرحلة. فالطفل يسرع إلى الإنكار عند مواجهته بخطأ ارتكبه أو بعمل أتاه ترتب عليه إفساد أو إتلاف بعض الأشياء.

ـ الكذب الادعائى :

وفيه يكذب الطفل ليعوض شعوراً بالنقص يعانى منه سواء كان هذا النقص حقيقياً أو متوهما. ويلجأ إليه الأطفال الذين لا يجدون مجالاً يؤكدون فيه ذواتهم، كما يلجأ إليه الأطفال إذا وُجدوا فى مواقف يشعرون فيها أنهم أقل من الأخرين حظوة أو مكانة أو تفوقا. وبصفة عامة لا يقترف هذا النوع من الكذب إلا الأطفال الذين يعانون من شعور دفين بالنقص. وهو ما نشاهده أيضاً عند الكبار.

ـ الكذب الأنانى :

وفيه يكذب الطفل لتحقيق مصلحة لنفسه أو ليمنع نفعا لزميل لا يحبه. ويرتبط هذا النوع أيضاً بدرجة النمو الخلقى عند الطفل، ونوع النموذج أو القدوة التى كانت متاحة أمامه خاصة المتمثلة فى الوالدين.

وإذا كان النوع الأول لا يسبب إزعاجا لأنه يختفى مع تقدم النمو. فإن النوع الثانى يحتاج بالضرورة إلى نوع من التوجيه والإرشاد النفسى على أيدى

الاخصائيين الاجتماعيين والنفسيين، لأن الطفل يكون قد اكتسب هذا السلوك كوسيلة خاطئة للتكيف. وفى معظم الحالات يحتاج الآباء أيضا إلى نوع من التوجيه. ويقوم علاج هذه الحالات على معرفة دوافع السلوك ووضع خطة لعلاجها تهدف إلى إعادة تكيف الطفل تكيفا صحيحا. ولكل حالة فردية نوع خاص من العلاج يتوقف على ظروفها. ولكن هناك بعض المبادئ العامة توجه إلى آباء هؤلاء الأطفال وتفيد فى هذا السبيل أهمها:

١ ـ توفير جو المحبة والشعور بالأمن للطفل حتى لا تتولد لديه الكراهية التى تدفعه إلى الكذب الانتقامى.

٢ ـ توضيح الأدوار الاجتماعية للطفل بحيث لا يلجأ إلى الكذب الذى يحاول فيه بحسن النية أن يساعد الآخرين، وحتى يعرف الحدود الصحيحة للحقوق والواجبات.

٣ ـ التسامح مع الأطفال فى بعض المواقف، مع شرح أخطائهم لهم وإعطائهم فرصة لتصحيح ما يقعون فيه من أخطاء أو سلوك غير مرغوب فيه.

٤ ـ عدم عقاب الطفل العقاب الشديد لأن الخوف من العقاب من أهم الدوافع التى تلجئ الطفل إلى الكذب. وأن يكون العقاب إذا حدث معتدلا يتناسب مع نوع الخطأ وأن يعرف الطفل لماذا يعاقب.

٥ ـ ألا يُسمح للطفل أن يفلت بكذبه بل يجب أن نعلمه أننا عرفنا سلوكه وأن نعطيه الفرصة لتجنب الكذب حتى لا يتدعم سلوك الكذب لديه كوسيلة لتحقيق رغباته وللتخلص من المآزق التى يقع فيها.

٦ ـ السرقة :

يجب من البداية أن ننبه إلى أن السرقة عند الطفل لها مدلول يختلف عن المدلول الذى لدينا نحن الكبار، فالسرقة لدينا عمل مشين ويتنافى مع القيم. ولذا نستطيع أن نتصور مدى انزعاج الأب عندما ترسل المدرسة إليه لأن ابنه قد سرق. إنه يضطرب اضطرابا كبيراً لا يحدث له إذا قيل له إن ابنه متخلف فى الدراسة أو أنه اعتدى على أحد زملائه أو أنه منطو على نفسه ولا يشارك فى النشاط المدرسى، أو أنه عنيد لا يستمع إلى توجيهات مدرسية، وكلها مشكلات سلوكية تعبر عن سوء تكيفه فى المدرسة. والسبب يرجع كما قلنا إن للسرقة مغزى معين

لدى الكبـار. فـالأب هنـا لا يعتـبر نفسـه قد فشـل فـى تعليم ابنـه العلـم والثقافـة بـل والسلوك الطيب نفسه، وأن الطفل مهـدد بـالانحراف الخلقـى. وقد ينكـر الأب علـى المدرسة اتهامها لإبنه، ويدّعى أن ابنه من بيئة كريمة لا يخرج منها مـن يـأتى هذا المنكر. إن السرقة عند الطفل ليس لها هذا المدلـول الاجتمـاعى الأخلاقـى. بـل إننـا سنجد أنواعا من السرقة بل كثير منها يأتيه الطفل لدوافع بعيدة كل البعد عن دوافـع السرقة عند اللصوص من الكبـار. وهـذه أهـم أنـواع السـرقة مصنفـة حسـب الدافـع إليها.

١ ـ قد يسرق الطفل ليسد الرمق أو ليشبع دافع الجـوع لديـه. وتكـون السـرقة هنـا منصبة إما على أنواع من الطعام أو على النقود. وهى نادرة الحدوث وتكـاد تكون مشكلة اجتماعية أكثر منها مشكلة سيكولوجية، أى أنها تدخل فـى نطـاق المهتمين بالإصلاح الاجتماعى ومشكلات المجتمـع ونظـام العمـل والأجـور وتوزيـع الـثروة فيـه، أكثر ممـا تدخـل فـى نطـاق الأخصـائيين النفسـيين والأخصائيين الاجتماعيين.

٢ ـ قد يسرق الطفل شيئاً لأن لديه رغبة فى استخدام أو امتلاك هـذا الشـئ. فـإذا وجد الطفل مع زميل له أحـدى الأدوات المدرسـية وراقتـه فـى الوقـت الـذى لا يمتلك مثلهـا، فقد يفكـر فـى سـرقتها واسـتخدامها فـى خفيـة ليسـتمتع بلـذة ملكيتها واستعمالها. وفى هذه الحالة لا يسرق الطفل إلا ما يروقه مـن أشـياء فلا يسرق نقوداً مثلاً. وفى بعض الحالات يعيد الطفل الشئ المسـروق خفيـة أيضاً بعد أن يكون قد اسـتخدمه وحقـق رغبتـه، ولـم يصبـح لـه هـذا البريـق والجاذبية لديه.

٣ ـ يرتبط بالنوع السابق من السرقة نوع آخر يمكن تسميته "بالسـرقة البريئـة" إذا جاز التعبير، حيث يمد الطفل يده ليأخذ ممتلكات غيره مـن إخوتـه وزملائـه لأنه يرغب فى استخدامها وليس فى ذهنه فكرة عن مشروعية ما يفعـل لأنـه لا يفهم معنى الملكية الخاصة، وأن هذه الملكية تعنى ألاّ يستخدم أشياء الغـير إلا بإذنه وإلا عد ذلك اعتداء على حقوقه، وحتى لو نبهته أمه فإنـه قد يفعـل مرة أخرى لأن المعنى لم يرسخ فـى ذهنـه. ولـذا نجـده قـد يسـتخدم الأشـياء المسروقة أمام أصحابها لأنه لا يتصور أنه فعل أمراً خاطئاً.

٤ ـ في الأنواع الثلاثة السابقة كان الطفل يسرق لأنه يحتاج إلى الشئ المسروق. ولكن هناك حالات يسرق فيها الطفل، ولا يكون في حاجة إلى ما يسرقه وإنما لأن السرقة كسلوك تحقق عنده رغبة أو تشبع لديه دافع. فالطفل قد يسرق في المواقف التي تثار فيها غيرته الشديدة. فقد يسرق من والديه إذا وجد أنهما انصرفا عنه وأهملا شأنه. والسرقة هنا انتقامية كرد فعل لتجاهل الوالدين له. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد تكون السرقة نوع من التنفيس عن غضبه وحنقه المكبوت. ولذا فقد تكون الأشياء المسروقة من أشياء الوالدين وقد لاتكون، وقد يلجأ الطفل إلى سرقة زميل له يحقد عليه أو يشعر بالضيق منه أو بالغيرة تجاهه ولا يستطيع مواجهته، فيسرق أدواته وقد يحطمها لأنه لا يحتاج إليها وإنما يسرقها بقصد الانتقام.

٥ ـ هناك نوع آخر من السرقة أيضاً يرتبط بنقص الحب والرعاية اللذين ينبغي أن يتلقاهما الطفل من الوالدين أو من المحيطين به بصفة عامة. وفي هذا النوع يختار الطفل أحد الأقرباء أو أصدقاء الأسرة أو من مدرّسية يستريح له ويتوسم فيه موضوعاً لحبه وغالباً ما يكون من جنس مخالف. ويرغب الطفل في أن يقيم معه علاقة عاطفية تعوضه الحنان المفقود. فإذا لم يستجيب هذا الشخص له، ولم يلتفت إليه فإن الطفل لا يستطيع مواجهة هذا الصد، ولا يتحمل ذلك الحرمان، ويمضي في إصرار لاقامة العلاقة، ولكنها تكون في الخيال بالدرجة الأولى. وهنا يلجأ الطفل إلى سرقة أحد الأشياء من ذلك الشخص وفي العادة لا يكون للشئ المسروق قيمة مادية تذكر. ولكن الطفل يسرق هذا الشئ ويضعه في مكان ـ أمين ويتفحصه بشوق وهيام ويجد في الاحتفاظ به استمراراً للعلاقة ولذا يحرص عليه جداًء وإذا فقده فإن علاقته بموضوع حبه واهتمامه تتهدد. ويسمي علماء النفس هذه الظاهرة "بالأثرية" (Fethism) إشارة إلى ان هذا الشئ المسروق يمثل أثراً من آثار المحبوب.

وعلاج السرقة كعلاج الكذب ينصب على معرفة السبب وراءه. ونجد أن الثلاثة أنواع الأولى هي من النوع المباشر الذي يختفي، لو توافر الشئ المسروق للطفل، مع ضرورة توجيهه وإرشاده وتقوية الوازع الخلقي لديه، مع تقديم النموذج الطيب أمامه من السلوك دائماً، وكذلك من الواجبات التربوية اللازمة في هذا الموقف توضيح مفهوم الملكية الخاصة للطفل، وضرورة احترام ملكيات الآخرين حتى يحافظوا على ملكيته الخاصة.

أما النوعين الآخيرين فهما يحتاجان إلى الإرشاد النفسى وتبصير الأهل العاطفة فى حياة الطفل. وبصفة عامة فيجب أن يلقى الطفل معاملة طيبة ي العطف والتفهم. كما يجب ألا نسرع بإلصاق تهمه السرقة بالطفل قبل التحق ذلك وأن نناقشه بموضوعية حول سلوكه ونبصره بمواطن الصواب والخط انفعال أو عصبية حتى نستطيع أن نغيّر من سلوكه لأن مدلول سلوكه لا يحم ما لدينا كما ذكرنا.

٧ ـ البــوال :

يتعود الطفل عادة أن يضبط مثانته نهارا فى خلال عامه الثانى كما ي يضبطها ليلاً خلال عامه الثالث. ولكن يحدث أن بعض الأطفال يستمر ي السن فى التبول ليلاً أو نهاراً. وقد يمتد هذا السن مع البعض حتى يصل إ العاشرة وأكثر من ذلك. وهو يسمى بالبوال أو التبول اللاإرادى ويرجع الب إحدى المجموعتين الآتيتين، أو كليهما.

المجموعة الأولى :

وهى المتعلقة بالناحية العضوية كوجود عيوب فى الجهاز البولى مثل المخارج البولية أو التهابها، أو وجود خلل فى عضو آخر ولكنه يؤثر على البولى، مثل بعض أمراض النخاع الشوكى، وقد يكون العيب فى الجهاز الب النوع الوظيفى، حيث تضطرب وظيفة الجهاز بدون وجود عيوب عضوية فيه، هذا الخلل الوظيفى قد يحدث بسبب بعض الأمراض مثل الب والانكلستوما ووجود البول الحمضى المركز والضعف الجسمى العام الذ على فقر الدم وسوء التغذية واضطراب الجهاز العصبى.

المجموعة الثانية :

وهى المتعلقة بالناحية السيكلوجية وهى أن يشعر الطفل بالإحبا والحرمان من والديه والمحيطين به أو أن تحدث بعض الأمور حوله تشعر والفزع وفقدان السند. ولذا نجد هؤلاء الأطفال يتبولون على أنفسهم مباشر وقوفهم فى المواقف التى يشعرون فيها بهذه المشاعر كما لو كان التوت الذى يعانون منه يعطل وظيفة المثانة فى ضبط البول والتحكم فيه.

وكثيراً ما تتضافر المجموعتان معا فى خلق البوال عند الطفل ويمكن تلخيص علاج هذه الحالات فيما يلى :

١ ـ يفحص الطفل فحصا جسميا خاصة جهازه البولى وإذا ثبت أن به ضعفا من أى نوع أعطى الطفل العلاج المناسب من العقاقير التى تقوى الجهاز البولى وتساعده على أداء وظيفته، ولهذه العقاقير وظيفة سيكولوجية أخرى هى أنها تخفف من شعور الطفل بالقلق والتوتر وإذا كان بالطفل أمراضاً أخرى أعتقد الطبيب أنها تؤثر على الجهاز البولى فيقدم لها العلاج المناسب.

٢ ـ أما إذا ثبت أن الطفل خاليا من العيوب العضوية فإن العوامل الأساسية تتحصر فى العوامل النفسية، وتكون المسئولية هنا كاملة على الوالدين والمحيطين بالطفل أو فى المدرسة. ويمكن أن يلاحظ الأبوان فى منزلهما الجوانب الآتية فى مواجهة هذه الحالات : ـ

ـ التحلى بالصبر فى التعامل مع الطفل حيث لا يزيد إحساس الطفل بالذنب خاصة وأن الأسباب المؤدية إلى ذلك خارجة عن إرادته.

ـ محاولة تشجيع الطفل وبث الثقة فى نفسه وإفهامه أن هذا السلوك عرضى ووقتى، وأنه يستطيع أن يتغلب عليه إذا استمع إلى كلام الأبوين، ويحسن ألا يصدر من الأبوين سلوك يشعر الطفل بأنه أقل من الآخرين كالمقارنة بينه وبينهم.

ـ أن تنظم الأم مواعيد تبول الطفل حتى يساعده ذلك على ضبط مثانته وأن تعمل له نوع من التدريبات للمثانة فيمكنها بالنهار أن تعمل على إطالة المدة بين مرات التبول حتى يتعود التحكم فى هذه العملية.

ـ أن تحرص الأم على ألا يشرب الطفل كميات كبيرة من الماء قبل أن يذهب إلى الفراش حتى لا تكون مثانته مليئة، كما يمكن إيقاظه بعد نومه بساعتين أو فى وسط الليل ليفرغ ما فى مثانته، كما تحرص الأم على تدفئة الطفل جيداً أثناء نومه لأن تعرضه للبرد يضعف تحكمه فى البول.

٨ ـ التهتهة :

أكثر أمراض الكلام انتشاراً فى مرحلة الطفولة المتأخرة هى التهتهة أو اللجلجة وهى تردد أحد الحروف أو أحد المقاطع فى الكلمة أكثر من مرة. وقد

اخترنا أن نعرض للتهتهة من بين أمراض الكلام لأنها أكثر أمراض الكلام انتشاراً فى المدرسة الابتدائية ولأنها أكثر أمراض الكلام تأثراً بالعوامل النفسية وهى ما تدخل فى اختصاص المعلم أكثر من غيرها.

والكلام مهارة معقدة لأنها تعتمدُ على عدد كبير من الأجهزة العقلية والعصبية والجسمية تعمل معا فى توافق دقيق وأى خلل عضوى أو وظيفى فى أحد هذه الأجهزة ينتج عنه اضطراب فى النطق والكلام. ومن الأجهزة التى تشترك فى عملية الكلام مناطق الكلام فى المخ والحجاب الحاجز والحبال الصوتية فى الحنجرة والرئتين والتجويف الأنفى واللسان والشفتين. كل هذه الأجهزة تعمل معا وبصورة غاية فى الدقة والتكامل ليستطيع الإنسان أن ينطق ويتكلم.

ومن هنا تكثر الأسباب المؤدية إلى أمراض الكلام ويصنفها علماء النفس إلى المجموعات الآتية:

١ ـ الأسباب العقلية :

كالضعف العقلى وهى الفئات التى يقل ذكائها عن نسبة ذكاء ٥٠ حيث أن الكلام عملية عقلية سواء فى اختيار الكلمات أو تركيب الجمل.

٢ ـ الأسباب الجسمية :

كإصابة أحد أجهزة الجسم التى تشترك فى عملية الكلام كالرئتين أو التجويف الأنفى أو الحنجرة.

٣ ـ الأسباب العصبية :

كإصابة مركز الكلام فى المخ حيث أن سلامة هذه المراكز شرط ضرورى لقيام الإنسان بهذه الوظيفة بصورة طبيعية.

٤ ـ الأسباب السمعية :

الكلام هو ربط بين الموجات الصوتية التى تصل إلى سمع الفرد وبين الموجات الضوئية التى تصل إلى عين الفرد. وهنا يربط الفرد بين شكل الشئ واسمه الذى يطلق عليه. فإذا تعطلت وظيفة السمع تعطلت بالتالى وظيفة الكلام. وكثير من فاقدى النطق هم أصلا فاقدى السمع وإذا عولج السمع لديهم تمكنوا من النطق والكلام.

٥ ـ الأسباب النفسية:

مثل الخوف والرهبة والتوتر والصراع الشديد. فكل هذه الحالات النفسية العنيفة تُحدث للإنسان تعثر مؤقت فى النطق والكلام وإذا تكررت هذه المواقف كثيراً فى حياة الفرد أصبح هذا التعثر عادة دائمة عند الفرد، وهى التهتهة أو اللجلجة.

والتهتهة كأحد أمراض الكلام قد ترجع لأى من الأسباب السابقة خاصة الأسباب الجسمية أو الأسباب العصبية أو الأسباب النفسية. وتبرز الأسباب النفسية بصفة خاصة فى المقدمة. والأسباب النفسية تتمثل فى البيئة التى لا تهيئ معاملة سيكولوجية سليمة متوازنة للطفل. فالتدليل المسرف والحماية الزائدة والتفرقة فى معاملة الأبناء والتباين بين معاملة الوالد ومعاملة الوالدة والرفض والقسوة الشديدة كل هذه الأساليب التربوية الخاطئة تساعد على خلق التوتر والصراع الحاد فى نفسية الطفل وتعلمه استجابات الخوف والهلع. ولا ننسى أن نضيف إلى الأسباب المؤدية إلى التهتهة إجبار الطفل الأعسر على استخدام يده اليمنى بدلاً من اليسرى.

هذا التوتر العنيف يجد له متنفساً جسميا وهو ما يسمى بظاهرة "التبدين" أى أختيار الكائن الحى الذى يعانى من الصراع والتوتر لأحد أعضاء جسمه ليحل الصراع وينهى التوتر عن طريقه. ويظهر هذا الحل على شكل خلل فى الوظيفة التى يؤديها هذا العضو أو على شكل شلل كامل للعضو. وفى الحالات الشديدة يكون الشلل لنصف الجسم طوليا أو عرضيا وقد يكون شللاً كاملاً للجسم كله. ولا يتم اختيار العضو الذى يتعرض للشلل مصادفة وإنما لابد من توافر شرطين لحدوث هذا التبدين.

الأول : أن يكون لهذا العضو علاقة بالصراع، بحيث يؤدى توقفه إلى إعفاء المريض مما يعانيه من صراع وتوتر.

الثانى : أن يكون هذا العضو ضعيفا بالقياس إلى أعضاء الجسم الأخرى.

وكل الأمراض والأعراض الهستيرية من هذا النوع. وبناء على ما ذكرناه من أن هذا العضو أو هذه الوظيفة تتسم بالضعف نجد أن معظم المصابين بالتهتهة لديهم عيوبا ما فى بعض أجهزة النطق والكلام.

أما علاج التهتهة فيركز فى شقين، أولهما نفسى والثانى كلامى. أما الشق الأول فينحصر فى دراسة الظروف النفسية ونوع المعاملة التى تلقاها وطبيعة العلاقات السائدة فى منزله ومحاولة ترشيدها وتنقيتها مما قد يكون بها من شوائب أو انحرافات وإعادة الثقة والطمأنينة إلى نفس الطفل وإشعاره بالأمن والتقدير والتقبل وتجنيبه مواقف الإحباط والفشل القاسية. وفى المدرسة لا ينبغى أن يشركه المعلم فى بداية العلاج فى مواقف تكشف هذا القصور لديه، فلا يكلفه المدرس بالقراءة الجهرية أمام زملائه فى الفصل. أما الشئ الثانى فهو تدريبه على النطق الصحيح، وهذه يقوم بها أخصائيون نفسيون متخصصون فى أمراض النطق والكلام.

أسس عامة تراعى عند علاج هذه المشكلات

١ ـ "إن الوقاية خير من العلاج" هذا المبدأ يسود ميدان الصحة النفسية كما يسود ميدان الصحة الجسمية. بل إنه أكثر صحة فى الميدان النفسى، لأن الآثار السيئة التى تظهر على سلوك الطفل من جراء أخطاء التربية أو الجو الأسرى الفاسد ليس من السهل محوها. والعلاج النفسى يستغرق شهوراً وربما سنينا ومن هنا فإن معرفة الشروط السليمة للنمو الطبيعى ومحاولة تحقيقها بقدر الإمكان، أجدى بكثير من أى علاج مهما بلغت كفاءته.

٢ ـ فى الميدان النفسى كل مريض حالة خاصة قائمة بذاتها، بعكس ما يسود ميدان الطب الجسمى حيث يمكن وصف علاج واحد لكل مرضى الكبد أو القلب، ولكن فى ميدان الطب النفسى فإن كل مريض حالة خاصة قائمة بذاتها ولا يمكن أن يوصف علاج واحد لكل مرضى الهستيريا أو الوسواس أو الاكتئاب أو الفصام. وما يحدد لهم من عقاقير يتعاطونها ليست علاجاً كاملاً ولا يمكن الاقتصار عليها، ولابد من تناول ظروف المريض الخاصة ومعالجة الدوافع الكامنة وراء المرض، فى محاولة لإعادة بناء شخصيته من جديد. وحتى فى ميدان الاضطرابات السلوكية والأعراض البسيطة مثل المشكلات التى عرضنا لها آنفا فلابد من دراسة ظروف المريض البيئية والعائلية والنفسية، ونوع علاقاته مع المحيطين به، ثم تحديد طبيعة العوامل المسببة للأعراض ثم وضع العلاج على هذا الأساس. ولذا فلا يوجد علاج واحد لحالتين ولو متشابهتين فى الأعراض.

٣ ـ يرتبط بالنقطة السابقة نقطة أخرى هامة، وهى أن التشابه فى الأعراض لا يعنى التشابه فى الأسباب والعوامل المؤدية لهذه الأعراض. فقد نجد مجموعة من الأطفال يسرقون أو يكذبون ولكن كل منهم يسرق أو يكذب لأسباب خاصة ودوافع معينة تختلف عن الدوافع الموجودة عند الآخرين وهكذا. ومن الزاوية الأخرى فإن وحدة الأسباب لا تخلق أعراضا أو أمراضا واحدة. فقد يتعرض طفلين لعوامل تربوية واحدة ويختلف سلوكهما تماما بعد ذلك. فقد تؤدى القسوة فى المعاملة الوالدية إلى انطواء الطفل وإلى إثارة المشكلات المرتبطة بالناحية الجنسية، وقد تؤدى القسوة أيضاً إلى سلوك الجموح والشغب والتخريب والعدوان، وقد تؤدى أيضاً إلى أعراض هستيرية. وقد تحدثنا فى الفقرة السابقة عن ظاهرة التبدين، وهى حل الصراع النفسى عن طريق توقف أحد أعضاء الجسم عن العمل ليعفى المريض من التوتر والصراع. وهكذا فالسبب الواحد ينتج أعراضاً مختلفة، كما أن العرض الواحد ينتج عن أسباب مختلفة. وهكذا تتعقد خريطة الديناميات النفسية، وتؤكد صعوبة التشخيص أولاً والعلاج ثانياً واستحالة النمطية فى هذا المجال ثالثاً.

٤ ـ فى مجال علاج الاضطرابات السلوكية عند تلاميذ المدرسة الابتدائية وهم أطفال مرحلة الطفولة المتأخرة يجب التعاون الكامل بين المنزل والمدرسة. فلا يمكن للمدرسة ممثله فى المعلم أو الأخصائى الاجتماعى أو الأخصائى النفسى بالوحدة الصحية أن يعرف شيئاً عن ظروف الطفل المنزلية والعائلية إلا بتعاون المنزل الوثيق والصادق معه، كذلك لن يستطيع أن ينفذ خطة العلاج إلا إذا فهمها الوالدان واقتنعا بأهميتها وضرورتها. مع ملاحظة أن معظم هذه الحالات يحتاج الأمر فيها إلى تنوير وتثقيف وتوعية الوالدين بأساليب المعاملة الوالدية الصحيحة، وبالشروط البيئية المناسبة التى توفر للأطفال سبل النمو الطبيعى.

٥ ـ تؤكل كل الدراسات والشواهد اليومية أيضاً أهمية البيئة التى يعيش فيها الطفل والمعاملة الوالدية التى يتلقاها فى المنزل. وقد ظهرت هذه الأهمية خلال عرضنا لمشكلات الطفولة المبكرة والمتأخرة بحيث لا نحتاج إلى مزيد من التأكد ولا نجد ختاما لهذه الفقرة سوى عبارات "اليزابيث هيرلوك" عن هذا الموضوع:

" إذا عاش الطفل في بيئة تنقده	تعلم أن يلعن الآخرين "
" وإذا عاش فى بيئة تكرهه	تعلم أن يحارب الآخرين "
" وإذا عاش فى بيئة تخيفه	تعلم أن يكون متوجسا للشر "
" وإذا عاش فى بيئة تشفق عليه	تعلم أن يأسى على نفسه "
" وإذا عاش فى بيئة حقـــودة	تعلم الإحساس بالذنب "
" وإذا عاش فى بيئة تشجعه	تعلم أن يثق فى نفسه "
" وإذا عاش فى بيئة متساهلة	تعلم أن يكون مريضاً "
" وإذا عاش فى بيئة تمدحه	تعلم أن يكون قادراً "
" وإذا عاش فى بيئة تقبله	تعلم أن يكون مُحبّاً "
" وإذا عاش فى بيئة توافقه	تعلم أن يحب نفسه "
" وإذا عاش فى بيئة تنصفه	تعلم أن يقدر العدالة "
" وإذا عاش فى بيئة تأتمنه	تعلم أن يقدّر الصدق "
" وإذا عاش فى بيئة تؤمنه	تعلم أن يتعامل بصدق مع نفسه ومع الآخرين "
" وإذا عاش فى بيئة تصادقه	تعلم أن العالم مكان يستحق أن يعيش فيه "

الفصل الرابع

النمو الاجتماعى والخلقى فى الطفولة

أولاً : النمو الاجتماعى فى سنتى المهد :

لا تكون للطفل حياة اجتماعية بالمعنى المعروف فى بداية هذه المرحلة، وإنما تكون الأنشطة المرتبطة بإشباع حاجاته الفسيولوجية هى محور حياته، ولكن ذلك لا يمنع من أن الطفل يشعر بذاته فى هذه المرحلة. أى أن الأنا كجهاز نفسى يتكون فى هذه السن، ويستطيع الطفل حينئذ أن يميِّز بين ذاته وبين الآخرين ويظهر ذلك فى استخدامه لكلمتى "أنا وأنت". كما يبدى بعض مظاهر الإنصات والاستجابة لما يدور حوله من مثيرات صادرة من المحيط الاجتماعى. ويبدو أيضاً فهم الطفل للحياة الاجتماعية فى لعبه وفى حديثه إلى عرائسه ودميه. كل ذلك يجعلنا نقول إن بدايات الحياة الاجتماعية تظهر فى أول العام الثانى، حيث يصبح الطفل مهيئاً ليخبر ألوان أوسع من الممارسات الاجتماعية.

ويمكن أن نذكر بعض صور السلوك التى تبين تطور الوعى الاجتماعى عند الطفل خلال سنتى المهد :

الشهر الأول : يستجيب للأصوات البشرية بتحريك شفتيه.

الشهر الثانى : يدور برأسه ليواجه الأصوات التى تصل إليه ويكف عن البكاء عندما يحمل أو يربت على ظهره.

الشهر الثالث : يبتسم عندما يرى المحيطين به يبتسمون له.

الشهر الرابع : يبكى عندما يترك وحده ويكف عن البكاء عندما تحادثه والدته ويستطيع التعرف عليها.

الشهر السابع : يستطيع تقليد التصفيق والتحية. ويميز استجابات الرضا واستجابات الغضب من جانب الكبار.

الشهر الثامن : يحاول تقليد أصوات الآخرين.

نهاية السنة الأولى : يستجيب للنواهي. يخفي وجهه عن الغرباء.

منتصف السنة الثانية: يمكن أن يعصى بعض ما يصدر إليه من أوامر إذا كانت لا تروقه.

نهاية السنة الثانية: يستمتع بالمساعدة فى أداء بعض الأعمال المنزلية، ويفعل ذلك تأكيداً لذاته وليس تنفيذاً لأوامر أحد.

ثانياً : النمو الاجتماعى فى مرحلة الطفولة المبكرة:

يخطو الطفل خطوات واسعة على درب النضج الاجتماعى فى هذه المرحلة وأهم ملامح النمو الاجتماعى فى مرحلة الطفولة المبكرة ما يأتى :

١ ـ يشعر الطفل شيئاً فشيئاً بفرديته. ويبدأ فى إدراك ذاته ككيان مستقل ومنفصل عن الآخرين، وأن له صفاتا وسماتا تميزه عن غيره. ويترتب على ذلك أن الطفل يريد أن يؤكد ذاته النامية، فنجده يقوم ببعض الأعمال المنزلية كأن يساعد والدته فى أداء بعض المهام. كما يحاول أن يقوم ببعض الخدمات الشخصية لنفسه فنراه يحاول تغيير ملابسه وربط حذائه. وهو يؤدى هذه الأعمال تأكيداً لذاته وإثباتاً لشخصيته وليس امتثالاً لأوامر أحد. لأنه كثيراً ما يعصى أوامر والديه ويعاندهما.

٢ ـ إذا كان لعب الطفل فى المرحلة السابقة انعزاليا فلعبه فى هذه المرحلة فرديا، بمعنى أنه قد يلعب مع الآخرين فى مكان واحد، وقد يتبادل معهم الحديث ويستجيب لملاحظاتهم، ويحدث بينه وبينهم درجة من التفاعل الاجتماعى ولكنه مع ذلك يحتفظ بلعبه لنفسه ويرفض أن يشارك مع غيره فى لعبه جماعية من ألعاب الفريق (مثل كرة القدم).

٣ ـ من دلائل نضج الطفل اجتماعيا وتشربه للثقافة التى يعيش فيها أنه يستطيع أن يرد على كثير من الأسئلة بما يحقق مصلحته، ولو كان الرد يخالف الحقيقة كأن يريد أن يدفع عن نفسه عقابا أو يوقع العقاب بغيره أو يجلب لنفسه نفعاً. ويلعب الخيال النامى فى هذه المرحلة دوراً فى انتحال هذه المعاذير. ولا يمكن من الوجهة السيكولوجية أن نسمى هذا السلوك كذبا، وإن بدا من الناحية الشكلية أنه كذلك وإنما هو وسيلة من وسائل التكيف مع الحياة

الاجتماعية التى بدأ يتكشفها حوله. ويجب أن يعامل الطفل على هذا الأساس، لأن هذا السلوك عند الطفل ليس له نفس الدلالة التى لدينا نحن الكبار عنه.

٤ ـ يحدث فى هذه المرحلة بدايات انخراط الطفل فى جنسه. وتبدأ الثقافة تعمل عملها بالنسبة لتصنيفه سيكولوجيا واجتماعيا حسب جنسه، وهو ما يسمى بعملية التنميط الجنسى، فالتنميط الجنسى هو تبنى الآباء للاتجاهات التى من شأنها أن تنشئ الطفل تنشئة الجنس الذى ينتمى إليه. مع ملاحظة أن هذه الاتجاهات هى اتجاهات المجتمع. ومعظم الحضارات فى العالم على مر العصور ترى أن من الضرورى أن يكون لكل من البنين والبنات سلوك خاص بكل منهم، وكثير من أساليب التنميط الجنسى ضمنى، ولكن بعضها مباشر يتمثل فى توجيهات الآباء. فالآباء يشجعون أبناءهم الذكور على رد العدوان إذا وقع عليهم لأن ذلك من شيمة الرجال، ولا يشجعون نفس السلوك لدى البنات. ويمتدح الأباء سلوك التفوق الرياضى عند الأبناء الذكور ولا يرحبون به عند البنات لأنهم ينظرون إليه باعتباره سلوك منقص للأنوثة. وعملية التنميط هذه ضرورية لكى ينمو الطفل نمواً سليما. وإن كان الوالدان لا يحتكران وحدهما هذه العملية، فإنهما يقومان بالدور الأكبر فيها. ولذلك فإن إهمالهما فى أداء هذا الدور يسبب للطفل متاعب جمه فى حياته الاجتماعية، لأن الخلط بين السلوك الذكرى والسلوك الأنثوى لا يلق تسامحاً أو تهاونا من المجتمع أبداً.

٥ ـ وفى هذه المرحلة أيضاً تحدث أهم عمليات تنشئة الطفل وهى عملية التوحد. والتوحد هو العملية التى تجعل الطفل يسلك وكأن خصائص شخص ما أو جماعة ما هى خصائصه هو. والشخص أو الجماعة التى يتوحد معها الطفل تسمى "بالنموذج". وفى النمو السوى يتوحد الطفل مع الوالد من نفس جنسه بعد أن يمر بمرحلة يتعلق فيها بالوالد من الجنس المخالف، فالولد عند سن الثالثة يتعلق بأمه ويزيد من الالتصاق بها ويريد أن ينام بجانبها، وقد يغار من أبيه إذ يراه منافسا له فى حب أمه. والبنت كذلك ـ فى نفس السن ـ تذهب إلى أبيها وتود أن تكون دائماً معه وقد تحمل للأم مشاعر سلبية لما تلاحظه من وجود علاقة خاصة بينها وبين الأب موضوع تعلقها. وهذه عقدة أوديب الشهيرة التى قال بها مؤسس مدرسة التحليل النفسى "سيجموند فرويد" .

ولكن هذا الموقف الأوديبى ينتهى بسلام ـ إذا لم تحدث أخطاء فى التربية وإذا سارت الأمور فى مجراها الطبيعى ـ فى هذه المرحلة أيضا. وينتهى الموقف بتوحد الولد مع أبيه وتوحد البنت مع أمها. والتوحد هنا يشمل اعتناق قيم النموذج واتجاهاته، إعجابا به. ومما يجدر ذكره أن علماء التحليل النفسى يذهبون إلى أن الموقف الأوديبى قد لا يُصفّى تماما. فيبقى بعض التعلق بالوالد من الجنس المخالف ـ وبالتالى لا تكتمل عملية التوحد مع الوالد مع نفس الجنس ـ وينشأ لذلك ما يسمونه "بالعصاب الطفلى" الذى هو أساس ظهور أية أمراض نفسية أو عقلية قد يصاب بها الفرد فى مقتبل أيامه.

٦ ـ يتكون خلال هذه المرحلة أحد الأجهزة النفسية الهامة. وهو الأنا الأعلى أو الضمير . فالمعروف أن الطفل يولد وهو مزود ببعض الدوافع الفطرية مثل الدوافع الجنسية وهى ما يسميها علماء النفس "الهو" " Id " ثم يتمايز جهاز "الأنا" "Ego" عندما يشعر الطفل بفرديته وبشخصيته وبكيانه مستقلاً عن والديه وأخواته، ثم يتكون جهاز " الأنا الأعلى Super Ego ، وهو وكيل المجتمع داخل نفس الفرد. وينشأ الأنا الأعلى عندما يستدخل الطفل المبادئ والمثل والقيم والاتجاهات الاجتماعية إلى نفسه ومعنى هذا أنه يقيم رقيباً على تصرفاته فى داخله.

ولكى نبين كيف تحدث هذه العملية الهامة فى حياة الفرد، نذكر أن الطفل يولد، لا يعرف شيئاً عن الصواب والخطأ أو الخير والشر أو الحلال والحرام، وينطلق فى لعبه ونشاطه الذى يمتد ويتسع. ويحدث أن يمنعه الوالدان من إتيان بعض الأعمال أو ينهيانه عن التفوه ببعض الألفاظ أو الكلمات. لأن هذه الأعمال وتلك الألفاظ من وجهة نظر ثقافة المجتمع والتى يحرص عليها الآباء تعد عيباً أو خطأ أو حراماً، وقد ينتهى الطفل، وقد لا ينتهى، ويتمادى، فيلجأ الوالدان إلى عقابه فيعرف أن موقف الآباء إزاء بعض ألوان السلوك حازم لا تهاون فيه فيضطر إلى الامتثال لأوامر الآباء. حتى هذه المرحلة نقول إن السلطة الضابطة أو السلطة الكافة التى تمنع الطفل من إتيان الخطأ سلطة خارجية، أى خارج الطفل ممثلة فى الآباء أو الإخوة أو الكبار المحيطين بالطفل، فالطفل حتى هذه اللحظة لازال يضبط من الخارج. ولكن هذه السلطة لاتظل خارج الطفل بل إنها ـ فى الظروف السوية أيضا للنمو ـ تنتقل إلى داخل الطفل، فنجده حينذاك يمتنع عن إتيان السلوك الذى نهاه عنه والده، حتى

ولو لم يكن أحد منهما حاضراً. أى أنه يستطيع أن يأتى السلوك المخالف وهو بمأمن من عقابهما، ولكنه لايفعل لأن سلطة داخلية ـ لم تكن موجودة من قبل ـ تمنعه وتلومه وتؤنبه إن فعل، فإذا كان الطفل قد سبق له أن أخذ لعبة أخية وأخفاها ليلعب بها وحدة ومنعه أبوه من ذلك وأفهمه أن هذا السلوك سلوك معيب لا يليق فإن الطفل بعد استدخال القيم الخلقية إلى نفسه يجد اللعبة أمامه ولا تسول له نفسه أن يأخذها، لأن السلطة الداخلية التى تكونت أخيراً تمنعه من ذلك. هذه السلطة الداخلية التى تمنع الطفل عن إتيان الخطأ هى الأنا الأعلى أو النفس اللوامة.

٧ ـ يظهر عند الطفل نوع من الفضول الجنسي، ويبدو ذلك فى تطلعه إلى أجسام إخوته ورفاقه وملاحظته للفروق التشريحية بين جسم الولد وجسم البنت، وفى رغبته مشاهدة الكبار وهم يغيرون ملابسهم، إذا أمكنه ذلك، وفى سؤاله عن الفروق بين الجنسين وسببها. وسؤاله عن كيفية ميلاده، وهذه الأسئلة تدل على زيادة وعيه وعلى إدراكه للفروق بين الناس ورغبته فى معرفة ما يغمض عليه، وهى أمور تبين مدى التقدم العقلى والاجتماعى الذى يبلغه الطفل فى هذه المرحلة.

ثالثاً : النمو الاجتماعي والخلقى فى مرحلة الطفولة المتأخرة

يحرز الطفل فىهذه المرحلة تقدما كبيراً فى الناحية الاجتماعية ، وفى الحقيقة أن هذا التقدم متوقع بناء على الصفة التلازمية والعلاقات الإيجابية الموجودة بين جوانب النمو ، لأن الطفل يحرز تقدما كبيراً فى مجال النمو العقلى والإدراكى وفى مجال النمو الانفعالى، وهذا التقدم يفسح الطريق كما قلنا أمام الطفل لينفتح على البيئة والوسط الذى يعيش فيه محققاً تقدماً مماثلاً فى الجانب الاجتماعى، ويتم ذلك على حساب البطء فى النمو الجسمي الذى يهدأ فى هذه الفترة ليتصدر المسرح مرة أخرى عندما تحدث الطفرة الجنسية فى البلوغ.

ولايختلف أحد فى الحكم على الطفل فى سن السادسة حتى سن الثانية عشرة بأنه طفل اجتماعى بكل معانى الكلمة، لأنه يدرك مايدور حوله ويتفاعل معه، يقبل معايير المجتمع وثقافته ويعمل بها ويحرص على ألا يأتى سلوكا يتنافى معها، وكأنه يريد أن يثبت للمحيطين به أنه أصبح رجلا، ولم يعد ذلك الطفل الصغير. والطفل لا يفعل ذلك كله أنصياعاً للكبار فقط، ولكن لأن هذه الأساليب السلوكية وهذه الاتجاهات العقلية والاجتماعية تلقى فى نفسه قبولاً حسناً أيضاً، ولأنه يجد فى

ذلك تحقيقاً لذاته. وما ضره لو فعل، خاصة وأن ما وصل إليه من نمو عقلي وانفعالي يمكنه من ذلك. وتبدو اجتماعية الطفل في هذه المرحلة في مظاهر عديدة تشمل نواحي مختلفة وسنعالج الموضوع من خلال الزوايا الآتية :

- مظاهر النمو الاجتماعي.
- سمات النمو الاجتماعي.
- النمو الخلقي.
- الشعور الديني.

أ - مظاهر النمو الاجتماعي :

١ - يتابع الطفل باهتمام ما يجرى في وسط الكبار من جنسه. فنجد الطفل يستمع لأقوال والده ومناقشاته مع أصدقائه، ويحاول فهم هذه الآراء ويرددها وقد يتحمس لها. بينما تبدأ الفتاة في الاهتمام بما تهتم به أمها وأخواتها الكبار وتتابع أحاديثهن عن الزواج والشئون العائلية والأمور المنزلية وتبدى اهتماماً خاصا بالأزياء، وتحرص على أن تلبس ملابس معينة تبدو مناسبة لجسمها ومتناسقة في ألوانها، وتهتم بمظهرها وزينتها بوجه عام. وقد تختلف مع أختها إذا أخذت منها إحدى أدوات زينتها بعد أن كانت تسر من ذلك في المرحلة السابقة.

٢ - يظهر التقدم الاجتماعي للطفل في لعبه، فبعد أن كان لعبه انعزالياً في سنتي مهده، فردياً في طفولته المبكرة، يصبح لعبا جماعياً في هذه المرحلة، بمعنى أنه يستطيع أن يشارك في الألعاب الجماعية كعضو في فريق، ويلعب بروح الفريق. وهذه الروح تلزم كل عضو بأن يتنازل عمن جزء من ذاتيته لصالح المجموع، وأن يتقبل الخطة العامة التي يلعب بها الفريق وأن ينفذ دوره بدون تجاوز، وأن يتعاون مع بقية الأعضاء لتحقيق النصر الذي ينسب للفريق ككل وليس لفرد فيه. وهكذا يمثل تطور لعب الطفل نمواً اجتماعياً. فمن اللعب الانعزالي الذي يلعب فيه وحده ولا يطيق أن يلعب أحد بجانبه، إلى اللعب الفردي الذي يحتفظ فيه لنفسه بلعبه وإن حدث بعض التفاعل بينه وبين الآخرين من الأطفال، إلى اللعب الجماعي الذي يكاد ينتهي فيه وجوده كفرد مستقل لحساب وجوده كعضو في جماعة تعمل لتحقيق هدف مشترك.

٣ ـ تتسع دائرة الطفل الاجتماعية. ويتمثل ذلك فى وجود أصدقاء له ويستطيع أن ينتقى أصدقائه من قاعدة عريضة تتمثل فى زملائه بالمدرسة، ويكون واضحاً فى سلوكه وفى تصرفاته التفرقة بين الزملاء والأصدقاء والجيران، فالزميل هو رفيقه فى الفصل الدراسى، وقد يسأله عن بعض الأمور الدراسية، ولكن صديقه هو من يفضّل أن يذهب معه إلى المدرسة ويعود معه ويقضى فترات الاستراحة معه. وقد يكون صديقه من غير جيرانه كما قد يكون من غير فصله الدراسى. ويعتمد اختيار الصديق على التماثل فى الصفات والتشابه فى الميول.

٤ ـ يشعر الطفل فى هذه المرحلة بفرديته وذاتيته شعوراً واضحاً. ويدرك الصفات أو السمات التى يتصف بها وتميزه من الآخرين. وهذا الإدراك من مظاهر نموه العقلى والاجتماعى. وينعكس هذا الإدراك أيضاً فى تنبه الطفل إلى ما يميز الآخرين من صفات. ولذا فهو يستطيع أن يقارن بين الأفراد ليس بناء على صفاتهم الجسمية فقط ولكن على أساس سماتهم النفسية وصفاتهم الخلقية وعاداتهم السلوكية والحركية، بل إنه على استعداد لأن يقلد الأشخاص الذين لهم طابع كاريكاتورى معين، فهو يحب تقليد مدرسيه كما أنه يقلد بعض أفراد أسرته أو جيرانه أو يقلد بعض الممثلين.

٥ ـ يصبغ التعاون معظم علاقات الطفل الاجتماعية مع رفاقه وزملائه بعد أن كانت علاقات التنافس والعداء هى التى تسود علاقاته برفاقه فى المرحلة السابقة، وبعد أن كان ينظر إلى رفاقه وأخوته نظرته إلى أعداء أو منافسين أو مزاحمين له فى اللعب أو فى عطف الوالدين فإنه ينظر إليهم الآن نظرة مختلفة قوامها التعاون والتفاهم. وهكذا يتجه الطفل من الفردية الأنانية إلى الغيرية التعاونية. وهذا يفسر لنا استعداده الشديد لتكوين صداقات جديدة.

٦ ـ تظهر اجتماعية الطفل أيضاً فى موقفه من الثقافة ممثلة فى العادات والعرف والآداب المرعية فى مجال الأسرة فالطفل يحاول أن يفهم هذه العادات وتلك الآداب وأن يلتزم بها ، بل ويتيه الطفل باتباعه لهذه القواعد والالتزام بها. ويفخر على زملائه ممن لا يستطيعون ذلك. مثال ذلك أن بعض أطفال السادسة والسابعة يحاولون صوم أيام شهر رمضان رغم ما قد يجدونه من مشقة وبرغم نصائح الوالدين بالإفطار وتأجيل الصوم لسن يكون فيه أكثر نضجاً ولكن الطفل يصر على إتمام الصوم لشعوره بالسرور الممزوج بالفخر

أنه استطاع أن يسلك كما يسلك الكبار. ويظهر امتثال الطفل للأنماط الثقافية أيضاً فى طاعته لوالديه وسماعه توجيهاتهما وحرصه على ألا يخالفهما كما لو كان يخاف أن يوصف بإحدى الصفات الطفلية فى الوقت الذى يحاول فيه أن يودع مرحلة الطفولة كلها ليدخل مرحلة جديدة من عمره.

٧ ـ من مظاهر التقدم الاجتماعى أيضاً حرص الطفل على أن يحصل على مكانة طيبة بين أقرانه ونجده يعمل جاهداً وبكل الوسائل على أن يحصل على هذه المكانة . فهو على استعداد للتضحية بوقته وجهده ونقوده فى سبيل الحصول على هذه المكانة. ويشعر بالرضا والسعادة إذا احتل مكانة طيبة بين زملائه. كما يشعر بالتعاسة والإحباط إذا فشل فى احتلال مركز طيب بينهم. ولذا فإن المكانة الاجتماعية تعتبر فى هذه السن أحد الدوافع الهامة للطفل. ويرتبط بالمكانة الاجتماعية ظاهرة الزعامة أو القيادة بين الأطفال. وغالباً ما يحتل مركز القيادة أحد الأطفال المتفوقين دراسياً أو المتفوقين رياضياً أو اجتماعياً أو أحد الأطفال حسنى المظهر أو المتمتعين بروح مرحة فكاهية أو سريعو البديهة أوالطفل الذى يحوز أكبر عدد من هذه الصفات.

ب ـ سمات النمو الاجتماعى :

يتسم النمو الاجتماعى فى هذه المرحلة أو يصاحبه بعض السمات التى تميزها، علما بأن بعضها ينتهى بنهايتها والبعض الآخر يستمر إلى المرحلة التالية، ومن هذه السمات : ـ

١ ـ **القابلية الشديدة للاستهواء :** ومعناها قابلية الطفل القوية للوقوع تحت تأثير الآخرين وترتبط هذه الخاصية بخاصية عقلية أخرى هى تأخر التفكير النقدى. والتفكير النقدى ـ كما ذكرنا ـ هو ألا يقبل الفرد دون مناقشة ما يسمع أو ما يقرأ بل يعمل فكره فيه، ويكتشف نقاط القوة والصحة ونقاط الضعف أو التناقض فيما يعرض عليه. وتتأخر هذه الخاصية فى ظهورها وعملها عند الطفل إلى بداية مرحلة المراهقة. ولذا فكل الانتقادات التى يمكن أن يوجهها أطفال هذه المرحلة ليس وراءها عملية عقلية منظمة وإنما هى أقرب إلى الانطباعات وردود الأفعال التلقائية. ومع تفاعل التفكير غير النقدى مع ازدهار النمو الاجتماعى يكون الطفل على استعداد كبير للتأثر بما يسمعه من الآخرين خاصة ممن يكبرونه سنا أويشغلون أدوارا أو مراكز هامة بالنسبة

له مثل الأب أو المعلم أو الأخ الأكبر الذى يحبه. ويكون الطفل شديد التأثر بمن يشغل هذا الدور بحيث أنه يمكن أن يغيِّر من آرائه واتجاهاته حسب رغبات واتجاهات هذا الآخر. وواضح أن الطفل فى هذا الوقت يقوم بعملية توحد مع نموذج معين، والنموذج هو الشخص الذى يتأثر به الطفل. وخاصية القابلية للاستهواء من سمات هذه المرحلة، ولكنها تخف تدريجياً باقتراب الطفل من مرحلة المراهقة حتى تنتهى تماما ويحل محلها سمات مناقضة لها.

٢ - **الولاء للأصدقاء والرفقاء** : مع التفتح الذى يبديه الطفل على العالم المحيط به، ومع روح التعاون والتفاهم التى تصبغ علاقاته بزملائه، ومع رغبة الطفل فى تحقيق مكانة اجتماعية طيبة بين رفاقه وأقرانه والتزامه بالقيم الخلقية والاجتماعية السائدة فى ثقافته، فإن الطفل يجد نفسه مشدوداً إلى رفاقه، ويبدى ولاءً وإخلاصا لهم، ويكون على استعداد للتضحية فى سبيلهم بكل ما يملك، ويكون سعيداً وهو يفعل ذلك. وهى سمة تظهر فى هذه المرحلة، ولكنها تنمو حتى تكون على صورة أكبر عند المراهق.

٣ - **الفروق بين الجنسين** : تظهر الفروق بين الجنسين أوضح ما تكون فى الجانب الاجتماعى، ويبدو ذلك فى ميل كل من البنت والولد إلى الانخراط فى عالم الكبار من جنسه كما ذكرنا فى مظاهر النمو الاجتماعى، كما يبدو ذلك أيضاً فى تجمعات الأطفال. فمن يلاحظ أطفال هذه السن يجد أن البنين يتجمعون معاً، بينما تتجمع البنات فى مجموعات خاصة بهن. وتحكم كل مجموعة مبادئ شبيهة بما يسود بين الكبار. ولا يستطيع أن يقترب أحد الأولاد من شلة البنات أو العكس. ومن يفعل يكون عرضة للنقد اللاذع والسخرية المرة. ويحدث نوع من النفور والتباعد المتبادل بين شلل البنين وشلل البنات، بل إن المجموعتين تتبادلان الاتهامات عند أى احتكاك. فتتهم مجموعة البنات مجموعة البنين بالغلظة والخشونة، وتتهم مجموعة البنين مجموعة البنات بالميوعة. وتظهر خصائص كل مجموعة فى الألعاب التى تفضلها، فألعاب البنين يغلب عليها التعبير العضلى العنيف بينما تتسم ألعاب البنات بالتناسق والإيقاع.

جـ - النمو الخلقـي :

السلوك الخلقي هو نمط السلوك الذى تحدده قواعد الخلق والمعايير الاجتماعية التى يدين بها المجتمع والتى يجب أن يلتزم الأفراد بها حتى لا يتعرضون لنبذ المجتمع وعقابه. ويحكم على السلوك من الناحية الخلقية ليس على أساس نتائجه وإنما على أساس دوافعه. وعلى أساس أن تتكافأ الوسائل فى المستوى الخلقى مع غاياتها.

والنمو الخلقى الصحيح عند الطفل يتضمن ناحيتين : الناحية الأولى هى الالتزام بجادة الصواب ومقاومة الإغراء اعتماداً على التمسك بأهداب الفضيلة وبالخلق القويم كما يراه المجتمع، والعملية الثانية هى شعور الطفل بالذنب عندما يخرج على الخلق القويم والقلق الذى يعانيه عندما يرتكب أفعالاً محرمه أو ممنوعة. وقد نجد عند بعض الأطفال شعوراً واضحاً بالناحية الأولى دون الثانية، فهو يعرف مثلاً أن السرقة خطأ وعمل محرم ولكنه قد يسرق دون أن يزعجه شعور القلق أو وخز الضمير.

وقد رأينا فى الفصل السابق أن الأنا الأعلى يتكون عندما يستدخل الطفل أوامر الكبار ونواهيهم إلى نفسه ويصبح هناك مقيم عام أو وكيل دائم داخل نفس الطفل لقيم المجتمع وأخلاقياته.

وقد اهتم عدد من الباحثين بدراسة نمو الحاسة الخلقية عند الطفل. وفيما يلى نشير إلى نتائج دراسات واحد من هؤلاء الباحثين وهو كولبرج.

درس كولبرج تطور نظرة الطفل إلى بعض القيم الخلقية، والطريقة التى يفكر ويحكم بها بين القيم عندما تتعارض. فقابل عدداً كبيراً من أطفال هذه المرحلة وأوائل مرحلة المراهقة وكان يعرض على كل منهم بعض القصص ويطلب من الطفل الحكم على سلوك أبطال هذه القصص وكمثال على هذه القصص: وعد أحد الآباء ابنه الأكبر بأنه سيسمح له بالاشتراك فى معسكر صيفى إذا ما استطاع توفير مبلغ معين من المال، واستطاع الطفل بالفعل توفير هذا المبلغ، ولكن الأب عدل عن رأيه وطلب من الابن أن يعطيه المبلغ الذى وفره، فما كان من الابن إلا أن كذب على أبيه وقال له إنه لم يوفر إلا مبلغا ضئيلا وأعطاه لوالده واحتفظ بالباقى لنفسه ثم فكر الابن فى الذهاب إلى المعسكر بالمبلغ المتبقى معه. ولما عاد أخبر أخيه الأصغر بالقصة كلها. فهل يخبر الابن الأصغر أباه بما حدث؟ وكان كولبرج يحلل

تعليقات الأطفال وأحكامهم ويحاول أن يعرف ماوراء هذه الأحكام وانتهى كولبرج في بحوثه إلى أن النمو الخلقي عند الفرد يتطور عبر ثلاثة مستويات هي : ـ

المستوى الأول : مستوى ما قبل السلوك الخلقي، وفيه يسلك الطفل بناء على الثواب والعقاب كما تظهر في سلوك الآباء من وعد أو وعيد.

المستوى الثاني: مستوى السلوك الذي يؤدي إلى علاقات اجتماعية طيبة، وفيه يسلك الطفل للحصول على رضاء الجماعة الذي هو عضو فيها، وفي نفس الوقت يخشى لومها ونبذها.

المستوى الثالث: مستوى السلوك المعتمد على المبادئ والقيم الخلقية، وفيه يسلك الفرد حسب ما يمليه عليه ضميره مهتديا بالمبادئ والقيم الخلقية السائدة في المجتمع.

د ـ الشعور الديني :

الجانب الديني أحد الجوانب الهامة في نمو الطفل الخلقي والاجتماعي. لأن الدين مصدر القيم الخلقية والمبادئ والمثل التي يهتدي بها المجتمع. وتعليمات الدين هي المرجع الأساسي في تحديد قواعد الصواب والخطأ من الناحية الاجتماعية خاصة في المجتمعات المعروف عنها ظاهرة التدين كالمجتمعات العربية. ولذا كان لابد أن نتعرض لتطور الشعور الديني عند الطفل وخصائص هذا الشعور حتى يكتمل عرضنا للنمو الاجتماعي.

ويلخص المليجي (في كتابه: النمو النفسي ـ مطبعة مصر) خصائص الشعور الديني في مرحلة الطفولة المتأخرة في الخصائص الآتية : ـ

١ ـ **الواقعية** : وهي أن يتصور الطفل الله والملائكة تصوراً حيا على غرار ما يشاهد حوله من أناس وبشر. وهذا التصور طبيعي في هذه السن حيث يكون قدرة الطفل على التجريد لازالت ضعيفة. كما أن تصورات الدين لُقّنت للطفل من خلال مثيرات الثواب والعقاب. وهذا ما يجعله يتصور الجنة كحديقة واسعة غناء فيها كل ما لذ وطاب، وجهنم كقطعة من النار الملتهب.

٢ ـ **الشكلية** : ونعني بالشكلية أن الطفل لا يفهم جوهر الدين كما أنه لا يفهم كثيراً من المصطلحات والتعبيرات الدينية والتي قد يرددها، وفي مناسباتها

الصحيحة ـ وإنما هو يصدر فى ذلك عن اتجاه المسايرة للبيئة الذى يسود عنده. كما أنه إذا أدى الشعائر يؤديها امتثالاً وبحكم العادة، وقد لا يعرف المغزى من الصلاة والصوم.

٣ ـ **النفعية** : يفهم الطفل الدين فى هذه المرحلة من الناحية النفعية فهو عندما يصلى يتوقع أن يحقق الله أمانيه. وعندما يريد شيئاً معيناً فهو يهتم بأداء الشعائر الدينية. وهذا التصور للدين والإله هو امتداد لتصوره عن الأسرة ودور الوالد فيها. فهو يجد أنه عندما يتقرب من والده يحصل على ما يريد وعندما يخالفه فإنه يعاقب بالحرمان مما يريد. فالإله فى هذا التصور امتداد لدور الأب بالإضافة إلى أنه يرى من حوله الكبار يتجهون إلى الله أن يحقق لهم غايتهم وآمالهم. ويندمج الطفل فى المناسبات الدينية ذات الصبغة الاجتماعية المرحة والمبهجة. فرمضان هو الشهر الذى يلعب فيه بالفوانيس الملونة، وتكون مائدته عامرة بألوان خاصة من الطعام، وينتظر فيه المسحراتى، والعيد عنده مرتبط بالملابس الجديدة والنزهات.

٤ ـ **العنصر الاجتماعى** : الدين كأحد عناصر الثقافة يتعلمه الطفل من البيئة التى يعيش فيها، ولا يتعلمه تعلما قائماً على التلقين وحده، بل عن طريق الاكتساب غير المباشر بالقدوة والتقليد. بل إن ما يتعلمه الطفل بالقدوة والتقليد أكثر مما يتعلمه بالتلقين. وإذا ظهر تعليم الوالدين التلقينى فى تعليم الأطفال أداء الشعائر وفروضها، فإن زرع الوازع الدينى فى نفوسهم أمر يتعلموه من البيئة، بطريقة غير مقصودة وغير مباشرة.

رابعاً : رعاية النمو الاجتماعى والخلقى فى الطفولة

فى سنتى المهد

١ ـ يعرف الطفل انفعال الغضب. وما يثير غضب الطفل هو غالبا الجوع أو البلل وعلى الآباء ألا يعمدوا إلى إثارة غضب الطفل. وألا يتركوه يبكى مدة طويلة. ويحسن أن يجد الطفل من يلاعبه أو يلاطفه أثناء انشغال الأم عنه.

٢ ـ الطفل فى عامه الثانى لا يستجيب للأوامر لأنه لايفهم معناها، ولذا لا يجب على الآباء أن يتشددوا معه. ويمكن التحايل على الطفل إذا أردنا أن ننهاه عن سلوك معين. والتحايل على الطفل وتقديم البديل يختلف عن الكذب الذى يلجأ إليه الكبار أحيانا ليتخلصوا من ملاحقة الطفل لهم.

٣ ـ يجب أن يبتعد الآباء بقدر الإمكان عن اللوم والتأنيب والأساليب التى تزرع الشعور بالذنب فى نفس الطفل.

فى الطفولة المبكرة

١ ـ قواعد العقاب البدنى :

وإذا حدث وعاقبنا الطفل عقابا بدنيا فيجب أن نلتزم بشروط العقاب البدنى ومنها : ـ

أ) أن يكون العقاب بسيطاً يقصد منه الإصلاح والتقويم وليس الانتقام وإيقاع الأذى، أو على الأقل يكون العقاب مساوياً للخطأ الذى ارتكبه الطفل. وقد أثبتت البحوث أن العقاب الإصلاحى إذا صدر من الأب الحنون والمتفهم للطفل، له أفضل الأثر، ويستجيب له الطفل، ولا يكون له ردود أفعال سيئة على سيكولوجية الطفل، بل يفهمه الطفل على أنه رغبة من الأب الذى يحبه فى تعديل سلوكه إلى الأحسن.

ب) يجب أن يعرف الطفل لماذا يعاقب قبل عقابه. لأن عقاب الطفل بدون معرفته للسبب يؤدى به إلى إدراك سلوك الوالد أو الوالدة على أنه ظلم واضطهاد من جانبهما ويعتقد أنه ضحية قسوة والديه. ويكبر معه هذا الإحساس الزائف بأنه ضحية للظلم الوالدى ويخلق له كثير من المضاعفات النفسية والاجتماعية.

ج) ألاّ يتخذ الآباء من العقاب وسيلة للتشهير بالطفل فيما بعد. فبعض الآباء يلجأ إلى هذه الوسيلة لضبط سلوك الطفل حينما يذكره بالعقاب الذى سبق أن أنزله به وهو نوع من الإذلال للطفل خاصة إذا حدث أمام الآخرين ممن لا يعيشون مع الطفل.

د) يجب ألا يُؤجل العقاب إذا تقرر. بمعنى أنه إذا أتى الطفل خطأ، وأعلنه والده أو والدته أنه سيعاقب فيجب ألاّ يؤجل العقاب مع علم الطفل به. لأنه سيظل فى حالة من القلق والتوتر حتى يتم عقابه، ويصفى حسابه مع والديه. وتلجأ كثير من الأمهات ـ فى غيبة الوالد فى العمل ـ إلى إعلان الطفل أنها ستخبر والده بالخطأ الذى ارتكبه كى يعاقبه، مما يشيع الاضطراب والتوتر فى نفسه.

هـ) يجب ألاَّ يعاقب الطفل على سلوك فى إحدى المرات ثم نتجاهل نفس السلوك أو نمتدحه فى مرة أخرى، لأن ذلك سيمنع الطفل من تعلم السلوك والعادات والأساليب الصحيحة فى السلوك. حيث أن الطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية – يربط بين سلوكه ونتائج هذا السلوك. فالسلوك الذى يجد استحسانا من الآباء فهو سلوك مقبول ومسموح به والسلوك الذى يجد استهجانا سلوك مرفوض وغير مسموح به. فإذا عوقب الطفل على السلوك مرة وامتدح مرة أخرى وقع الطفل فى حيرة بالنسبة لهذا السلوك، وربما عممت هذه الحيرة إلى ألوان أخرى من السلوك. مما يحدث اضطرابا فى عملية التنشئة الاجتماعية.

٢ ـ يجب أن يبتعد الآباء بقدر الإمكان عن أساليب اللوم والتقريع والتأنيب الشديد حيث أن هذه الأساليب إذا تكررت كثيراً ما تسبب للطفل شعوراً بالذنب وإحساسا دائماً بالألم. كذلك يخطئ بعض الآباء عندما يلجأون إلى المقارنة بين الطفل وأخيه أو بينه وبين أقرانه من أولاد الجيران والأقارب إذا كانت المقارنة فى غير صالح الطفل مغفلين ما قد يكون بينه وبينهم من فروق ليس له ذنب فيها. وهذا أسلوب خاطئ بصفة عامة سواء لجأ إليه الوالد ليدفع ابنه إلى السلوك الحسن أو لجأ إليه كنوع من العقاب والإيذاء، لأن هذه المقارنة ستجعل الطفل يكوِّن مفهوما سلبياً عن نفسه لا يساعده على السلوك الحسن فيما بعد.

٣ ـ تحدث فى هذه المرحلة عملية التنميط الجنسى وهى تلك الأساليب التى من شأنها أن تجعل الطفل ينخرط فى جنسه ويسلك كما يسلك أفراد هذا الجنس. وهى عملية نفسية واجتماعية على جانب كبير من الأهمية. ويجب أن يساعد الآباء على أن تتم هذه العملية بصورة طبيعية، لأن تميع الحدود بين عالم الذكورة وعالم الأنوثة يجعل الطفل يخلط فى سلوكه مما يوقعه فى الكثير من المآزق ويعرضه لمواقف محرجة ومربكة ومؤلمة. ونجد بعض الأمهات خاصة فى الريف وفى الأحياء الشعبية بالمدن ينكرن جنس الطفل. فتقول الأم على ابنها الذكر إنه أنثى خوفاً عليه من الحسد، وقد تلبسه ملابس البنات حتى سن متأخرة. وتخطئ بعض الأمهات بصورة أكبر عندما تعامل ابنها الذكر على أنه أنثى، لأنها كانت تريده طفلة جميلة وليس ذكراً أو العكس. ويمكن أن نتصور ما يواجه الطفل الذكر عندما يلعب أو يسلك كما تسلك البنات أو العكس – من تعليقات وردود أفعال أصدقائه وزملائه.

٤ ـ تحدث فى هذه المرحلة عملية التوحد. وكما بيّنا يتوحد الطفل فى نهاية الفترة الأوديبية بالوالد من نفس الجنس. والتوحد هنا بمعنى امتصاص وتقمص شخصية النموذج وتقليده شعوريا أحيانا، لا شعوريا فى معظم الحالات. وهذا يعنى أن يكون الوالد والوالدة نماذج طيبة فى السلوك وقدوة حسنة فى التصرف.

٥ ـ تتكون فى هذه المرحلة الأنا الأعلى أو الضمير وهو السلطة التى تمنع الفرد من عمل ما لا يتفق مع القيم الاجتماعية عندما تنتقل إلى داخل الفرد. وقد أظهرت البحوث أن الطفل الذى ينشأ فى منزل يسوده الإهمال والتجاهل للطفل يتأخر لديه نمو الأنا الأعلى ويضطرب. بعكس الطفل الذى ينشأ فى منزل يهتم فيه الوالدان بتعليم الطفل الصواب والخطأ، ويشجعونه على السلوك الصحيح. ولا يخفى علينا أن الفرد ذو الأنا الأعلى المكتمل يستطيع أن يقاوم إغراءات الحياة، ويلتزم جادة الصواب بعكس الفرد ذو الأنا الأعلى الواهن الذى ينجرف سريعاً فى الطريق المنحرف فى سبيل تحقيق رغباته ونزواته.

٦ ـ يظهر عند الطفل فى هذه السن نوع من الفضول وحب الاستطلاع الجنسى، وهو من مظاهر انفتاحه على العالم المحيط به وملاحظته للفروق التشريحية بينه وبين أفراد الجنس الآخر. ولذا يجب علينا ألاّ نقابل هذا السلوك من جانب الطفل بالقسوة حيث أن دوافع الطفل لهذا العمل ودلالته تختلف عن دلالته لدينا نحن الكبار. كما يجب علينا ألا نتيح للأطفال فرصة التطلع إلى أجسام بعضهم البعض، وألاّ نتركهم فترات طويلة بمفردهم وأن ننهاهم عن خلع ملابسهم الداخلية.

فى الطفولة المتأخرة

١ ـ تظهر بدايات الميول العقلية والمهنية فى نهاية هذه المرحلة. وهذا يدعو المدرسة والآباء إلى معرفة ميول الطفل، وهذا لن يتأتى إلاّ إذا اتيحت فرصة ممارسة أكبر مجموعة ممكنة من ألوان النشاط، وسيجد الطفل نفسه مدفوعاً إلى ممارسة بعضها. وعلى المدرسة أن تعرف جوانب النشاط التى يفضلها كل طفل، وأن يسجل ذلك فى بطاقته المدرسية، حتى يمكن أن تستفيد منه المدرسة الإعدادية وأن تتابع تنمية هذه الميول.

٢ - يجب أن يجد كل طفل معاملة منزلية متوازنة حتى ينمو "الأنا" لديه قوياً، ويستطيع أن يقوم بدوره كاملاً وأن يوفق بين الدفعات الغريزية من ناحية والضمير من ناحية أخرى. ومما لاشك فيه أن أى تطرف أو مغالاة أو أخطاء فى أسلوب التربية يخلق لنا "أنا" ضعيفا لا يمكنه القيام بمسئولياته.

٣ - رأينا أن الطفل يفهم الدين بصورة شكلية، ويمارس الطقوس كنوع من المسايرة الاجتماعية. ولكنه يمكننا أن نشرح للطفل بأسلوب بسيط المفاهيم الدينية الأساسية، والحكمة من وراء فرض الفروض والشعائر حتى يمارسها وهو على علمٍ بحكمتها. كذلك فإننا يمكن أن نستغل حب الطفل فى هذه السن للقصص، ونعلّمه قصص الأنبياء والرسل، ونستخلص من حياتهم المعانى الخلقية المطلوبة، والتى تتناسب مع أطفال هذه المرحلة. كما أن هذه القصص تقرب الأنبياء إلى نفوس التلاميذ وتجعلهم يتخذونهم نماذج وقدوة لهم في السلوك وفى الخلق. وهذا هو السبيل إلى تعميق الوازع الدينى فى نفوس الأطفال.

خامساً : التربية الجنسية فى الطفولة

كثر الحديث هذه الأيام بين المربيّن والمهتمين بشئون التعليم عن مشكلة التربية الجنسية. وكانت أكثر صور المشكلة تبلوراً هى: هل تتضمن برامج الدراسة فى المدارس ما اصطلح على تسميته "التربية الجنسية" أم لا؟. وفيما يلى نعطى نبذة مختصرة عن التربية الجنسية معناها وأهدافها ومراحلها حتى نكون على بيّنة من أمر هذه المشكلة التربوية الحيوية والوثيقة الصلة بالنمو السوى للطفل والمراهق.

ماذا يقصد بالتربية الجنسية؟

يقصد بالتربية الجنسية تلك المعلومات والحقائق العلمية المتعلقة بالجوانب البيولوجية والجنسية التى تقدم للناشئة بهدف تبصيرهم بهذه الجوانب من حياة الإنسان، على أن يتم ذلك فى إطار القيم الدينية والنظم الاجتماعية والثقافية.

ما أهمية التربية الجنسية؟

وفى ضوء هذا التعريف يمكن أن نتساءل: هل نحن فى مصر فى حاجة إلى هذا النوع من التربية سواء فى المنزل أو فى المدرسة أم لا؟ من وجهة النظر التربوية والنفسية تكون الإجابة بالإيجاب، خاصة وأن توعية الشباب بهذا الجانب

الحيوى من حياتهم لا يتعارض مع القيم الدينية والخلقية للمجتمع وإخفاء هذه المعلومات عن المراهقين لا يفيدهم بشئ، بل نجدهم مدفوعين من داخلهم بالتقصى عن هذه المعلومات، وتكون مصادرهم فى هذه الحالة ليست فوق مستوى الشبهات ممثلة فى أفلام الجنس والكتب الرخيصة والصور الفاضحة والمعلومات الجنسية المشوهة عند المراهقين الأكبر سنا. وهكذا نجد أن كل مراهق يحصل على قدر من هذه المعلومات. فإذا كان الأمر كذلك فالأفضل أن نوفر له معلومات صحيحة ومن مصادر شرعية، ولايصدنا عن ذلك خجل أو حياء فلا حياء فى العلم ولا حياء فى الدين. ويكفى أن نقدم هذه المعلومات فى النور حتى يذهب هذا الطابع السرى والآثم لكل ما يتعلق بالجانب الجنسى عند المراهق، وحتى يفهم المراهق الوظيفة الصحيحة للجنس فى حياتنا.

من يقوم بالتربية الجنسية؟

وإذا اقتنعنا بأهمية وضرورة التربية الجنسية فيمكن أن نسأل: هل يقوم المنزل بهذا الدور أم تقوم به المدرسة؟ أم الاثنان معا؟ والإجابة إنه مادمنا نتكلم عن التربية الجنسية كأحد جوانب التربية العامة، فهى مسئولية المنزل كما هى مسئولية المدرسة. ولكن بالنسبة لأوضاعنا الثقافية والاجتماعية فى مصر نجد أن المنزل لم يؤهل بعد ـ فى كل البيئات تقريباً ـ للقيام بهذه المهمة مما يلقى بالعبء الأكبر على المدرسة ويضاعف مسئوليتها فى هذا المجال. ولكن ليس معنى ذلك أن المعلمين وحدهم هم الذين يحتكرون هذه المهمة، بل أن الأطباء ورجال الدين والأخصائيين الاجتماعيين والأخصائيين النفسين يساهمون أيضاً فى هذه الوظيفة، مع عدم استبعاد ولى الأمر المستنير من المشاركة. المهم أن يكون الشخص المشارك على قدر كاف من الثقافة فى العلوم المرتبطة بالمشكلة مثل العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية والعلوم الدينية وأن يكون متمتعاً أيضاً بدرجة كافية من الاتزان الانفعالى والصفات الخلقية الطيبة.

متى تبدأ التربية الجنسية؟

وإذا سألنا أنفسنا هذا السؤال، فستكون الإجابة إن هذه التربية تبدأ منذ الطفولة لأن اهتمام الطفل بالأمور الجنسية يبدأ فى طفولته الباكرة حيث يكون مهتما بالتعرف على الفروق التشريحية بينه وبين أفراد الجنس الآخر. ويسأل هذه الأسئلة إلى والدته. وغالباً لا يجد إجابة شافية، وقد يظن البعض أن التربية الجنسية لا تبدأ

إلا فى المراهقة ولكن هذا الظن خاطئ لأن الجنسية كما نعرف تبدأ مـع الطفل فـى مهده، ولذا يجب أن تبدأ التربية الجنسية فى وقت مبكر. فهى تبـدأ بإجابـة الأم علـى تساؤلات طفلها السابق ذكرها. ويجب أن تبدأ التربيـة الجنسية فـى الطفولـة حتـى لا يصل الطفل إلى سن المراهقة ولديه مفاهيم مشـوهة عـن الجنـس. أى أن التربيـة الجنسية الصحيحة فى الطفولة تساعد المراهق علـى اجتيـاز أزمـة المراهقـة بسـلام وتجنبه كثيراً من مشكلات السلوك الجنسى التى نجدها عند الكثير من المراهقين.

كيف تقدم المعلومات الجنسية؟

القاعدة الأساسية فى التربية الجنسية خاصـة فـى المنزل هـى أن المعلومـات تقدم عندما تُطلب إجابةً على سؤالٍ للطفل، على أن تكون الإجابة على قدر السؤال فقط ومستوى يتناسب مع إدراكه. فالطفل فـى طفولتـه البـاكرة يهتم بجسـمه ويتجـه بالسؤال إلى والدته عن الفرق بينه وبين أختـه أو أخيـه ولمـاذا كـانت هـذه الفـروق. وفى الطفولة المتأخرة يتحول اهتمام الطفل إلى محاولة معرفة دور الأم فـى عمليـة الإنجاب ويسألها ـ خاصة إذا كانت حاملاً ـ عـن الطفـل، وكيـف جـاء إلـى بطنهـا؟ وكيف سيأتى إلى العالم، وفى نهاية مرحلـة الطفولـة المتـأخرة نجد ميـلاً عنـده إلـى معرفة دور الأب فى الحمل والإنجاب. ولذا فـإن المعلومـات الجنسـية لا تُقدَّم مـرة واحدة إلى الطفل، ولكن حسب سنه ودرجة نضجه وفى الوقت الذى يحتاج فيه إلـى المعرفة ليكون مهيئاً لها.

ماذا نقدم من معلومات فى التربية الجنسية؟

أما ما هى المعلومات التى تقـدم للطفـل والمراهـق، وتمثـل مضمـون التربيـة الجنسية. يرى كثير من البـاحثين أن المعلومـات الآتيـة معلومـات أساسـية يجـب أن يعرفها الطفل والمراهق:

- الفروق التشريحية بين الذكر والأنثى.
- عملية التكاثر عند النبات والحيوان والإنسان.
- الفروق التى توجد بين الأفراد فى مختلف جوانب النمو الجنسى.
- الأسباب التى تؤدى إلى فروق فى الجوانب الجنسية.
- تشـريح أعضـاء الجهـاز التناسـلى كـأحد أجهـزة الجسـم كالجهـاز التنفسـى والهضمى.

- معرفة وظائف الأعضاء للجهاز التناسلى كأحد أجهزة الجسم الأخرى.
- لماذا ينزل المجتمع الدافع الجنسى وإشباعه منزلة خاصة.
- الجنس لا يمارس من جانب الأفراد إلا فى إطار الزواج. والحكمة من ذلك.
- عملية الاتصال الجنسى ووظائفها الحيوية والاجتماعية.
- الأساليب الصحيحة للاختلاط البرئ بين الجنسين كما فى الجامعات والنوادى.
- علاقة الرجل بالمرأة متعددة الجوانب وتتعدى الجانب الجنسى.

هل يكون هناك منهج مستقل للتربية الجنسية؟

ليس من الضرورى أن يشمل المعلومات السابقة منهج معين، بل إن كافة العلوم تستطيع أن تقدم هذه المعلومات فى سياق المعرفة التى تيسرها للتلاميذ، حتى يكون فهم الطفل للجنسية فهما شاملاً وطبيعياً كسنّة من سنن الطبيعة توجد عند النبات والحيوان كما هى عند الإنسان. ولذا نفضل أن يأخذ الطفل فكرة كاملة عن عمليات التكاثر فى النبات والحيوان فى البداية، بحيث تمثل هذه المعلومات مدخلاً طبيعياً لدراسة الجنسية والتكاثر عند الإنسان. ويمكن أن يُستخدم المنهج المقارن، فعند دراسة الأجزاء والأعضاء والعمليات فى النبات والحيوان يمكن أن تشير إلى الإنسان أيضاً.

الباب الثاني

المراهقة

مقدمة فى معنى المراهقة

ذكرنا أن الطفل يتسم بالهدوء الإنفعالى منذ بلوغه سن السادسة، وأن هذا الهدوء الانفعالى يصحبه تقدم فى النمو الاجتماعى واضطراد فى النمو العقلى. كما ذكرنا أن هذا التقدم فى الجوانب الانفعالية والاجتماعية والعقلية يتم على حساب النمو الجسمى، ويظل هذا الوضع إلى أن يحدث البلوغ فتنقلب الآية. حيث تخلى أنواع النمو الأخرى مكانها للنمو العضوى ليأخذ مكان الصدارة. إن هذا النمو يؤثر على بقية جوانب النمو الأخرى، فيضطرب النمو الانفعالى، ويتعثر النمو العقلى ويتأثر كذلك النمو الاجتماعى. ويستمر هذا الاضطراب قرابة العام أو العامين إلى أن تنتهى فورة النمو الجسمى وتهدأ حدة التعبيرات العضوية، ويستقر هذا الجانب فيستأنف النمو العقلى والاجتماعى والانفعالى مسيرته لتكتمل بذلك غزل الخيوط التى تنسج منها شخصية الفرد فى صورتها المكتملة.

ويرى بعض الباحثين ـ خاصة أنصار مدرسة التحليل النفسى ـ أن سمات الهدوء الإنفعالى والمسايرة الاجتماعية التى تسود فى فترة الطفولة المتأخرة وإنما هى دفاعات من الذات ضد الدفعات الجنسية العنيفة التى توشك أن تنفجر مع المراهقة. وتنجح هذه الدفاعات فى كبت الدفعات طوال مرحلة الطفولة المتأخرة. ولكن هذه الدفعات تصل إلى درجة من الشدة والعنف فى سن الثانية عشر والثالثة عشر حداً يفوق قدرة هذه الدفاعات. فتظهر الجنسية بشكل واضح وصريح مع البلوغ. ولذا يسمون فترة الطفولة المتأخرة بفترة الكمون.

كذلك يفسر هؤلاء الباحثين النشاط والحركة الزائدة والحيوية المتدفقة للطفل فى الطفولة المتأخرة بأنها محاولات من الذات للاستقلال العاطفى والنفسى عن الوالدين وفض الروابط الوجدانية والانفعالية معهما، ويرون أيضاً أن ما نجده عند الطفل فى آخر مرحلة الطفولة المتأخرة من تأمل للذات بأنه أرهاص لما سيحدث فى المرحلة القادمة عندما يكتشف المراهق ذاته ويتأملها بصورة مؤثرة فى سلوكه.

وعلى ذلك فإن التغير الذى يحدث فى بداية المراهقة ويبدو مفاجئاً للبعض لايكون فى الحقيقة كذلك. وأن الانتقال المفاجئ من الطفولة إلى المراهقة لايتم إلا فى الظاهر فقط، ولكنه على مستوى الأعماق يحدث تهيؤ وتمهيد وانتقال تدريجى للطاقة النفسية من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة.

معنى المراهقة :

المراهقة ترجمة للمصطلح Adolescence وهو يعنى فى كل اللغات اللاتينية الأصل "النمو حتى بلوغ الرشد". والمراهقة بهذا المعنى هى مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الرشد أى أنها القنطرة التى يعبرها الفرد ليصل إلى النضج الكامل الشامل ليصبح رجلاً أو امرأة. وتمتد هذه المرحلة طوال العقد الثانى تقريبا من عمر الفرد فهى تبدأ بحدوث البلوغ وتنتهى بالوصول إلى سن الرشد.

الخصائص العامة للمراهقة :

يمكن أن نشير إلى بعض الخصائص العامة لمرحلة المراهقة منها : ـ

١ ـ إذا كان من السهل تحديد بداية المراهقة فمن الصعب تحديد نهايتها. فالبداية تتمثل فى البلوغ، والبلوغ له علاماته المحددة ممثلة فى دلالات النضج الجنسى، أما النهاية فتتمثل فى النضج العقلى والانفعالى والاجتماعى وهذه ليس لها علامات محددة، وإنما يظهر هذا النضج خلال سلوك الفرد العام وطبيعة شخصيته. كما أن النضج فى هذه النواحى لا يتم فجأة أو دفعة واحدة وإنما يتم عبر حركة تذبذبية كحركة بندول الساعة، فمن سلوك ناضج إلى سلوك غير ناضج إلى أن يستقر على قطب النضج. وتحديد الوقت الذى يستقر فيه السلوك على قطب النضج يتوقف على عوامل كثيرة تظهر الفروق فى هذه الناحية بصورة واضحة. أما البداية فتعتمد كما قلنا على حدوث البلوغ بعلاماته الواضحة البيِّنة.

٢ ـ المراهقة هى المدخل إلى الرشد. وذلك لأن الفرد يصل فى نهاية مرحلة المراهقة إلى درجة من النضج الشامل لجميع جوانب نموه تؤهله لحياته الراشدة. والنضج الشامل هو أن يصل الفرد إلى النضج الجنسى من الناحية التكوينية والناحية الوظيفية معا، وإلى النضج العقلى حيث تكون جميع قدراته العقلية قد ظهرت ووصلت إلى اكتمال نموها وقد تحددت ميوله، وأن يصل إلى النضج الانفعالى كما يظهر فى ضبط السيطرة على انفعالاته وتوظيفها فى خدمة أهداف بنائية رشيدة. وأن يصل إلى النضج الاجتماعى كما يظهر من سلوكه وسط الجماعة وفى مواجهته للمشكلات والمواقف المختلفة.

٣ ـ تعتمد طول فترة المراهقة على ظروف المجتمع. لأنه إذا كان من علامات انتهاء المراهقة وصول الفرد إلى درجة النضج فمن علامات انتهائها أيضاً وصوله إلى مرحلة الاستقلال، ونعنى بالاستقلال هنا الاستقلال الاقتصادى. وبناء على ذلك نتوقع أن تقصر فترة المراهقة فى المجتمعات البدائية والمجتمعات الريفية بينما تطول فى المجتمعات الحديثة والمجتمعات المدنية والصناعية، لأن الفرد فى المجتمعات الأولى ينضج اقتصاديا فى الوقت الذى ينضج فيه جنسيا تقريبا، ويستطيع أن يعول نفسه، مما يمكنه من أن يتزوج ويكون أسرة. وبذلك يشبع دوافعه الجنسية داخل الإطار الاجتماعى المشروع بالزواج، وتنتهى بذلك مراهقته ليدخل مرحلة رشده. أما المراهق فى المجتمعات الحديثة فإن استقلاله الاقتصادى يتأخر كثيراً عن نضجه الجنسى، فهو يظل عالة على والديه طوال فترة تعليمه أو فترة إعداده للمهنة، وحتى بعد إتمام إعداده والتحاقه بالعمل، فإنه لا يحقق الاستقلال الاقتصادى السريع الذى يمكنه من تكوين الأسرة. وهذه الفترة التى تفصل بين نضج المراهق جنسيا ونضجه اقتصاديا فترة صعبة على المراهق فى المجتمعات الحديثة خاصة وأنها تطول إلى عشر سنوات تقريبا، وربما أكثر.

٤ ـ يرتبط بطول وقصر فترة المراهقة ظاهرة أخرى وهى نمط المراهقة فى كل من المجتمعين، البدائى والحديث. وينظر إلى المراهقة فى المجتمعات الحديثة باعتبارها إحدى أزمات النمو. ويظهر ذلك فى كتابات السيكولوجيين من علماء نفس النمو. فمعظم الكتاب يكتب عن مرحلة المراهقة باعتبارها أعنف أزمات النمو. وقد بدأ هذا الاتجاه مع "ستانلى هول" رائد السيكولوجيين الأمريكيين، وتبعه بقية العلماء. وهو اتجاه يقوم على المشاهدات الفعلية والواقعية لسلوك المراهقين الذى يتسم بعدم الثبات، والتوتر، والقلق، والتأرجح بين الثورة والخضوع والتحمس والرفض، والانطلاق والتقوقع. وقد أرجع علماء النفس ردود الفعل الانفعالية والاجتماعية هذه إلى طفرة النمو الجسمى، وإلى النمو والتمايز الذى يحدث فى النمو العقلى. والمراهقة من هذا المنظور أزمة بيولوجية لازمة، وسنّة من سنن الطبيعة لابد لكل مراهق أن يمر بها.

ولكن أبحاث "مرجريت ميد" و "رث بند كت" وغيرهما من الأنثروب
قدمت معطيات تعارض المنظور السابق. حيث انصبت دراساتهم على الم
البدائية والنامية ووجدوا أن المراهقة في هذه المجتمعات لا تمثل أز
الأزمات، بل أنها مرحلة عادية من مراحل النمو. وأن الطفل هناك عند
مرحلة الطفولة المتأخرة، ويصل إلى سن البلوغ يكون قد وصل إلى ا
الاقتصادى، لأنه يعمل في حرفة من الحرف منذ سنين. وتقيم القبيلة حفلة ل
الذين بلغوا سن الرشد ويدشنون كرجالا من رجالات القبيلة. وقد يختار
مراهق في نفس الحفل عروسة من فتيات القبيلة، وبذلك يواكب النضج
النضج الاقتصادى، ولا يعانى المراهق من إلحاح الدوافع غير المشبعة
الصدام في المجتمع أو من مضاعفات البحث عن الذات مما يعانيه المر
المجتمعات الحديثة.

وتوحى هذه الدراسات أن أزمة المراهقة التي نراها عند فتياتنا وفتيا
اجتماعية من فعل الظروف الاقتصادية والاجتماعية وليست أزمة بيولوجية
من فعل الطبيعة.

٥ - يصف الباحثون مرحلة المراهقة بأنها مرحلة الصراعات الداخلية
المراهق. وهذا الصراع ينتج عن رغبة المراهق في الاستقلال ع
وفى نفس الوقت عن حاجته إليهما. كما ينتج الصراع بين دوافعه
التي تتطلب إشباعاً، في الوقت الذى يمنعه الأنا الأعلى أو الضمير
ويتولد الصراع كذلك بين رغبته في الانطلاق والتحرر وبين
خضوعه للمجتمع بقيمه وتقاليده ونظمه. ومما يزيد الصراع ف
المراهق أنه مطالب باتخاذ قرارات هامة بالنسبة لنوع التعليم الذى ي
أو المهنة التي يختارها، وربما الزوجة التي يتزوجها.

٦ - المراهقة مرحلة الصدام مع السلطة في كل صورها. فالمراهق قد
بوالديه، وقد يصطدم مع مدرسيه، وقد يصطدم بالمشرف في النادى
ذلك إلى إحساس المراهق بأن هؤلاء الكبار يريدون تقييد حريته وف
يشاءون عليه مما قد لا يتفق مع رغباته. في الوقت الذى يرى أن
مصلحته ويعرف ما يناسبه، ويستطيع أن يفكر لنفسه أفضل م
والمحيطين به.

١ ـ أهمية المراهقة :

تنقسم الثروة عادة إلى نوعين:

* الثروة المادية أو الطبيعية : وهى كل ما يوجد فى باطن الأرض أو على سطحها أو فى أعماق البحار.

* الثروة البشرية أو الإنسانية : وهى الناس أو البشر ومدى قدرتهم على استقلال الثروة الطبيعية والاستفادة منها لخير الإنسان ورفاهيته.

والثروة البشرية تتمثل فى الشباب فى سن المراهقة. لأنها السن التى يختار فيها الفتى (أو الفتاة) نوع الدراسة التى يلتحق فيها أو المهنة التى يعمل فيها. وهى السن التى يتعلم فيها المهارات الفنية اللازمة لإتقان مهنة أو حرفة معينة. وهى السن التى تتبلور فيها الاتجاهات العقلية والخلقية والاجتماعية المرتبطة بالعمل والإنتاج والمجتمع. وكل ذلك يجعل مرحلة المراهقة على أكبر جانب من الأهمية سواء بالنسبة للمجتمع أو بالنسبة للفرد نفسه. فإذا نظرنا إلى المراهقة من زاوية المجتمع، سنجد أنها الفترة التى يعد فيها الفرد نفسه ليبدأ العطاء للمجتمع. ولذلك فإن وجهة النظر الاجتماعية تلزمنا ببذل كل مجهود للحفاظ على هذه الطاقة البشرية. والعمل غلى تنميتها واستثمارها أفضل استثمار ممكن، من حيث أن هذه الطاقة الإنسانية هى التى ستقوم على إنتاج الثروة البشرية وعلى الاستفادة منها. فهذه الثروة الأخيرة لا تخرج من الطبيعة قابلة للتداول، بل لابد من علاجها بعمليات الإنتاج. ومن هنا فإن أى عملية استثمار لابد أن تمر بالإنسان أولاً، لأنه محور عملية التقدم. وأى عملية تنمية أو استثمار تتجاهل الإنسان وتتجه مباشرة إلى استثمار الثروة الطبيعية مقضى عليها بالفشل. فالإنسان هو صانع التقدم عن طريق استثمار الثروات المادية. والثروات المادية وحدها لا تصنع تقدما ولا تصنع بشراً. ومن ناحية أخرى فليس أمامنا سوى الاهتمام بتنمية هذه الطاقات البشرية ممثلة فى الشباب، لأن عدم الاهتمام بها لا يعنى أننا نخسرها كطاقة بناء وطاقة إنتاج، بل أنها ستتحول إلى طاقة مدمرة لنفسها ولمجتمعها.

ومن الحقائق المسلم بها اليوم أن ثروة الشعوب لا تقاس بثرواتها الطبيعية، إنما تقاس بثرواتها البشرية. أى أن هذه الثروة لا تقاس بما فى جوف أرضها من معادن وثروات طبيعية وإنما تقاس بما فى نفوس شبابها من قدرة على أداء

الأعمال المختلفة وبنجاح. وقد يكون المجتمع غنياً بثرواته الطبيعية ولكنه فقير ضعيف تفتك به الأمراض ويعاني من كل علل التخلف. وقد يكون المجتمع فقيراً في الثروات الطبيعية، ولكنه مجتمع متقدم بكل المعايير، وأمامنا كثير من المجتمعات الأفريقية والأسيوية كنموذج على المجتمعات الأولى، وكثير من المجتمعات الأوروبية كمثل على المجتمعات الثانية.

أما إذا نظرنا إلى أهمية المراهقة من زاوية الفرد فسنجد أنها تمثل أخطر سنى الحياة للإنسان لأنها السن الذى يتحدد فيها مستقبله إلى حد كبير. وهى الفترة التى يمر فيها بكثير من الصعوبات، أو يعانى من الصراعات والقلق. ويمكن أن ينحرف الفرد فى هذه السن إذا لم يجد من لا يأخذ بيده ويعاونه فى تخطى هذه العقبات. وكثير ممن فشلوا فى حياتهم وانحرفت بهم الظروف إلى الصور اللاجتماعية من السلوك قد انحرفوا فى هذه السن. وتشهد كثيراً من التلاميذ المتفوقين دراسيا وللمتكيفين اجتماعيا طوال سنى الدراسة فى المدرسة الابتدائية والمدرسة الإعدادية نجدهم وقد تعثروا فى دراستهم الثانوية وساء تكيفهم وساءت حال بعضهم وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الجناح والجريمة. ومعنى ذلك أن سن المراهقة أشبه بعنق الزجاجة فى الحياة النفسية للفرد، من يمر فيه بسلام يضمن حياة مستقرة فى الأغلب الأعم.

ويلاحظ الكلينيكون أن كثيراً من أمراض العصاب وأمراض الذهان تتفجر فى مرحلة المراهقة حيث تكون بذورها كامنة منذ الطفولة، ونجد فى الصعوبات والصراعات العنيفة فى مرحلة المراهقة مناخا مناسبا للاندلاع. ويظهر العصاب والذهان كدليل على فشل الفرد فى مواجهة الصراع وعدم قدرته على حلها. وتكون الأعراض وسيلة التوافق الخاطئ مع المجتمع. ويتضح من ذلك أن هذه المرحلة من عمر الإنسان على جانب كبير من الأهمية فى حياة الفرد، وفى صحته النفسية. وعلى ذلك فإن الرعاية والاهتمام بالشباب من أوجب المطالب التربوية.

وفى الفصول القادمة سنتكلم عن جوانب النمو المختلفة فى مرحلة المراهقة مع ملاحظة أننا سنعالج هذه الفترة كلها كمرحلة واحدة ولن نلجأ إلى تقسيمها كما يفعل كثير من الباحثين حتى نأخذ صورة كاملة عن النمو فى هذه السن بدون تجزؤ أو تفتيت.

الفصل الخامس

النمو العضوى فى المراهقة

مقدمة :

ينقسم النمو العضوى إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : النمو الفسيولوجي :

ويقصد بالنمو الفسيولوجي تلك التغيرات الداخلية التى تحدث داخل جسم الكائن الحي، ولا نستطيع أن نراها، وإنما يمكن أن نرى آثارها على شكل الجسم وحجمه، مثل التغير الذى يحدث فى الغدد وافرازاتها.

القسم الثانى: النمو الجسمى :

ويقصد بالنمو الجسمى تلك التغيرات التى تحدث لشكل الجسم الخارجى، وحجمه فى الطول والوزن، والشكل الخاص لكل نمو من الأعضاء، والعلاقة بين نسب نمو هذه الأعضاء. وهى تتأثر إلى حد كبير بالتغيرات الفسيولوجية.

وفى حديثنا عن النمو العضوى فى مرحلة المراهقة سنشير إلى أهم مظاهر النمو وخصائصه فى كل من الناحيتين الفسيولوجية والجسمية، ثم نتكلم عن النمو الجنسى من الزاوية التى ترتبط بالنمو العضوى، قبل أن نعرض لأهم التطبيقات التربوية لهذا الجانب من النمو.

النمو الفسيولوجى

البلوغ الجنسى :

المظهر الأساسى للنمو الفسيولوجى فى مرحلة المراهقة هو البلوغ. ويتحدث البعض عن البلوغ كما لو كان مرحلة مستقلة بذاتها أو على الأقل مرحلة انتقالية بين الطفولة والمراهقة، خاصة وأنها تمتد فترة من الوقت. وتمتاز هذه الفترة

بخصائص اجتماعية وانفعالية وعقلية خاصة، وإن كان البلوغ ظاهرة عضوية فى حد ذاته. ولكننا نفضل أن نعالج البلوغ كأحد مظاهر المراهقة. فحدوث البلوغ هو إيذان ببداية مرحلة المراهقة أو هو عتبة المراهقة.

ويجب أن يكون واضحاً فى أذهاننا تماما الفرق بين البلوغ والمراهقة، حيث يشير البلوغ إلى التغيرات العضوية التى تحدث للكائن وتنتهى به إلى النضج الجنسى، أما المراهقة فتعنى جميع التغيرات العضوية وغير العضوية التى تحدث للكائن وتنتهى به إلى النضج الشامل أو الرشد كما ذكرنا. أى أن المراهقة أشمل وأعم من البلوغ وهى تتضمن البلوغ باعتباره يشير إلى النضج فى أحد الجوانب. كما أن هناك فرقا بين الجنسية والبلوغ الجنسى. فالجنسية أو مشاعر اللذة الجنسية موجودة لدى الطفل منذ ميلاده ويستشعرها عند مص أصابعه، أو اللعب بأعضائه التناسلية، ومفهوم الجنسية هنا يتسع حتى ليكاد أن يتطابق مع كل لذة جسمية كما يرى أصحاب مدرسة التحليل النفسى، أما البلوغ الجنسى فيحدث عندما تبدأ الغدد الجنسية فى الإفراز ويكون المثير فى هذه الحالة داخلى، ويدفع الفرد إلى طلب الإشباع حتى ولو لم يكن أمامه مثيرات خارجية.

غدد الجنس :

وغدة الجنس عند الأنثى هى المبيضان ووظيفتهما إفراز البويضات. ويحدث البلوغ عندما يستطيع المبيضان إفراز البويضات. وتفرز الأنثى بويضة كل ٢٨ يوم، ويتناوب المبيضان هذه المهمة وعندما يفرز المبيض البويضة فإنها تتجه إلى الرحم عبر قناة فالوب. فإذا لم تلقح فإنها تتأثر وتتفتت محتوياتها وتنزل من الرحم على شكل دم قان، وهو الطمث، علامة البلوغ الأساسية عند الإناث. أما غدة الجنس عند الذكر فهى الخصيتان وكل منهما يتكون من عدد وفير من الأنابيب المنوية يحيط بها غشاء ليفى، وتفرز الخصيتان الحبيبات المنوية والهرمونات الجنسية. وتختلط الحبيبات المنوية بالسائل المنوى الذى تفرزه غدة البروستاتا.

الأسس الفسيولوجية للبلوغ :

والأسس الفسيولوجية للبلوغ تتمثل فى أن الغدة النخامية التى سبق أن أشرنا إليها باعتبارها قائدة الغدد الصماء فى الجسم، تبدأ هذه الغدة فى إفراز ينشط الغدد التناسلية، فتنمو هذه الغدد الأخيرة، بينما تضمر كل من الغدة الصنوبرية والغدة

التيموسية "وهى غدد الطفولة ولا يحدث النضج الجنسى إلا بضمورها" ويكون من نتيجة هذا التغيير الغدّى أن يبدأ إفراز الهرمونات الجنسية وهى المبيضان والخصيتان. وإفراز هذه الهرمونات يؤدى بدوره إلى نمو الأعضاء التناسلية وايصالها إلى نموها الطبيعى فى الحجم وفى الوظيفة. هذا وتشارك أيضاً القشرة المخية فى عملية ضبط النضج الجنسى. ويقسم الباحثون فترة البلوغ إلى ثلاثة مراحل: ــ

* فى المرحلة الأولى : وتظهر المظاهر الثانوية للبلوغ مثل خشونة الصوت عند الذكور ونمو الثديين عند الإناث.
* فى المرحلة الثانية : تستمر المظاهر الثانوية فى النمو ولكن الغدد الجنسية تبدأ فى العمل والإفراز.
* فى المرحلة الثالثة : وفى المرحلة الثالثة تصل المظاهر الثانوية إلى غاية نضجها. ويأخذ كل من الذكر والأنثى الشكل النهائى للرجل الناضج والمرأة الناضجة.

متى يحدث البلوغ :

رأينا أن البلوغ يحدث عندما تبدأ الغدد الجنسية فى العمل. ويتمثل البلوغ عند الأنثى فى حدوث أول طمث، كما يتمثل عند الذكر فى حدوث أول قذف منوى وليس الطمث والقذف هما العلامتان الوحيدتان للبلوغ بل أن بعض الباحثين يعتمدون على علامات أخرى للنضج الجنسى مثل ظهور شعر العانة أو تغير الصوت أو الطفرة الجسمية. لأن الطمث مثلاً قد يحدث مرة ويتأخر عدة شهور، وفى هذه الحالة لا يحسب تاريخ البلوغ إلا عندما ينتظم الطمث فى دورة شهرية. ولكن ماذا عن موعد البلوغ عند كل من الفتى والفتاة.

أجريت دراسات عديدة اتخذت من علامات البلوغ المختلفة مؤشرات لحدوثه وأظهرت أن هناك تقارباً كبيراً بين هذه العلامات. ولكن ظهر أن هناك فروقاً فردية واضحة بين المراهقين فى موعد البلوغ، كما أظهرت الدراسات الحضارية المقارنة أن هناك فروقا بين المجتمعات بعضها وبعض، وبين البيئات الريفية من ناحية والمدنية من ناحية أخرى داخل المجتمع الواحد. كما ظهر أن للتغذية اثر فى تحديد موعد البلوغ حيث ترتبط كثرة البروتين بتبكير البلوغ، كما ترتبط المواد

الكربوهيدراتية بتأخير البلوغ، ويلاحظ البعض أن هناك ارتباطاً موجبا بين الذكاء والتبكير فى البلوغ.

ولكن المحقق أن البنات يراهقن قبل البنين بمدة تتراوح من عام إلى عامين وذلك يحدث فى كل المجتمعات والبيئات. وفى الجدول الآتى يظهر متوسطات الأعمار المختلفة عند البلوغ :ـ

العمر بالسنة	النسبة المئوية للبالغين	
	بنات	بنين
٨	—	—
٩	١ ٪	—
١٠	٢ ٪	—
١١	١٠ ٪	٢ ٪
١٢	٣٨ ٪	٥ ٪
١٣	٧٢ ٪	٤ ٪
١٤	٨٢ ٪	٤٨ ٪
١٥	٩٤ ٪	٧٨ ٪
١٦	٩٧ ٪	٩٣ ٪
١٧	٩٩ ٪	٩٨ ٪
١٨	١٠٠٪	١٠٠٪

جدول الأعمار والبلوغ الجنسى

ويظهر من الجدول أن معظم البنات يراهقن بين العامين الثانى عشر والثالث عشر. بينما يراهق معظم البنين بين العامين الرابع عشر والخامس عشر.

ويرتبط التبكير أو التأخير فى البلوغ ببعض السمات المتعلقة بتكيف المراهق أو المراهقة فالبنات اللائى يبلغن مبكراً يملن إلى الخجل والانعزالية والحاجة إلى الإشراف، بينما البنات اللائى يبلغن متأخراً يملن إلى الشعور بالوحدة والقلق بسبب تأخر البلوغ ومفهوم الذات المتدنى، أما الأولاد الذين يبلغون مبكراً فيميلون إلى أن يكونوا سعداء شاعرين بالثقة بالنفس والاستقلالية، والأولاد الذين يبلغون متأخراً فإنهم يميلون إلى الخجل والقلق ومحاولة جذب انتباه الآخرين وتأكيد تفوقهم فى مجال ما مع الوعى الزائد بالذات.

استجابة المراهقين للبلوغ :

وتختلف استجابة المراهقين والمراهقات للبلوغ. فالبعض يشعر بالفخر والبعض الثانى يشعر بالدهشة والاستغراب، بينما يشعر فريق ثالث بالحيرة. وعلى كل فالأمر بالنسبة للبنين أقل صعوبة مما هو بالنسبة للبنات، لأن البنين يتحدثون فيما بينهم – رغم أن كثيراً من المعلومات التى يتناقلها المراهقون فى المجال الجنسى خاطئة ومحرّفة – فإنها تذهب دهشة المراهق وحيرته ولا تجعله يفاجأ بالبلوغ. ولجوء المراهق الفتى إلى رفاقه ليستقى منهم المعلومات الجنسية ينبئ عن تقصير المنزل والمدرسة معاً فى ميدان التربية الجنسية. أما البنات فإن الثقافة تضرب نطاقا من السرية والكتمان حول بلوغهن حتى فى الأسرة نفسها. ولا تستطيع الفتاة أن تتحدث فى هذا الأمر إلا مع أمها التى تشجعها على هذا الكتمان. وتفاجأ الفتاة عند البلوغ أكثر مما يفاجأ الفتى. وفى إحدى الدراسات الأجنبية وجد الباحث أن استجابة المراهقات لحدوث البلوغ كانت كالآتى : –

- ٥١ ٪ أصبن بالدهشة
- ٢٤ ٪ كن غير مباليات
- ١٧ ٪ أصابهن الحزن
- ٧ ٪ كن منزعجات
- ٦ ٪ كن فخورات

١٠٠ ٪

النمو الجسمى

أهم ملامح النمو الجسمى :

١ – تحدث طفرة فى النمو الجسمى، وهذه هى طفرة النمو الثانية باعتبار أن الطفرة الأولى تقع فى أشهر الحمل وتمتد حتى منتصف العام الأول من عمر الطفل. وهذه الطفرة الحالية تحدث عند البنات قبل أن تحدث عند البنين. فهى تبدأ عند البنات فى حوالى العاشرة وتمتد حتى الرابعة عشرة. أما عند البنين فتبدأ فى الثانية عشرة لتنتهى فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة. وتبلغ

ذروة النمو الجسمى عند البنات فى الثانية عشرة أى قبل البلوغ، بينما تصل هذه الذروة عند البنين فى الرابعة عشرة أى فى فترة البلوغ نفسها. ويلاحظ أن من تحدث عندهم طفرة النمو مبكراً تنتهى مبكراً أيضاً. ومن تتأخر بدايتها لديهم تتأخر نهايتها أيضاً.

٢ ـ يرتبط نمو الطول بالنمو العظمى الطولى. ومن المعروف أن الجنسين يتساويان طولاً حتى سن الرابعة عشرة. وفى هذه السن تسبق البنت الولد حتى إذا وصلا إلى مرحلة البلوغ زاد الفرق بين طول الفتاة وطول الفتى، ويستمر هذا الفرق لصالح الفتاة حتى سن السابعة عشر. ولكن الفتى يلحقها عندما يمر بطفرة النمو لديه. وتصل الفتاة إلى أقصى طول لها حيث تتوقف قبل الفتى الذى يواصل نموه الطولى إلى سن الثامنة عشرة وعند بعض الرياضيين يستمر الطول حتى سن التاسعة عشرة وربما العشرين.

٣ ـ أما النمو العظمى العرضى ـ فيسير حسب وظيفة كل من الجنسين فى الحياة فيزداد نمو قوس الحوض عند الفتاة تمهيداً لوظائف الحمل والولادة بينما يزداد عرض المنكبين عند الفتى تمهيداً لتحمله الأعباء الجسمية وبذل المجهودات العضلية العنيفة.

٤ ـ وبالنسبة لنمو الوزن فإن الولد يظل أثقل وزناً من البنت حتى سن السابعة تقريباً ثم يتقارب الجنسان فى الوزن أو تزيد البنت عن الولد بمقدار قليل، ولكن هذا الفرق يصبح فى صالح البنات ابتداءً من سن الحادية عشر والثانية عشر أى عند بلوغ سن الرشد الجنسى. ولكن الآية تنقلب مرة أخرى فى سن السادسة عشر عندما تنتهى فترة النمو الجسمى عند النبات وتكون فى أوجها عند البنين. وفى الجدول الآتى متوسطات الأطوال والأوزان لكلا الجنسين حتى نهاية مرحلة التعليم العالى كما استخلصتها إدارة الصحة المدرسية بوزارة التربية والتعليم :

العمر	النوع	الطول	الوزن	العمر	النوع	الطول	الوزن
سنة		سنتيمتر	كجم	سنة		سنتيمتر	كجم
١٢	بنون	١٤٣,١	٣٧,١	١٨	بنون	١٦٩,٣	٢٠,٤
	بنات	١٤٧,٠٠	٣٩,٥		بنات	١٥٨,٨	٥٤,٣
١٣	بنون	١٤٨,٢	٣٩,٤	١٩	بنون	١٧٠,٠٠	٦٢,٥
	بنات	١٥١,٢	٤٤,٦		بنات	١٥٨,٨	٥٤,٤
١٤	بنون	١٥٣,٥	٤٤,١	٢٠	بنون	١٧٠,٦	٦٣,٦
	بنات	١٥٤,٦	٤٦,٩		بنات	١٥٩,١	٥٥,٦
١٥	بنون	١٥٩,١	٤٨,٨	٢١	بنون	١٧٠,٨	٦٥,٧
	بنات	١٥٧,١	٥٠,٥		بنات	١٥٩,٣	٥٥,٨
١٦	بنون	١٦٤,٦	٥٤,٢	٢٢	بنون	١٧٠,٩	٦٥,٧
	بنات	١٥٧,٥	٥٢,٤		بنات	١٥٩,٤	٥٦,٠٠
١٧	بنون	١٦٧,٦	٥٨,٨	٢٣	بنون	١٧٢,٨	٦٨,٥
	بنات	١٥٧,٨	٥٣,٨		بنات	١٥٩,٧	٥٦,٩

٥ ـ إذا كان النمو الفسيولوجي يختص بالخصائص الجنسية الأولية ـ كما فى نمو الأعضاء التناسلية من الناحية التكوينية والناحية الوظيفية، فإن النمو الجسمى يختص بالخصائص الجنسية الثانوية ممثلة فى التغييرات الجسمية التى تحدث لكل من الفتى والفتاة فى هذه المرحلة، والتى تعطى لكل منهما الشكل المميِّز للراشد من جنسه. فبالنسبة للبنات يتركز الدهن فى أجزاء معينة من الجسم خاصة عند الأرداف وفى الثديين، ويستدير أعلى الفخذ، ويظهر الشعر على العانة وتحت الإبط، كما يظهر شعر خفيف على الذراعين والساقين وعلى الشفاه العليا أيضاً، ويخفض الصوت ويعمق. أما بالنسبة للفتيان فينمو شعر الذقن والشارب ويغلظ الصوت ويخشن ويظهر الشعر على الذراعين والساقين وينمو الشعر على العانة وتحت الإبط وعلى الصدر.

٦ ـ يشعر كثير من المراهقين بالخجل من جراء سرعة النمو الجسمى خاصة وأن النمو يكون فى البداية غير متناسق. ولكل جانب من جوانب النمو وقت

معين يبلغ فيه ذروته. ويعمد المراهق إلى إخفاء ما يعتقد أنه يسئ إلى مظهره الذى تعود أن يراه الآخرون عليه فيخفى يديه ويمشى أحياناً وهو منحنى الظهر خجلاً من طول قامته، وخاصة إذا كان أطول من أقرانه بكثير، كذلك تشعر الفتاة بالحرج عندما تجد أجزاء من جسمها تكبر وتبرز بصورة ملفتة للنظر، ويزداد حرصها إذا جرت أو إذا سارت مسرعة حيث تهتز هذه الأجزاء اهتزازاً واضحاً. ويحدث ذلك خصوصا فى أول المرحلة، كما قد تتبع بعض الفتيات نظاما غذائيا خاصا توّهما منهن أن ذلك يقلل من حجم أردافهن. ومن الأمور التي تقلق بال المراهق أن النمو لا يسير متوازيا، فلا يبدو أن هناك تناسقاً فى جسمه. وقد يضايقه ظهور بعض البثور على وجهه.

٧ ـ تكون حركة المراهق خاصة فى أول المرحلة غير دقيقة، ويمكن أن يصطدم أثناء سيره بقطع الأثاث كما أنه غير دقيق عندما ينقل الأشياء من مكان لآخر وسرعان ما يشعر بالإجهاد لأقل مجهود يبذله، ويرجع ذلك إلى التغييرات العضوية وردود فعلها فى الجسم. ولكنه يصل إلى الاستقرار والتآزر التام فى النمو الحركى فى نهاية المرحلة.

الذات الجسمية :

يقلق المراهق جداً على مظهره ويحرص على أن يبدو بمظهر جسمى جذاب، فهو بعد أن يمر بفترة الدهشة والاستغراب على جسمه فى بداية المرحلة، يبدأ فى تقبل جسمه بشرط أن يكون هناك درجة من التناسق بين الطول والوزن، وألا تترك هذه الطفرة بعض العيوب أو القصور فى جسمه، حتى لا تسبب له السخرية من الآخرين، فهو حساس جداً لرأى الآخرين فى قوامه وشكله. ويكوّن فكرة عن جسمه مستمدة من فكرة الآخرين عنه ــ كما يظهر فى تعبيراتهم وملاحظاتهم وتفهمهم لجسمه. ويظهر من ذلك أن المراهق يكوّن فكرة عن جسمه، أو تصوراً خاصا به يكون له رمز نفسى لديه وهو يسمى "بالذات الجسمية" وعلى قدر ما يكون هناك من تناسق معين بين نسب مختلف أجزاء الجسم يكوّن المراهق فكرة مقبولة عن جسمه، وبالتالى تكون الذات الجسمية لديه إيجابية. وتتغير فكرة المراهق عن جسمه إذا أصيب فى حادث أو تعرض لمرض غيَّر من شكله أو أضرَّ بنسب جسمه. ويتضايق المراهق كلما بعدت المقاييس الفعلية لجسمه "الذات

الواقعية الجسمية" عن المقاييس المثالية التى يرسمها لجسمه فى ذهنه "الذات المثالية الجسمية" ويحاول إيجاد نوع من التطابق بين الذاتين بتغيير فكرته عن جسمه إذا لم يستطيع تغيير الصورة الواقعية.

وإذا كان المراهق يهتم بلفت انتباه الجنس الاخر فإن الجسم يلعب فى هذه العملية دوراً رئيسياً. فهو يريد أن يكون له جسم جذاب يحوز إعجاب أفراد الجنس الأخر وهو كما يتأمل أجسام الاخرين يتأمل جسمه أيضاً، فيقارن بين جسمه وأجسامهم. ولا يقتصر الاهتمام على شكل الجسم فقط بل على قوة العضلات والصحة الجسمية والمهارات الحركية، وبل على الملابس التى تظهر هذه المزايا. وإذا سألنا عما يلفت نظر كل جنس فى الجنس الأخر فسنجد أن الصفات الجسمية تحتل مكانة هامة بين هذه الصفات، فقد سجل الباحثون أن من الخصائص التى يفضلها المراهقون فى المراهقات: الشخصية ـ المظهر الحسن ـ حسن الحديث ـ الإصغاء ـ الأنوثة ـ المهارات الحركية ـ الذكاء ـ سرعة البديهة ـ تذوق الفكاهة قلة استخدام مساحيق الزينة وأدوات التجميل. أما الخصائص التى تفضلها المراهقات فى المراهقين: الشخصية ـ التوافق الاجتماعى ـ البناء الجسمى الحسن ـ حسن الحديث ـ الإصغاء ـ الذكاء ـ سرعة البديهة ـ تذوق الفكاهة ـ الأناقة ـ النظافة ـ الأدب.

النمــو الجنســى

يمكن الإشارة إلى أهم ملامح النمو الجنسى فى مرحلة المراهقة على النحو التالى : ـ

١ ـ الجنس جانب هام من جوانب نمو الإنسان عامة والمراهق خاصة. إذ تكون معظم تصرفاته واتجاهاته نحو نفسه ونحو الأخرين ونحو بيئته ومجتمعه متأثرة بالجانب الجنسى. ويعانى المراهق كثيراً من الصراعات بسبب الاستفزازات الجنسية التى تثير دوافعه القوية الجارفة، ولا غرابة فى ذلك، فالمراهقة تبدأ بالبلوغ الجنسى ولا تنتهى إلا عندما يستطيع المراهق أن يتحكم فى هذه الدوافع ويخضعها للمواضعات الاجتماعية.

٢ ـ يشعر المراهق بالدافع فى أول المرحلة شعوراً غامضاً. ويعبر عن ذلك بالاتجاه نحو أحد أفراد جنسه، وينشئ معه علاقة صداقة يشوبها الروح العاطفى وليس من الضرورى أن يبادله الطرف الأخر نفس الشعور وهى ما تسمى بمرحلة الجنسية المثلية.

٣ ـ يتجه المراهق بعد ذلك فى وسط المرحلة من "الجنسية المثلية" إلى الجنسية الغيرية" ليبحث عن أحد أفراد الجنس الآخر "ليقع فى غرامه" وغالبا ما يكون أقرب أفراد الجنس الآخر إليه، كأن يكون أحد الأقرباء أو الجيران أو الأصدقاء للأخ أو الأخت أو الزميل فى المدرسة المختلطة أو النادى. وغالبا ما يختار الفتى المراهق فتاة من سنه أما الفتاة فهى تختار موضوعات تعلقها من أعمار أكبر من عمرها، وهو ما يضايق أقرانها من الذكور.

٤ ـ يحاط الدافع الجنسى ـ وهو محور العلاقات العاطفية ـ بغلالة من الرومانسية فى النصف الأول من المراهقة حيث ينظر المراهق ـ خاصة الفتى ـ إلى حبيبته باعتبارها كائن نورانى هبط عليه من السماء. ويشحذ كل ملكاته الأدبية لكى يعبر عن شعوره نحو "ملاكه الطاهر"، ولكنه مع تقدم النمو وازدياد احتكاك المراهق بالمجتمع وإدراكه للأمور على حقيقتها تنزاح هذه الغلالة الرومانسية، وتكتسب العلاقة سمة واقعية. ويبدأ فى النظر إلى محبوبته باعتبارها إنسان عادى به المحاسن والعيوب معا.

٥ ـ ينغمس المراهق فى بداية المرحلة وبعد وضوح الدافع الجنسى لديه فى النشاط الجنسى الذاتى أو الاستمناء وهذا النشاط وإن كان شائعاً بين جميع المراهقين وفى كل البيئات إلا إنه يزيد فى تلك المجتمعات التى تمنع الاختلاط بين الجنسين وفى البيئات التى لا تتيح فرص النشاط الاجتماعى والرياضى والثقافى للمراهق. وتسجل الإحصائيات أن أكثر من ٩٠٪ من المراهقين الذكور يمارسون الاستمناء بينما تمارسه نسبة من المراهقات تزيد على ٦٠٪ وتقل حدة الانغماس الاستمنائى فى النصف الثانى من المراهقة ويرجع ذلك إلى أن المراهق ينجح فى إنشاء بعض الصداقات مع أفراد الجنس الآخر. وتأخذ معظمها طابع العلاقات العاطفية محققا بذلك إعلاء لدوافعه.

ومما يجدر ذكره أنه يحيط بممارسة الاستمناء كثير من الأفكار والمعتقدات الخاطئة، منها أنها تؤدى إلى إنهاك المراهق جسميا، وأنها تسبب له الإرهاق العصبى، وأنها قد تؤدى به إلى الجنون، مما يزيد من قلق المراهق وإحساسه بالذنب. وقد يلجأ إلى ممارسة الاستمناء ليخفض من درجة قلقه مما يوقعه فى دائرة تطحنه، فهو يمارس الاستمناء لإرضاء دافعه الجنسى، ولكنه يشعر بالندم والذنب الشديدين وهذا الشعور يولد لديه القلق فيدفعه إلى ممارسة الاستمناء وهذه المرة لإرضاء دافع الجنس ولتخفيض القلق أيضاً وهكذا. والنتيجة أن المراهق يفقد الثقة

في نفسه ويحتقر ذاته ويشعر إنه اثم وأنه يأتى أفعالاً لا تليق، وباختصار أنه يكوّن مفهوما سلبيا لذاته. والحقيقة أن ممارسة الاستمناء ــ إذا لم تكن كثيرة ــ لا تضر بقدر ما تضر الأفكار الشائعة عن ممارسته.

٦ ـ يرغب المراهق في معرفة كل شئ عن الجنس والعلاقات الجنسية. وهذه الرغبة تدفعه إلى سؤال المراهقين الأكبر سنا، عله يجد عندهم إجابات عن أسئلته، كما يبحث عن المعرفة في الكتب والمجلات ويهوى مشاهدة الأفلام الجنسية والصور الفاضحة للحصول على المعرفة من ناحية وللذة التى يشعر بها كلما اقترب من المثيرات الجنسية، وهو ما يمكن أن يطلق عليه "الفضول الجنسي"، والمراهق مدفوع من داخله بقوة غلابة لمعرفة أسرار هذا العالم الجديد، وقد يحصل على معلومات خاطئة تشوه لديه مفهوم الجنس وتؤثر على سلوكه الجنسي وهنائه العائلي فيما بعد.

٧ ـ هناك فرق واضح بين سلوك الفتى الجنسي وسلوك الفتاة الجنسي ــ فالفتى أقرب إلى إدراك الجانب الحسي من العلاقة بين الجنسين، حيث يرى الفتى المراهق العلاقة بين الجنسين من خلال هذا الدافع، أو على الأقل فإن الدافع الجنسي يحتل مكانة واضحة فيها. أما الفتاة فهي أقرب إلى إدراك الجانب العاطفي من العلاقة حيث تأخذ لديها طابعاً رومانسيا معظم المرحلة.

٨ ـ في اخر مرحلة المراهقة يكتسى الدافع الجنسي عند الجنسين بعواطف الحنان والحب والرعاية والرقه. ويكون المراهق قد استطاع أن يسيطر على دوافعه بحكم نضجه الاجتماعي والانفعالي، وبحكم المكانة الاجتماعية التى يكون قد حققها كطالب في المرحلة الثانوية أو الجامعة أو في مجال العمل. وهذا التطور للميل الجنسي ينسجم مع طبيعة مرحلة النمو التى وصل إليها المراهق حيث يكون على استعداد لأن يتزوج ويكوّن أسرة. وتكون دوافعه قد تشكلت بالصورة التى تخدم قيام الأسرة وبقائها، ونلاحظ أن كثيراً من الفتيات يُخطبن ويتزوجن في هذه المرحلة ولكن عدد الفتيان الذين يستطيعون الزواج في هذه السن قليل إذا قيس بعدد الفتيات، نظراً لتأخر سن إتمام التعليم ولتأخر النضج الاقتصادى للفتى، وحيث أن تكاليف إقامة الأسرة مسئولية الشاب بالدرجة الأولى، ولأن الثقافة تشجع زواج البنات قبل زواج البنين.

رعاية النمو الجسمى فى المراهقة

١ ـ فترة المراهقة فترة النمو الجسمى السريعة ويترتب على ذلك كثير من التغيرات الفسيولوجية منها زيادة حجم القلب بنسبة أكبر من نمو الأوردة والشرايين، وزيادة ضغط الدم وارتفاعه، وعدم انتظام التمثيل الغذائى مما يؤدى إلى زيادة الشهية أو ضعفها. وتزيد نسبة استهلاك الجسم للأكسجين. هذا عدا التغيرات الجسمية الخارجية فى الطول والوزن والتى تجعل حركة المراهق غير متناسقة. كل هذه التغيرات تحتاج منا أن نهيئ المراهق لها، بحيث لا ينزعج لحدوثها، وأن ينظر إليها باعتبارها من ظواهر النمو الطبيعى، وأن شيئاً منها لا يدعو للخجل أو الحياء خاصة ظواهر البلوغ الجنسى.

٢ ـ هذه التغيرات الجسمية والفسيولوجية تنهك الجسم. ولذا يحتاج المراهق إلى قدر من الغذاء من ناحية الكم أو من ناحية الكيف بمعنى اشتماله على العناصر الغذائية الأساسية. ولا يجب أن نسمح للفتيات بالامتناع عن الطعام أو الإقلال منه، إذا وجدن من أنفسهن ميلاً عن الطعام أو إذا تعمدن ذلك لتخسيس أوزانهن.

٣ ـ يجب أيضاً أن ينال المراهق قدراً كافيا من النوم "تسع ساعات يوميا" وحتى يأخذ جسمه القسط المناسب من المرحلة. كما يجب ألا يجهد المراهق نفسه بمجهود عضلى عنيف لمدة طويلة. وعلى المدرسة أن تراعى ذلك.

٤ ـ ليس معنى ذلك أن يمتنع المراهق عن كل نشاط حركى وعضلى. بالعكس فإنه مطالب بأن يمارس الرياضة بكل أنواعها حيث أن هذه الرياضة تكسبه اللياقة الجسمية وتحافظ على قوامه. وتستثمر طاقته الجسمية وتساعده على إعلاء دوافعه الجنسية والعدوانية. ولذا يجب أن يمارس كل مراهق أى نوع من أنواع الرياضة حتى وإن كانت المشى.

٥ ـ يجب أن نحرص على اكتساب المراهق مفهوم إيجابى عن جسمه. وقد رأينا أنه عندما يكون مفهوم المراهق عن جسمه إيجابيا أقبل على الناس واندمج فى حياتهم ومال إلى مشاركتهم ألوان نشاطهم. أما إذا كان مفهوم المراهق

عن جسمه سلبياً فإنه ينسحب من الحياة الاجتماعية وينطوى على مهموما حزينا ويندب سوء حظه وربما تظهر لديه نزعات عدوانية إزاء الاخرين. مع ملاحظة أن الذات الجسمية أمر مكتسب من تعليقات المحيطين بالمراهق واتجاهاتهم إزاء هيئته وشكله. ولذا ننصح بأن يتجنب المحيطين بالمراهق السخرية من مظهره الجسمى أو التهكم عليه إن تعثر أو أتى حركة غير متناسقة خاصة وأنه مفرط الحساسية إزاء هذا الجانب.

٦ ـ لا يجب أبداً أن نهتم بالجانب العقلى على حساب الجانب الجسمى فى شخصية المراهق، وهو ما نشاهده الآن تحت ضغط نظام القبول بالمراحل التعليمية المختلفة خاصة الجامعة. لأن درجات التلميذ فى النهاية ليست فى أحسن حالاتها ـ إلا دلالة على قدرة الطالب على استرجاع مادة علمية معينة فى لحظة الامتحان. وهذه المعلومات قابلة للنسيان بعد الامتحان مباشرة، وليست معياراً دقيقاً للنجاح والقدرة بدليل أن عدداً من الطلبة المتفوقين فى المرحلة الثانوية وفى الجامعة ليسوا هم أنجح الأطباء أو أمهر المهندسين أو أكفأ المدرسين، لأن النجاح فى الحياة العملية يحتاج إلى جوانب عقلية أخرى غير التحصيل والدراسة كما يحتاج إلى جوانب جسمية واجتماعية وانفعالية وخلقية.

٧ ـ يجب أن نوجه عناية خاصة للمراهقين المعوقين. وألا نسمح للإعاقة الجسمية أن تفسد عليهم حياتهم، وهو شئ ممكن، إذا لم نشعرهم بالنقص فى الوقت الذى نعمل على إشراكهم فى نواحى النشاطات الأخرى والتى يمكن أن يشاركوا فيها، والنظر إلى عاهاتهم نظرة موضوعية، مع تجنب الأنشطة التى لا تناسبهم وسيكون لدى هذا النوع استعداد كبير لتعويض قصوره فى ناحية بالتفوق فى النواحى الأخرى.

٨ ـ يجب إبعاد المراهق عن كل مواقف الإثارة الجنسية، وأن نفرض رقابة واعية على أجهزة الإعلام والكتب والمطبوعات التى تحوى مواد مثيرة، وأن نهتم بتنشئة المراهق تنشئة خلقية ودينية، وأن ينال قسطاً كافياً من الثقافة حول مشكلات المراهقة وكيف يمكن التغلب عليها، وأن يجد أمامه دائماً الموجّه الذى يمكن أن يرشده إلى ما يريد، وأهم من ذلك كله أن يجد أمامه قدوة طيبة فى السلوك.

الفصل السادس

النمو العقلى فى المراهقة

مقدمـــة :

فى الجانب العقلى يركز الباحثون دراساتهم حول القدرة العقلية الفطرية العامة وهى الذكاء، على أساس أن الذكاء هو الطاقة التى تستمد منها جميع العمليات العقلية النشاط والفاعلية، ويمكن أن ينظر إلى الذكاء من ناحيتين:

الناحية الأولى :

وهى ناحية الموضوع الذى ينصب عليه، وهى القدرات والاستعدادات العقلية كالقدرة اللغوية والقدرة العددية والقدرة الميكانيكية والقدرة الموسيقية والقدرة الفنية.

الناحية الثانية :

وهى ناحية القنوات التى تؤدى القدرة العقلية عملها من خلالها وهى العمليات العقلية العليا، كالتذكر والتخيل والانتباه والتفكير.

والذكاء نفسه تكوين فرضى، بمعنى أننا لا نراه، ولكننا نرى آثاره فى صورة الأداء العقلى فى مختلف مواقف الحياة، وفى التحصيل العلمى والمدرسى، فشأنه فى ذلك شأن الكهرباء والمغناطيسية، فهى مفاهيم افتراضية يفترضها العلماء لوصف مجموعة من العمليات لا نراها، ولكننا نرى آثارها بوضوح.

ولازال أمر الذكاء بين الفطرية والاكتساب محل نقاش وبحوث العلماء. وما هم متفقون عليه هو أن الفطرة تقدم الحد الأقصى من القدرة العقلية الذى يمكن أن يصل إليه الفرد. بينما تقدم البيئة المثيرات التى تشحذ قدرات الفرد العقلية وتنميها. كذلك فإن الاتزان الانفعالى ييسر الأداء العقلى، كما يؤثر الاضطراب الانفعالى والأعراض العصابية تأثيراً سلبياً على أداء الفرد العقلى، وتؤثر الحالة الجسمية والصحية للفرد على استخدامه لقدراته العقلية.

وسنعالج موضوع النمو العقلى للمراهق من خلال العناوين الآتية :

- مميزات النمو العقلى فى المراهقة
- العمليات العقلية العليا
- القدرات الطائفية
- الميـــــول
- رعاية النمو العقلى فى المرهقة

أولاً : مميزات النمو العقلى فى المراهقة :

١ ـ يحدث فى هذه المرحلة درجة كبيرة من التنوع أو التمايز فى القدرة العقليـة. فحتى نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة تكـون الاسـتعدادات أو القـدرات العقليـة غير واضحة بعد، وإن كـان البعض يقـول إننـا يمكـن أن نتنبـأ بهـا، بحيث نستطيع أن نحدد بصـورة وإن لـم تكـن دقيقـة حـظ الفرد فـى كـل قـدرة مـن القدرات ولكنه مع دخول الفرد مرحلـة المراهقـة يحـدث تطـور كيفـى كبـير بجانب التطور الكمي. وهذا التطور الكيفـى يتمثـل فـى تفـرع القـدرة العقلية وتمايزها، وظهور القدرات الخاصة أو الاستعدادات بشكل واضح مما يعطى للنمو العقلى طابعاً خاصاً، ويؤثر على جوانب النمو الأخرى وعلى شـخصية الفرد بصفة عامة.

٢ ـ تتباين سرعة النمو العقلى فى هـذه المرحلـة. فبعد الازدهـار الواضـح الذى يشهده النمو العقلى فى الطفولة المتأخرة يحدث نوع من التعـثر عنـد البلـوغ، حيث تؤثر هذه الظاهرة على كل جوانب النمـو. ولكـن مـا إن ينتهـى البلـوغ حتى يستأنف النمو العقلى سيره حتى سن السادسة عشرة ليتعثر مـرة أخـرى ويبطئ معدل سيره طـوال عـامين، ثـم يواصـل سـيره مـرة أخـرى بعد سـن الثامنة عشرة، ويحدث ذلك عند فئات "فوق المتوسط" (الأذكياء والعباقرة).

٣ ـ تظهر الفروق الفردية بصورة أوضح فى الجـانب العقلـى فـى المراهقـة، لأن النمـو العقلـى يكـون قـد قطـع شـوطا طويـلا، ويكـاد أن يصـل إلـى منتهـاه ويستقر. فتكون الفروق بين الأفراد من ناحية الدرجـة التـى يحصلـون عليهـا على اختبارات الذكاء فى أعلى صورها. ومن ناحية أخرى فإن تمايز القـدرة العقلية وبزوغ القدرات الخاصة يزيد من هذه الفروق بين الأفراد حيث نجد

من يتفوق فى القدرة العددية ومن يتفوق فى القدرة اللغوية وثالث يتفوق فى القدرة الميكانيكية. وقد يكونون جميعاً فى مستوى ذكاء واحد من ناحية القدرة العامة. وجانب ثالث فى الفروق يتضح أيضاً فى المراهقة وهو الفرق بين الجنسين حيث نجد البنات يتفوقن على البنين فى القدرة اللغوية بينما يتفوق البنين على البنات فى القدرة الميكانيكية.

٤ ـ مرحلة المراهقة هى المرحلة التى تتم فيها عملية التوجيه التربوى والمهنى، لأن القدرات الخاصة تتضح، والميول العقلية والمهنية تتحدد. وعملية التوجيه التربوى والمهنى هى عملية توزيع المراهقين كل على نوع الدراسة الذى يلائم إمكانياته وتوزيعه بعد ذلك على المهنة المرتبطة بميوله وبدراسته.

٥ ـ من مميزات النمو العقلى فى المراهقة نمو التفكير الابتكارى بصورة واضحة. والتفكير الابتكارى يعنى الإتيان بأفكار جديدة غير معروفة واتباع أساليب غير مألوفة لحل المشكلات المألوفة. وقد ذكرنا أن بوادر هذا التفكير تظهر فى المرحلة السابقة وتزداد قدرة المراهق على هذا اللون من التفكير. ويظهر ذلك فى محاولات المراهق الأدبية وفى رغبته أن يرسم وفى تفوق البعض فى الرياضيات تفوقا يعكس قدرة ابتكارية فى حل المسائل والتمارين.

٦ ـ تظهر سمة عقلية أخرى جديدة فى مرحلة المراهقة، وهى التفكير النقدى وهى سمة تنسجم مع الحال المزاجية والانفعالية للمراهق. كما كان التفكير المساير ينسجم مع الحال المزاجية والانفعالية لطفل المدرسة الابتدائية. والتفكير النقدى هو ألاّ يقبل المراهق ما يسمع أو ما يقرأ دون تمحيص مهما كان المصدر الذى يسمع منه أو يقرأ، بل إن لديه الرغبة والقدرة على اكتشاف مواطن الصحة ومواطن الخطأ فيما يعرض عليه، ويتمشى ذلك مع نمو القدرة العقلية والقدرات الخاصة.

٧ ـ يرتفع مستوى الطموح عند الطلاب فى هذه المرحلة. حيث يكون المراهق إما طالبا فى المرحلة الثانوية، ويأمل فى التفوق ليحقق رغبته فى الالتحاق بنوع الدراسة التى يميل إليها، وإما طالبا بالجامعة ويرجو أن يحقق مستوى طيباً فى التحصيل يضمن به مستقبلاً أفضل. وهذا المستوى المرتفع من الطموح يدفع المراهق إلى زيادة الاطلاع وبذل الجهد فى التحصيل الدراسى.

٨ ـ مرحلة المراهقة هى مرحلة التخصص على نطاق ضيق فى المرحلة الثانوية حيث تكون ثلاث شعب بالدراسة. ثم يتسع التخصص بعد ذلك فى مرحلة التعليم العالى والجامعى. وهذا التخصص يفرض على المراهق ألوانا معينة من المعرفة ويحدد اهتماماته فى مجال خاص ويفسح أمامه الطريق إلى التفوق والابتكار في هذا المجال، خاصة إذا كان يتمشى مع ميوله.

ثانياً : العمليات العقلية العليا :

١ ـ الانتباه :

تزيد قدرة المراهق على الانتباه سواء فى المدة أو فى المدى، فنجده يستطيع أن يركز انتباهه على أى موضوع مدة طويلة إذا أراد أن يفعل، كما أن مدى الانتباه يتسع ليشمل أكثر من موضوع، ويزداد مدى الانتباه ومداه حسب عامل التشويق.

٢ ـ التذكر :

تنمو قدرة المراهق أيضاً على التذكر. وتتسع الذاكرة لتمثل أنواع جديدة من التذكر. والاختلاف بين ذاكرة المراهق وذاكرة الطفل اختلاف فى الكيف أكثر منه اختلاف فى الكم. فإذا كان تذكر الطفل من النوع قصير المدى فإن تذكر المراهق من النوع طويل المدى، بمعنى القدرة على استدعاء خبرات قديمة. كما أن تذكر الطفل من النوع الآلى، أى التذكر الذى لا يصحبه بالضرورة فهم للمادة المحفوظة والمستدعاة، ولكن تذكر المراهق مبنى على الفهم، ويكاد يستحيل على المراهق أن يحفظ ويستدعى مادة غير مفهومة لديه.

٣ ـ التخيل :

تخيل المراهق تخيل مبنى على الألفاظ. وفى هذا يختلف تخيله أيضاً عن تخيل الطفل. حيث يعتمد تخيل الطفل على الصور البصرية، أما تخيل المراهق فهو تخيل يعتمد على الألفاظ. ويساعد المراهق على التخيل المبنى على الألفاظ تقدمه فى اللغة وتملكه ناصية التعبير بها خاصة بالنسبة للمراهقين الذين يواصلون تعليمهم. ويتصل التخيل بالتفكير الابتكارى. فالتلاميذ من أصحاب القدرات الابتكارية هم أساساً متفوقون فى القدرة التخيلية حيث يستطيعون أكثر من غيرهم الوصول إلى ترتيب جديد للعناصر المتوفرة فى أى موقف، وهو لب عملية الابتكار.

٤ ـ التفكـــير :

رأينا أن الطفل فى آخر مرحلـة الطفولـة المتـأخرة يستطيع أن يفكر بمعنـى إدراك العلاقة بين العناصر. هذه القدرة تتحسن فى المراهقة. ويستطيع المراهق أن يقوم بعمليات الاستدلال العقلى، وهى استنباط قضايـا جديـدة من قضايـا مطروحـة، وعمليات الاستقراء وهى الانتهاء من الحالات الفردية إلى قـاعدة عامـة أو قـانون شامل. كذلك فإنه نتيجة للنضج العقلى اللغوى تتحســن القدرة علـى التفكير المجـرد لدى المراهق. ويتمكن من فهم المصطلحات المجردة والتى ليس لهـا أسـاس حسـى كالفضيلة والعدالة ويحسن التعامل بها.

ثالثاً : القدرات الطائفية :

ذكرنا أن تمايز القدرات العقلية من سمات النمو العقلى فى مرحلـة المراهقـة ومن أهم القدرات الطائفية عند المراهقين ما يأتى : ـ

١ ـ القدرة اللفظية :

وتظهر فى قـدرة المراهـق علـى فهـم الألفـاظ والتعبيرات اللغويـة ومعرفـة المترادفات والأضداد.

٢ ـ القدرة المكانية :

وتظهـر فـى قـدرة المراهـق علـى فهـم الأشـكال الهندسـية المختلفـة وإدراك العلاقات المكانية، وتصور حركات الأشكال والأجسام. ومما يجدر ذكره أن للعـالم المصـرى "القوصـى" أبحاث مبتكرة فى هذه القدرة، وأن عالما مصريا آخر هو "فؤاد البهى" استكمل هذه البحوث وبين أن هذه القـدرة تنقسـم إلـى قدرتيـن متمـايزتين فـى آخـر مرحلـة المراهقـة. (فـؤاد البهـى، الأسـس النفسـية للنمـو، دار الفكـر العربــى، القاهرة، ١٩٧٥ ، ٢٦٩ ـ ٢٧٧).

٣ ـ القدرة العددية :

وتظهر فى قدرة المراهق على إجراء العمليات الحسابية الأساسية.

٤ ـ قدرة التذكر المباشر :

وتبدو فى قدرة المراهق على استدعاء الأرقام والألفاظ.

٥ ـ القدرة الاستقرائية :

وتبدو في قدرة المراهق على اكتشاف القاعدة من جزئياتها.

٦ ـ القدرة الاستنباطية :

وتبدو في قدرة المراهق على معرفة الجزئيات التي تنطوي تحت قاعدة أو قانون عام .

٧ ـ السرعة الإدراكية :

وتبدو في الإدراك السريع للأمور البسيطة.

وتتصل بعض هذه القدرات بنسب مختلفة لتؤلف من ذلك كله قدرات طائفية مركبة كالقدرة الرياضية التي تعتمد في بعض نواحيها على القدرات الاستقرائية والاستنباطية والمكانية والعددية، أو كالقدرة المنطقية الاستدلالية التي تقوم على القدرة الاستنباطية والقدرة الاستقرائية.

رابعاً : الميــول :

رأينا بدايات الميول تظهر في مرحلة الطفولة المتأخرة ولكنها تتضح وتتحدد في المراهقة، مصاحبة للنمو العقلي الذي يحققه المراهق. والميل هو شعور يصاحب انتباه الفرد واهتمامه بموضوع ما، ويقرب كثيراً من الاتجاه، وإن كان الاتجاه أكثر عمومية من الميل. وهذه بعض الخصائص التي تتميز بها ميول المراهق.

١ ـ تختلف الميول ـ من حيث المدى ـ التي يتعلق بها المراهق زمنيا. فقد يكون هناك ميلا طارئا وسرعان ما ينصرف عنه صاحبه. وهناك ميول تستمر مع الفرد فترة طويلة من الزمن كما أن هناك بعض الميول المتسعة التي تشمل نشاطات وجوانب عديدة. كما أن هناك ميول ضيقة بمعنى أنها مقتصرة على ناحية واحدة فقط، فقد يحب الفرد القراءة في علم معين أو موضوع خاص فقط.

٢ ـ تختلف الميول أيضاً وتتأثر ببعض العوامل التي يتصف بها المراهق. فميول الأذكياء غير ميول غير الأذكياء، كذلك تؤثر البيئة التي يعيش فيها الفرد على ميوله فمن يعيش في بيئة دينية غير من يعيش في بيئة لا تهتم بهذه

الناحية. كذلك من يعيش فى بيئة مثقفة يختلف عن ميول من يعيش فى بيئة جاهلة أو غير مثقفة. وتظهر ميول المراهق منعكسة فى قراءاته فنجده يهتم فى بداية المرحلة بقراءة قصص الأبطال والمشاهير وبعض القصص المسلية والتى تحوى مغامرات. ثم تتطور قراءاته لتشمل بعض الموضوعات السياسية والاجتماعية كما تشمل القصص والموضوعات الغرامية والتى تتحدث عن العلاقة بين الجنسين. وهذا يؤكد أن الميول تتأثر أيضاً بعامل السن ومرحلة العمر التى يمر بها الإنسان.

٣ ـ لما كانت الميول تظهر وتتحدد فى المراهقة يرى المربون أن أسس المراهقة هى السن التى تحدث فيها عمليات التوجيه التربوى والمهنى. وبالطبع كلما اتجه الفرد إلى دراسة أو مهنة تتفق مع استعداداته وميوله كان احتمال نجاحه وتفوقه فيها أكبر.

رعاية النمو العقلى فى المراهقة

١ ـ الوقوف على مستوى النمو العقلى للتلاميذ أمر ضرورى ومتاح فى نفس الوقت، واختبارات الذكاء كثيرة ومتعددة. ويمكن لكل مدرسة أن تعرف نسبة ذكاء كل تلميذ فيها. بل ويمكن معرفة القدرات الخاصة أيضا. على أن تسجل هذه البيانات فى بطاقته المدرسية حيث تكون تحت تصرف المعلم والأخصائى الاجتماعى وولى الأمر وكل من يهمه شأن التلميذ، وتنتقل معه من المدرسة الإعدادية إلى المدرسة الثانوية أيضاً. ومما لاشك فيه أن معرفة القدرات الخاصة للتلاميذ يفيد فى توزيعهم على ألوان النشاط المدرسى.

٢ ـ معرفة قدرات التلاميذ الخاصة تفيد أيضاً فى توجيههم تعليمياً التوجيه الصحيح بمعنى إلحاقهم بعد حصولهم على الشهادة الإعدادية بنوع الدراسة الثانوية التى يتناسب مع قدراتهم. وكثيراً ما تتطابق قدرات الأطفال مع ميولهم، وحتى إذا لم يكن هناك تطابق فإن معرفة قدرات التلاميذ أمر مفيد. وفى كل الأحوال لا يجب أن نفرض على التلميذ نوعا خاصا من الدراسة.

٣ ـ يرتبط بالتوجيه التعليمى للتلاميذ التوجيه المهنى. والتوجيه المهنى هو توجيه التلميذ بعد تخرجه من المدرسة للعمل فى مهنة معينة. ونوصى هنا أيضاً بألا يُجبر التلميذ على الالتحاق بمهنة معينة. وأن يترك له حرية اختيار ما يراه مناسبا له.

٤ ـ يصل المراهق فى النصف الثانى من مرحلة المراهقة إلى درجة كبيرة من النضج العقلى. ومعنى هذا أن مرحلة المراهقة هى مرحلة الثقافة العامة التى يكتسب فيها الفرد المعرفة التى تبنى عليها بعد ذلك الدراسات التخصصية فيما بعد. ولو استرجعنا حياة الأفراد واسعى الثقافة والمحبين للقراءة لوجدنا أن تعلقهم بالكتب ومصادر المعرفة تم فى مرحلة المراهقة. ولذلك يجب أن ندفع المراهق إلى زيادة ثقافته فى كل العلوم والفنون، على أن نيسر له سبل الاطلاع عليها. ويرتبط بهذه الناحية تعويد المراهق الاعتماد على نفسه فى التحصيل. وهناك من طرق التدريس ما يعتمد أساساً على التحصيل الذاتى، حيث يتعلم المراهق الاعتماد على نفسه، وفى نفس الوقت يكون ذلك أفضل إعداد له للمرحلة الجامعية.

٥ ـ رأينا أن قدرات المراهق العقلية تقرب من النضج. فالانتباه يزيد فى مدته ومداه والتذكر يقوى والتخيل يتسع ويعمق. ويمكن للمراهق أن يستغل هذه القدرات فى التحصيل والاستيعاب العلمى، كما يستطيع أن يمارس كل ألوان التفكير الاستدلالى والنقدى. وعلينا أن ندرّب المراهق على استخدام هذه القدرات العقلية ليس فى التحصيل المدرسى فقط وإنما فى مواجهة مشكلاته الشخصية، وفى الإسهام فى المشكلات الاجتماعية والعامة.

٦ ـ من أنواع التفكير التى يستطيع أن يمارسها المراهق التفكير النقدى. ويجب أن ننمى هذه القدرة عنده حتى تتكون شخصيته الذهنية المستقلة. وتقوى لديه القدرة على التمييز بين الغث والسمين فيما يقرأ ويسمع. ولكن تنمية هذه القدرة يختلف بالطبع عن تشجيع المراهق على الجدل العقيم والمعارضة حبا فى الظهور وإثبات الذات خاصة وأن لديه هذه النزعات.

٧ ـ من القدرات العقلية التى يجب أن تنمى لدى المراهق التفكير الابتكارى وهى القدرة على إتيان أفكار جديدة أصيلة ومتنوعة. وتشجع التربية الفنية بمختلف فروعها الابتكار فى المجال الفنى. وكذلك تفعل بقية المواد فى المجالات الخاصة بها. كما تسهم فى ذلك جماعات النشاط المدرسى أيضاً. والفيصل فى هذا الأمر أن يجد المراهق مختلف ألوان النشاط وأن يجد الفرصة لممارستها. وأن يجد التشجيع والرقابة والتوجيه. وإذا وجد هذا الجو المهيأ فيدفعه ذلك إلى العمل والجهد والنشاط. وتظهر بذلك إمكانيات كل مراهق وحينئذ تستطيع المدرسة أن تنتقى المتفوقين وتقدم لهم رعاية خاصة.

٨ ـ من أهم الأهداف التربوية التى تحرص عليها المدرسة اكتساب الطلاب الأسلوب العلمى فى التفكير أو اتجاه التفكير العلمى ومعناه أن يتعود الطالب عندما يقابل أى مشكلة دراسية أو غير دراسية على معالجتها بالأسلوب العلمى فى التفكير وهذا الأسلوب يتحدد فى الخطوات الآتية :

أ ـ تحديد المشكلة : وهو تعريفها تعريفا دقيقاً بتحديد أبعادها ومعالمها.

ب ـ فرض الفروض: وضع مجموعة من الفروض أو الأساليب أو الاحتمالات التى يمكن أن تكون وراء المشكلة.

جـ ـ تمحيص الفروض : وهى خطوة اختبار صحة كل فرض ومدى علاقته بالمشكلة ويحدث ذلك عن طريق جمع المعلومات وإجراء المقارنات والتجارب إذا لزم الأمر.

د ـ النتيجـــــــة : وهى الوصول إلى الغرض الصحيح أو أقرب الفروض إلى الصحة أو ترتيب الفروض حسب صحتها.

والأسلوب العلمى فى التفكير أسلوب يصلح لكل العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية كما يصلح لمواجهة مشكلات الحياة اليومية، وعلى المدرسة وكل الأجهزة التربوية أن تساعد فى أن يكتسب المراهق هذا الاتجاه فى التفكير، لأن ذلك سيعصمه من اتباع الأساليب الخاطئة فى التفكير وسيؤدى به إلى أفضل نتائج التفكير، ويمثل تطبيقا لدراسته على حياته اليومية والعلمية.

٩ ـ من المشكلات التى يشكو منها المراهقون سواء من طلبه المدارس الثانوية أو من طلبة الجامعات مشكلة نسيان المادة العلمية التى يه تذكرونها. ومشكلة النسيان مشكلة عامة لابد وأن يعانى منها جميع الدارسين. وقد أوضحت الدراسات التى أجريت على طلبة الجامعات أن ٥٠ ٪ من المادة الدراسية ينسى بعد عام وأن ٨٠ ٪ منها ينسى بعد عامين. ولكنه بالرغم من هذا النسيان فإن الطالب يستفيد مما يكون قد درسه ويكون لديه اتجاهات أفضل نحو المادة التى درسها ونساها من تلك التى لم يدرسها مطلقا. ولكن المشكلة التى تقلق بال المراهق هى نسيانه للمادة العلمية أثناء العام الدراسى، وهو يريد أن يحتفظ بها فى ذهنه إلى يوم الامتحان. ويذكر علماء النفس التربوى (جابر عبد الحميد جابر. سيكولوجية التعلم ونظريات التعليم. القاهرة.

النهضة العربية ١٩٧٦ ص . ص ١٧٠ ــ ١٨٠) . بعض العوامل التى تساعد على التذكر وهى :

أ ـ عامل المعنى :

فكلما ازداد وضوح معنى المادة التى تدرس قل مقدار نسيانها. ونحن ندرك أن ما نفهمه جيداً يبقى فى أذهاننا مدة طويلة بعكس الأشياء التى لا معنى لها. وقد أجرى بعض العلماء تجارب فحواها أنهم قدموا مقاطع عديمة المعنى للحفظ والاسترجاع فوجدوا صعوبة فى حفظها وفى استرجاعها بأسرع ما تتعرض له المقاطع ذات المعنى. ولذلك فعلى الطالب أن يتأكد من فهمه للمادة العلمية جيداً قبل استذكارها.

ب ـ عامل التداخل والتعارض :

كثيراً ما يحدث النسيان لأن مجموعة من الأفكار اختلطت بمجموعة أخرى مشابهة لها. ويرى البعض أنه لو أمكننا تجنيب التداخل والتعارض بين المواد التى نقدمها للطالب لما حدث النسيان. ويمكن للطالب أن يستذكر المواد المتشابهة أو أجزاء المادة المتشابهة فى فترات غير متقاربة.

جـ ـ عامل توكيد التعلم أو تجاوز حد الحفظ

يرضى معظم التلاميذ عن استذكارهم عندما يصلون إلى مستوى مقبول. ولو أنهم توقفوا عن الاستذكار حينئذ، فإننا نجد هم ينسون كل ما كانوا يحفظون بعد مضى بعض الوقت. أما إذا استمروا فى تكرار استجاباتهم وممارستها المرة بعد المرة لفترة أخرى فإنهم سيتعلمون الموضوع الذى هم بصدده على نحو متقن بحيث لا يمكن أن ينسوه بعد ذلك.

د ـ عامل المراجعة

إن مراجعة المواد التى تعلمها التلميذ من قبل يساعد على حفظها. والمراجعة نوعان، فقد تكون فى صورة اختبار يتطلب استرجاع ما درسه التلميذ، وقد تكون في صورة إعادة دراسة المادة التى سبق للفرد تعلمها واستذكارها. وكلا النوعين يساعدان على الحفظ ولكل طريقة قيمتها الخاصة ويكون من الأفضل لو أن التعلم مضت عليه مدة تبلغ الأسبوعين، حتى يمكن إعادة المادة من جديد، وبذا يتحقق أقصى حفظ ممكن.

هـ - المواد الشيقة والمواد غير الشيقة

يرى بعض علماء النفس أن النسيان يرجع إلى كبت الأفكار غير السارة. فلو مرت بنا مجموعة من الخبرات أو الأحداث فإننا نتذكر السار وغير المؤلم منها، وننسى الأحداث التي تضايقنا. ولذلك فمن الأفضل تعليمياً وسيكلوجيا واجتماعيا أن يُترك للطالب حرية اختيار نوع الدراسة التي تناسبه والتي تتفق مع ميوله.

الفصل السابع

النمو الانفعالى فى المراهقة

مقدمـــة :

تعتمد انفعالات المراهق على النمو العضوى والنمو العقلى، ويحقق المراهـق في كليهما تطوراً كبيراً، ولذلك تكون الحيـاة الانفعاليـة فـى المراهقـة حيـاة صاخبـة متقلبة عنيفة، وهى تشبه الحياة الانفعالية فى الطفولة المبكرة. وقـد سبق أن قلنـا إن الحياة الانفعالية فى الطفولة المتأخرة حياة هادئة وتفصـل بيـن حيـاتين عنيفتيـن مـن الناحية الانفعالية فى الطفولة الباكرة وفى المراهقة. وإن كانت المراهقة أخطر لأنها تتسلح بمنطق المراهق، واحتمال انحرافه بصورة أكبر.

تشد التغيرات الجسمية التى يفاجأ بها المراهق انتباهه لذاته، فيشرع فى تـأمل ذاتـه ويسـاوره القلـق علـى نفسـه وتضطـرب حياتـه الانفعاليـة حيـث يكـون قوامهـا "انفعالات عنيفة متقلبة، حماسة زائدة، خجل بصدد نموه الجسمى الذى يظنه مرضـاً أو شذوذاً أو إحساساً شديد بالذنب، يثيره انبثاق الدافـع الجنسـى علـى نحـو صريـح، أحلام فاضحة وخيالات متطرفة وأمانى جديدة، عواطـف غريبـة كـالحب والوطنيـة والتدين، أسلوب جديد فى التفكير ونزعات نقدية وشكوك لم تساوره مـن قبـل" (عبد المنعم المليجى: النمو النفسـى، مكتبـة مصـر، القـاهرة ١٩٥١، ص ١٥٩ ــ ١٦٠) هذه التغيرات الجسمية الكبيرة وما يتبعها من اضطراب فى الحياة الانفعالية يسـاندها التقدم العقلى الذى وصل إليه المراهق تحيل عالم المراهق إلـى عـالم غريـب زاخـر بالمشاعر المتضاربة والمتطرفة أحياناً فالأحلام وردية أحياناً وآثمـة أحيانـاً أخـرى، وهكـذا هـى حياة المراهـق الانفعاليـة وسنعالج الحيـاة الانفعاليـة فـى المراهقـة مـن الزوايا الآتية :

- مظاهر النمو الانفعالى فى المراهقة
- عوامل عدم الثبات الا نفعالى فى المراهقة
- خصائص الحياة الانفعالية فى المراهقة
- تطور عاطفة الحب
- مشاكل الانحراف الانفعالى فى المراهقة

- أنماط المراهق المصرى
- رعاية النمو الانفعالى

أولاً : مظاهر النمو الانفعالى فى المراهقة

١ ــ انفعالات المراهق انفعالات عنيفة وشديدة. فهو عندما يثور يثور ثورة عارمة، وعندما يريد أن يبدى احتجاجه يبديه حانقا ساخطا، وحتى عندما يفرح فهو يضحك ويكاد يرقص، ويظهر العنف أيضاً فى عدم تناسب حجم الانفعال مع سببه فهو كالطفل يغضب بسرعة ولأسباب تافهة، ويفرح أيضا بسرعة ولأسباب بسيطة ولذلك فانفعالات المراهق سطحية.

٢ ــ يرتبط بالعنف والسطحية فى الانفعالات مظهر آخر وهو التقلب، فالمراهق سرعان ما ينتقل من حالة الفرح إلى حالة الحزن إذا تصور أن سبب الفرح قد زال أو أن أحداً يريد أن يقف فى طريق رغباته. وكثيراً ما تكون الأسباب التى تدفع المراهق من حالة انفعالية إلى نقيضها أسباب داخلية. والحقيقة أن العوامل الذاتية مؤثرة فى كل الحالات التى تبدو أنها لا تستحق هذا القدر من الانفعال، لأن ذات المراهق هى التى تجسم التافه من الأمور وتعطيه حجماً أكبر.

٣ ــ يتذبذب المراهق فى سلوكه فلا تستطيع أن تصفه بأنه اجتماعى أو انطوائى، متدين أو ملحد، محب لزملائه ورفاقه أم كاره لهم، مطيع لأهله أم معاند لهم، كما لو كان شخصاً لم يحدد بعد اتجاهاته ومواقفه إزاء الأشخاص والأفكار. وهو كذلك بالفعل فهو يتصرف حسب ما تمليه عليه حالته الانفعالية الراهنة وهى متقلبة. ويترتب على ذلك صفة التذبذب فى السلوك.

٤ ــ مع أن التذبذب سمة فى سلوك المراهق فإن مسحة من الكآبة والحزن تلون سلوكه بصفة عامة. بمعنى أن ساعات الحزن أكثر من ساعات الفرح. ويلازم الحزن ميل إلى الانطواء والبعد عن الناس والوقوف موقفاً سلبيا من المجتمع قوامه إحساس بضعف الحيلة والهوان وظلم المجتمع.

٥ ــ قد يأخذ الموقف السلبى من المجتمع للمراهق شكلاً آخر، يتمثل فى الثورة والتمرد. ويشمل هذا السلوك الأسرة والمدرسة والنادى وكافة المؤسسات الاجتماعية التى يتعامل معها المراهق. فالتمرد ينصب على كل صور السلطة. ويعتقد المراهق أن نصائح الآباء والمعلمين تدخلاً فى شئونه الخاصة، ورغبة منهم فى التحكم فيه. ويعتقد المراهق أن الآباء والمعلمين

لا يزالون يعاملونه كما لو كان صغيراً، ولا يعطونه ما يستحقه من معاملة. ولذا يكون رد الفعل لديه هو الثورة والتمرد والعناد والرفض بدون تدبير أو تفكير فيما يقال له أو يعرض عليه. ونجد كثيراً من المراهقين يرفضون من الآباء ما يقبلونه من الأصدقاء والزملاء.

٦ ـ من مظاهر الحياة الانفعالية عند المراهق الخجل والحساسية المفرطة فهو يخشى غشيان الاجتماعات والمناسبات الاجتماعية، خاصة إذا كان بمفرده ظنا منه أنه سيكون محط أنظار وتعليقات المجتمع، وتزداد هذه الخاصة عند من سبق لهم أن تعرضوا لمواقف اجتماعية محرجة. كما أن المراهق مفرط الحساسية فى التعامل مع الآخرين، قد تؤلمه كلمة ظنها تجرح شعوره وقد يطرب فرحا لكلمة تمتدحه أو تؤكد شخصيته التى يود أن يظهر بها أمام الآخرين. وتفوق البنات البنين فى ظاهرتى الخجل والحساسية، وتتوقف الحساسية أيضاً على تربية الطفل ونوع المعاملة التى تلقاها وعلى فكرته عن ذاته. وقد يبدو متناقضاً إحساس المراهق بالخجل والحساسية من ناحية واستعداده للتمرد والثورة من ناحية أخرى، ولكن متى كان المنطق يحكم حياة المراهق الانفعالية؟

٧ ـ يحس المراهق كثيراً بالذنب نتيجة الأخطاء التى يرتكبها. فهو يجسم لنفسه هذه الأخطاء ويصورها خروجاً على الصورة المثالية التى رسمها لنفسه. وقد يحاسب المراهق نفسه ليس على الأخطاء التى يرتكبها ولكن على الأفكار التى تراوده، وعلى الرغبات التى تهفو إليها نفسه. ويمكن اعتبار هذا الإحساس من الميكانزمات التى تلجأ إليها النفس لتحمى المراهق من عنف الرغبات الجنسية والعدوانية التى تضطرم داخله ويقوم الأنا لديه بضبط هذه الرغبات.

٨ ـ لا نستطيع أن نختم الحديث عن مظاهر النمو الانفعالى عند المراهق دون أن نشير إلى ظاهرة هامة وهى ظاهرة "أحلام اليقظة" وأحلام اليقظة هى تلك النوبات التى يسلم فيها المراهق نفسه لخياله ينطلق به جامحـا، ويعيش فترة من الزمن بعيداً عن الواقع مفضّلا عليه حياة أخرى جميلة من صنعه. ويجد المراهق لذة كبيرة فى الاستغراق فى هذه الأحلام ويضيق كثيراً من يُقطع عليه هذا الاستغراق وأحلام اليقظة سلاح ذو حدين. فهى قد تكون نافعة إذا كانت حافزاً على العمل والاستذكار فإذا كان المراهق يحلم لنفسه بمركز مرموق وتبلوَرت هذه الأمنية فى نفسه ووضع كل طاقاته للوصول إلى

تحقيق هذه الأمنية، كانت أحلام اليقظة هنا بمثابة دافع إيجابي في حياة المراهق. أما إذا استغرق المراهق في هذه الأحلام أكثر ساعات النهار وانصرف عن العمل والاستذكار فالأحلام هنا هروب من الواقع، وليست وسيلة لتحسينه وتطويره. وعندما تزيد مدة هذه الأحلام في حياة المراهق فإنها تتحول إلى عرض يشير إلى سوء تكيف المراهق وإلى عدد من الصعوبات يقف في وجه المراهق. ولذا فإن درجة استغراق المراهق في أحلام اليقظة دالة أو مؤشر لكمية الإحباطات التي يواجهها في واقعه، فكلما كان واقع المراهق مؤلما بالنسبة له وخاليا من كل ما يسره هرب منه إلى عالم آخر يصنعه في خياله، والعكس صحيح فكلما كانت حياة المراهق متوازنة يجد فيها التفهم والاهتمام من جانب الوالدين، كما يجد فيها ألوان النشاط المختلفة التي يشبع فيها ميوله ويعلي بها دوافعه، قل التجائه إلى أحلام اليقظة.

ثانياً : عوامل عدم الثبات الانفعالي في المراهقة

أما العوامل الكامنة وراء اضطراب الانفعالات عند المراهق فهي تتلخص في عملية واحدة وهي الصراع الذي ينشأ عنيفا وقويا في طريقه بين مجموعة من القوى المتصارعة والمتناقضة وتجعله نهبا لكافة التقلبات والثورات الانفعالية التي ذكرنا بعض مظاهرها في الفقرة السابقة، وأهم محاور الصراع عند المراهق هي :

١ ـ ينشأ الصراع في نفس المراهق بين رغبته في أن يعامل الشخص الكبير في الوقت الذي يعامله فيه والديه ومعلميه كما لو كان طفلاً، أو على الأقل لا يقدمان له المعاملة التي يرى نفسه جديراً بها. ويزداد الأمر تعقيداً إذا كان الآباء بالفعل من النوع المتسلط الذي يتحكم في أبنائه.

٢ ـ ينشأ الصراع في نفس المراهق بين دوافعه الجنسية التي تثيره وتستفزه وبين الموانع الخارجية ممثلة في التقاليد والعرف والقوانين الوضعية والدين وكافة النظم الاجتماعية. وليست الموانع الخارجية فقط هي التي تكف المراهق، بل والموانع الداخلية ممثلة في الأنا الأعلى أو الضمير. وتزداد المشكلة حرجاً كلما طالت هذه المدة وهي تطول في المجتمعات الحديثة بينما لا تكاد توجد في المجتمعات البدائية والريفية، كما ذكرنا من قبل.

٣ ـ ينشأ الصراع في نفس المراهق بين رغبته في الاستقلال عن والديه واعتماده على نفسه وبين ميله الشعوري أو اللاشعوري إلى الاعتماد عليهما، لأنه لم ينضج بعد، ومازال في حاجة إلى عونهما. وإذا كان المراهق شاعرا

بالنوعين الأولين من الصراع فإنه لا يكون مدركاً تماما لهذا النوع الثالث. ولكنه يبدو من ثورته الدائمة على والديه وعلى تبرمه من معاملتهما له وعلى تصيد الأسباب التى تجيز له انتقادهما، وندمه على ذلك فيما بعد.

٤ ـ من الأسباب التى تثير الصراع فى نفس المراهق رغبته فى تحقيق ذاته وتأكيد شخصيته فى كثير من المواقف يقابل ذلك قصور محتمل فى إمكانياته العقلية أو الجسمية أو الاجتماعية أو المادية أو بعضها أو كلها. فقد يود المراهق أن يتفوق دراسيا ولكنه لا يستطيع، وقد يحاول أن يتفوق رياضيا أو يشارك فى الأنشطة الاجتماعية ولكنه لا ينجح فى ذلك، وقد يحاول أن يظهر بمظهر القادر ماديا ليعوض القصور فى جوانب أخرى أو ليجارى رفاقه، ولكن امكانياته لا تسعفه. كل هذه الإحباطات تثير سخط المراهق وحنقه وضيقه. ولا يجد أمامه إلا والديه ليحملهم مسئولية هذا الفشل، ويرميهم بضيق الأفق والتسلط، كما يتهم سلطات المدرسة بالتحكم والاستبداد، والمجتمع بالظلم والإجحاف، ويتأرجح بين التمرد والاعتداد الزائد بالنفس والتعالى من ناحية وفقدان الثقة بالنفس والانطواء والشعور بضعف الحيلة من ناحية أخرى.

٥ ـ من أسباب الصراع أيضاً لدى المراهق، عامل يتوقف على توازن جوانب النمو حيث أن النمو الجسمى يسبق النمو العقلى والانفعالى. ومن هنا يبدو المراهق فى حجم الراشد الكبير ولكن سلوكه لا يزال طفليا. ويترتب على ذلك أن المحيطين بالطفل قد يتوقعون منه سلوكاً راشداً مما يجعله عرضة للنقد، والحقيقة أن الكبار مثل المراهقين قد يقعون فى التناقض أحيانا حينما يكلفون المراهق بأعمالاً ومسئوليات تحتاج إلى درجة أكبر من مستوى نضجه ثم يحاسبونه على عدم قدرته على القيام بها.

ثالثاً : خصائص الحياة الانفعالية فى المراهقة

تتسم الحياة الانفعالية للمراهق بالخصائص والمميزات الآتية:

١ ـ عدم الثبات الانفعالى :

وقد ظهر من استعراضنا لمظاهر النمو الانفعالى أن حياة المراهق ليست ثابتة، بل هى عنيفة متقلبه متذبذبة. والمراهق لذلك أبعد ما يكون عن الثبات والاستقرار، ويؤثر ذلك على حياته وعلاقاته الاجتماعية. وتظل هذه السمة طالما أن الانفعالات مازالت قوية وعنيفة ولا تختفى إلا عندما تهدأ الانفعالات وتستقر فيتمتع الفرد بالثبات الانفعالى، علامة الرشد.

٢ ـ المــثاليــة :

تظهر هذه المثالية فى تأنيب ضميره الشديد والإحساس بالذنب إذا ما اقترف المراهق ذنبا أو ما إذا توهم أنه اقترف ذنبـا، أو إذا راودتـه أفكـار أو نزعـات غير بريئة. كما تظهر مثالية المراهق فى استعداده للتضحية فى سبيل الوطـن والتطـوع لأداء الخدمات للجمعيات الدينية والاجتماعية، واستعذاب التضحية فى سـبيل المبدأ، ولـو وصـل الأمـر إلـى درجـة التضحيـة بالحيـاة. ومـن بيـن مظـاهر المثاليـة أيضـاً إعجاب المراهق الشديد بالأبطال والشهداء الذيـن ضحـوا فـى سبيل إعـلاء مبـادئهم وأفكارهم.

٣ ـ الرومــانسيــة :

وتبدو الروح الرومانسية عند المراهق فى حبه الشديد للطبيعـة ورغبتـه فـى التعبير الأدبى عن حبه لجمالها وقراءته للإنتاج الأدبى الرومانسى، ويصاحب حب المراهق للطبيعة هروب من المجتمع وتفضيل العزلة والعزوف عن التجمعات فيمـا يشبه الانطواء. ويرتبط كذلك بظاهرة الانطواء والعزلة ظاهرة التمرد والرغبـة فـى عدم التقيد بالنظم والقواعد الاجتماعية التـى يراهـا المراهـق ظالمـة مقيـدة متعسفة. وهـو انعكـاس لضعـف حيلتـه أمـام دوافعـه القويـة وإمكانياتـه الضعيفـة ممـا يؤجـج الصراع العنيف داخله. كذلك من مظاهر الروح الرومانسية مسـحة الحـزن والكآبة التى ترين على نفس المراهق، وكذلك رهافة المشاعر والخجل والحساسية المفرطـة لأبسط المثيرات.

٤ ـ الفروق الجنسية فى الحياة الانفعالية

ليست هناك فروق كبيرة بين الجنسين فى الجانب الانفعالى، وما سـبق ذكـره ينطبق على كلا الجنسين. غير أن سمة الرومانسية أظهر عند الفتيات. وهـن كذلـك أكثر استسلاما لأحلام اليقظة، وربمـا كـان ذلـك فـى البيئـات الشـرقية ـــ والمجتمـع المصرى واحد منها ـ حيث تضع هذه البيئات قيوداً أكثر على حياة الفتاة، فـلا تجد مفرا من اللجوء إلى الخيال لتعيش فيه، ولتحقيق ما تعجـز عـن تحقيقـه فـى الواقـع. كذلك نجد عند البنين ميلاً أكثر إلـى العنـف والثـورة والتمـرد مـن ناحيـة، واهتمامـا موازيـا بكيفيـة ضبط النفس والتحكـم فـى الانفعـالات وتحقيـق التكيـف فـى الوسـط الاجتماعى من ناحية أخرى .

٥ ـ الحب :

يمثل الحب العمود الفقرى فى حياة المراهق الانفعالية، فهو يرضى إذا حصل عليه، وتسوء حالته إذا حرم منه، يبحث عنه ويسعى إليه، يريد أن يحبه الآخرون، كما يريد أن يمنح الحب للآخرين. وعندما يثور على والديه يتصور أنهما لا يحبانه، ويستكين فى اللحظات التى يرجع فيها إلى نفسه ويعرف أنهما مستودع الحنان والحب له. وهو عندما يتحبه إلى الطبيعة يبثها غرامه يفر إلى ما يحب، بعيداً عن مالا يحب وهو الناس والمجتمع. وهو يحب الأبطال والمشاهير، ويتوحد مع كبار العشاق فى الروايات الشهيرة. ومن هنا يتضح لنا أهمية عاطفة الحب في حياة المراهق الانفعالية. ولذلك سنعرض تطور هذه العاطفة الأساسية استكمالاً لرسم ملامح الحياة الانفعالية للمراهقين.

رابعاً : تطور عاطفة الحب

العاطفة تنظيم مكتسب من عدة انفعالات ركزت حول موضوع معين. وقد رأينا الطفل فى الثالثة يبلغ أوج الثورة الانفعالية فى الطفولة ويمر بمرحلة من التذبذب العاطفى بحيث يكون الشخص موضوع حبه وكرهه حسب ما يحققه له هذا الشخص من حاجاته. ولكنه يبدأ في إنهاء هذا التذبذب بحيث يكون الشخص موضوعاً لحبه حتى ولو لم يشبع له رغباته. وبهذا تكون العاطفة قد تكونت. فالعاطفة هى عادة انفعالية أو تنظيم انفعالى ثابت نسبياً يتبلور حول موضوع معين. وأول موضوع لحب الطفل عادة تكون الأم أو من يقوم مقامها، ثم تتسع عاطفة الحب لديه لتشمل الأب ثم الإخوة وأقرانه فى اللعب. ويقبل درجة من التفاعل الاجتماعى معهم، ولكنه مازال حتى هذه اللحظة متمركزاً حول نفسه يحب ذاته ويحب من يحبه.

وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة تتسع دائرة معارفه، ويبلغ درجة طيبة من النمو الاجتماعى تتمثل فى الانفتاح على الآخرين. ويبدأ فى الاندماج فى شلة من أصدقائه، وينزع نفسه من التمركز حول ذاته ويظهر ذلك فى اهتمامه بمن حوله وفى التعاون معهم والتنازل عن رأيه وعن حاجياته لهم، هكذا تتطور عاطفة الحب فى الطفولة المتأخرة من حب الذات إلى حب الآخر وفى هذه الفترة نجد نوعاً من التباعد بين الجنسين.

وفى المراهقة يظهر الدافع الجنسي بصورة واضحة وصريحة. وفى البداية يعتصم المراهق بنفوره السابق من الجنس الآخر فى وجه هذه الدفعات، ولأن الدافع الجنسي فى بداية المراهقة يكون غامضا وغير واضح. ونجد المراهق يتجه إلى

عقد صداقة مع أحد أفراد جنسه ويتجه بحبه نحوه وهى ما أسميناها مرحلة الجنسية المثلية. ولكن بعد وضوح الدافع الجنسى يتجه المراهق باهتمامه إلى أفراد الجنس الآخر، ويحاول جذب اهتمام أفراده، وهى مرحلة الجنسية الغيرية. أى أن المراهق يتحول بحبه من أفراد جنسه إلى أفراد الجنس الآخر. ومعنى ذلك أن تطور عاطفة الحب تمر عبر محورين:

الأول : محور الذات ـ الآخر، ويتم فى الطفولة المتأخرة.

الثانى : محور نفس الجنس ـ الجنس الآخر، ويتم فى المراهقة، وبذا تتبلور عاطفة الحب التى تأخذ طريقها إلى النضج لتكون الأساس فى تكوين الأسرة.

أما تكوين عاطفة الحب عندما تنصب على موضوع من أفراد الجنس الآخر، فإنها لا تتم بصورة فجائية كما لا تتم بصورة عمدية قصدية بل وأحيانا تكون لا منطقية، بمعنى أن الفرد لا يقول إننى شأشرع فى الحب، وهذا الشخص به كل الصفات الجديرة بالحب فليكن موضوعا لحبى. ولكن الباحثين يرون أن هذه العملية تتم بناء على سلسلة من الخبرات التى يخبرها الفرد وتكون مرتبطة بشخص معين فإذا كانت الخبرات سارة فإن هذا الشخص يمكن أن يكون موضوعا للحب وإذا كانت الخبرات غير سارة فإن هذا الشخص يمكن أن يكون موضوعا لعاطفة الكراهية. أى أن عاطفة الحب والكراهية عند المراهق تتكون على نفس النسق التى تحدث به عند الطفل وإن كان على مستوى أكثر تعقيداً.

خامساً : مشاكل النمو الانفعالى فى المراهقة:

قد يحدث أن ينحرف خط سير النمو الانفعالى بحيث لا يسير فى مجراه الطبيعى نحو النضج. ويأخذ هذا الانحراف الأشكال الآتية مع ملاحظة أن هذه الأشكال إن هى إلا صور مبالغ فيها أو متطرفة لسمات موجودة فى المراهقة السوية :

١ ـ الجنسية المثلية :

وهى ميل الفرد إلى فرد من نفس جنسه. وقد رأينا أن الجنسية المثلية مرحلة عادية من مراحل النمو. ويمر بها كل الأفراد فى نموهم السوى. وفى الظروف الطبيعية تنتهى هذه المرحلة فى منتصف المراهقة على الأكثر ليبدأ الميل الجنسى الغيرى الذى يتجه فيه الاهتمام إلى أفراد الجنس الآخر ولكن ظروفا اجتماعية

أو تربوية أو عضوية قد تحدث وتعرقل هذا النمو. وتقف بالفرد عند مرحلة الجنسية المثلية، ويأخذ المراهق كل إشباعه من هذه العلاقة، وقد تقف العلاقة عند حد التعلق العاطفي. وقد تصل في الحالات القصوى إلى درجة الاتصال الجنسي الكامل.

٢ ـ الجناح:

والجناح هو السلوك اللااجتماعي. وقد ذكرنا أن من سمات المراهق الطبيعية سمة التمرد والثورة والرغبة في الخروج على التقاليد والنظم، وميله إلى تحدي السلطات ولكن المراهق العادي يعود بعد ثورته أو تمرده إلى الانضباط والنظام ويدرك مشروعية القواعد والقوانين والسلطة. ولكنه يحدث في بعض الحالات أن المراهق يقع تحت ضغوط شديدة من جانب بيئته المنزلية والمدرسية، وقد يقع تحت ضغوط عنيفة من داخله أيضاً في الوقت الذي لا يجد من نفسه عاصما يعصمه، كما لا يجد أحداً من الكبار يأخذ بيده ويساعده في أزمته. وقد وُجد أن معظم المراهقين الجانحين من ذوي "الأنا" الضعيف وهو ما يشير إلى أخطاء في عملية التربية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن لديهم "أنا أعلى" غير مكتمل النمو مما يشير أيضاً إلى نقص في التربية الخلقية والدينية في المنزل أولاً، وفي المدرسة ثانيا، وفي المؤسسات الثقافية والاجتماعية ثالثا.

٣ ـ الاعتمادية والتعلق الطفلي

حياة الطفل الانفعالية كلها يمكن اعتبارها سعيا حثيثا لتحقيق الاستقلال عن الأم، والاستقلال بشخصه عن الوالدين والأسرة. فبعد أن يكون الطفل في مرحلته الجنينية معتمداً اعتماداً كاملا على أمه يقوم عند الميلاد ببعض المهام كالتنفس والمساعدة في الطعام بالمص. ثم ينجز بتعلمه المشي خطوة كبيرة في سبيل هذا الاستقلال. وطوال سنوات الطفولة يسير خطوات في هذا الطريق والمفروض أن يتم الفطام النفسي في مرحلة المراهقة. ولكن في بعض الحالات يتأخر هذا الفطام أو لا يحدث، فتظل الروابط العاطفية والوجدانية التي تربط الطفل بوالديه قوية ومتينة بحيث لا يستطيع الطفل، أو لا يرغب في أن يستقل بشخصه عن والديه حتى ولو تظاهر بذلك. وتحقيق الفطام النفسي للطفل أو استقلاله العاطفي هو مسئولية الوالدين بالدرجة الأولى، لأنهما اللذان يشجعان الطفل على الاستقلال بشخصه ويعودانه الاعتماد على نفسه، كما أنهما اللذان يمنعان الاستقلال بتشجيع استمرار اعتماد الطفل عليهما. وإذا عاش المراهق بين والدين لا يشجعان استقلاله العاطفي

فلا يستطيع الاستقلال بشخصه. وبذلك يكون مهدداً بالفشل فى أية أعمال يقوم بها. وهو ما يحدث فى حالات كثيرة أمامنا وفى الحالات المتطرفة ـ والتى كان يبلغ فيها تشبث الآباء بعدم استقلالية الطفل فيها درجة كبيرة ـ يفشل الفرد أيضاً فى تكوين أسرة لأنه يريد "زوجة أم" وليس "زوجة شريكة" وهو ما لا تستطيعه الزوجة السوية فمثل هذا الزوج يريد أن يأخذ، وليس لديه قدرة على العطاء فى حين أن العلاقة الزوجية السوية تقوم على الأخذ والعطاء المتبادل بين الزوجين.

سادساً : أنماط المراهق المصرى

ويحسن هنا أن نعرض لأنماط المراهقة المصرية. وقد ذكرنا من قبل أن المراهقة تختلف من مجتمع لآخر حسب ثقافته وظروفه. وقد أجرى مغاريوس (صموئيل مغاريوس: أضواء على المراهق المصرى. القاهرة. مكتبة النهضة العربية ١٩٥٨م) بحثا عن المراهق المصرى انتهى فيه إلى أن هناك أربعة أشكال للمراهقة فى مصر هى:

١ ـ المراهقة المتوافقة:

وسماتها الاعتدال ـ الهدوء النسبى والميل إلى الاستقرار والإشباع المتزن ـ وتكامل الاتجاهات والاتزان العاطفى والخلو من العنف والتوترات الانفعالية الحادة والتوافق مع الوالدين والتوافق الدراسى والنجاح التحصيلى والتوافق الاجتماعى والرضا عن النفس .

٢ ـ المراهقة الانسحابية :

وسماتها الانطواء والاكتئاب والسلبية والتردد والخجل والشعور بالنقص والاقتصار على أنواع النشاط الانطوائى وكتابة المذكرات والنقد والتفكير المتمركز حول الذات ومشكلات الحياة ونقد النظم الاجتماعية والثورة على تربية الوالدين والاستغراق فى أحلام اليقظة التى تدور حول موضوعات الحرمان والحاجات غير المشبعة والإسراف فى الاستمناء.

٣ ـ المراهقة العدوانية :

وسماتها التمرد والثورة ضد الأسرة والمدرسة والسلطة عموماً والانحرافات الجنسية والعدوان على الإخوة والزملاء والعناد بقصد الانتقام خاصة من الوالدين وتحطيم أدوات المنزل والانفاق بإسراف والشغف بقراءة روايات المغامرات وأحلام اليقظة والتأخر الدراسى.

٤ ـ المراهقة المنحرفة :

وسماتها الانحلال الخلقى التام والانهيار النفسى الشامل والجناح والسلوك المضاد للمجتمع بالانحرافات الجنسية وسوء الخلق والفوضى والاستهتار وسوء التوافق والبعد عن المعايير الاجتماعية فى السلوك.

سابعاً : رعاية النمو الانفعالى فى المراهقة

١ ـ العمل على تعزيز ثقة المراهق فى نفسه من الحساسية الشديدة التى يعانيها وهذا يتأتى عن طريق تشجيعه على الاشتراك فى كل أوجه النشاط والإيحاء له أنه يستطيع أن يثبت نفسه وتفوقه أيضاً فى أى مجال إذا أراد. وتتضمن هذه المعاملة بالطبع البعد عن السخرية منه ومعايرته أو مقارنته بغيره إذا كانت المقارنة ليست فى صالحه.

٢ ـ مساعدة المراهق على التخلص من الاستغراق الزائد فى الخيال واللجوء إلى أحلام اليقظة كلما واجهته صعوبة. وذلك بأن نجعل واقعه بقدر الإمكان محتملاً على الأقل إن لم يكن بهيجاً. وهو أمر ممكن وميسور على الآباء والمعلمين. وذلك بأن يشعروه بأنهم يحبوه. ويقفون بجانبه بكل عواطفهم ويتمنون له كل الخير. فالمراهق يشعر فى أوقات كثيرة بالحزن والكآبه، ويعانى من العزلة حتى ولو كان فى وسط أهله لأنه يحس أن لا أحداً يشاركه همومه ومشاكله، وأن الكل لاه عنه ولا يشعر بما يعانيه. فإذا أحس المراهق بأنه موضوع اهتمام ورعاية المحيطين به فإن هذا الشعور يسعده ويذهب عنه شعور اليأس والإحساس بالغربة والوحدة. وإذا وجد المراهق أن فى واقعه ما يستريح له فإنه ينشدّ إليه ويحاول أن يعيشه ويندمج فيه ويندر أن يلجأ إلى الخيال والأحلام.

٣ ـ مساعدة المراهق على أن يحقق الاستقلال النفسى أو الفطام النفسى بتشجيعه علي الاعتماد على نفسه وأن يُسند إليه ما يستطيع أن يتحمله من مسئوليات. وإلاّ نحاسبه بعنف إذا أخطأ. أو لم يتصرف التصرف الصحيح معطين له الفرصة مرة ومرة، حتى لا يفقد ثقته بنفسه. ويخطئ كثير من الآباء عندما يعوقون عملية الفطام النفسى لأبنائهم بتشجيعهم المستمر للاعتماد عليهم. وأحيانا ما يكون لدى الآباء دوافع نفسية لتعطيل هذه العملية كأن يكون الطفل وحيداً، ولا يرغب الوالدان فى أن ينفصل عنهما وحيدهما، ويعطيانه

عطفا زائداً مستمراً فتقوى الروابط الوجدانية بينه وبينهما بدلاً من أن تضعف ليحل محلها روابط أخرى يعقدها المراهق مع آخرين. ويحدث هذا بصورة أكثر من جانب الأمهات.

٤ ـ يجب أن يعامل المراهق معاملة الشخص الكبير خاصة فى النصف الثانى من المراهقة. فالمراهق يجد نفسه مستحقا لمعاملة كالتى ينالها الأشخاص الناضجين فى الوقت الذى يجد فيه والديه لازالان يعاملانه معاملة الطفل. والآباء فى كثير من الحالات لا يجدون أن أبناءهم قد نضجوا سلوكيا ــ وإن نضجوا جسميا ـ بدرجة كافية حتى تتغير معاملتهم لهم، فيظلوا يعاملونهم معاملة الأطفال. وهو ما يضايق المراهق ويثيره، ويجعله يشعر بالظلم والاضطهاد، وقد يخرج على طاعة والديه ويتحداهما. هذا الصدام يمكن أن يتفاداه الآباء والمعلمين لو أشعروا المراهق أنه قد كبر فعلاً ويستحق معاملة مختلفة وأنه أهل للثقة وأن يأخذوا رأيه فى بعض المسائل التى تخصه أو تخص الأسرة أو تخص نظام العمل فى المدرسة، كما يجب أن يعرف الآباء والمعلمون أن المراهق لم ينضج النضج الكافى الذى يؤهله لتحمل المسئولية كاملة. ولا يجب على الآباء أن يقابلوا ثورة المراهق بثورة مماثلة، ولا يجب أن يفهموا أن هذا السلوك من جانبه تحد لسلطاتهم ومكانتهم، يجب أن يعاقب عليه، فالمراهق شخص غير ثابت تتنازعه دوافع كثيرة وتتقاذفه أهواء مختلفة وهو يحتاج إلى المساعدة والعون، وإذا ثار وتحدى والده إبان عنفوان ثورته الانفعالية فإنه فى نهاية المرحلة يتصالح مع والديه ويكون نعم المساعد لوالديه فى تحمل المسئوليات الأسرية.

الفصل الثامن

النمو الاجتماعى فى المراهقة

مقدمـــة :

مرحلة المراهقة هى مرحلة التنشئة الاجتماعية الحقة. لأنها المرحلة التى تتبلور فيها اتجاهات الفرد الاجتماعية والعقلية نحو العمل والإنتاج والمجتمع والتقاليد والعلاقة بين الجنسين والسلطة والقيم الخلقية وغيرها من موضوعات الحياة الأساسية. أى أن المراهق يتم صنعه خلال هذه المرحلة كمواطن أو كفرد متطبع اجتماعيا. ولذلك فلا غرابة أن المجتمعات البدائية تقيم للمراهق حفلة تدشن فيها شخصيته، ويصبح بعدها مواطنا يستطيع أن يعيش مع الكبار ويسلك سلوكهم ويعامل على هذا الأساس. فالمراهقة هى قاعدة الرشد فيها تكتمل الملامح الأساسية لشخصية الفرد، الذى يستعد للانخراط فى حياة المجتمع، مواطنا يعطى ويأخذ، وينتج ويستهلك، ويسعى فى سبيل استمرار الحياة وتقدمها له ولبنيه من بعده.

وسنعرض للنمو الاجتماعى للمراهق من خلال الموضوعات الآتية :

- مظاهر النمو الاجتماعى فى المراهقة
- تطور السلوك الاجتماعى فى المراهقة
- العوامل التى تؤثر فى النمو الاجتماعى للمراهق
- خصائص مرحلة المراهقة من الوجهة الاجتماعية
- الشعور الدينى فى مرحلة المراهقة
- النمو الخلقى فى مرحلة المراهقة
- رعاية النمو الاجتماعى فى المراهقة

أولاً : مظاهر النمو الاجتماعى فى المراهقة

يحقق المراهق تقدما اجتماعيا كبيراً حتى لتكاد شخصيته أن تتحدد فى هذه المرحلة. حيث يصل فى نهاية المرحلة إلى المستوى الذى سيواجه به مسئولياته الاجتماعية فى العمل الذى سيلتحق به، وفى التعامل مع المؤسسات الاجتماعية،

وربما فى الزواج وتكوين أسرة. وأهم المظاهر الدالة على التقدم الاجتماعى فى هذه المرحلة ما يأتى : ــ

١ ــ تتسع دائرة المراهق الاجتماعية نتيجة انتقاله إلى المدرسة الإعدادية ثم الثانوية. فيزداد عدد أصدقائه وزملائه ويجد من نفسه دافعا إلى معرفة أكبر عدد ممكن من زملائه وتوثيق الصلة بهم ويجد فى ذلك نوع من الشعور بالأهمية وتأكيد الذات.

٢ ــ يرتبط بالمظهر السابق مظهر آخر وهو رغبة المراهق فى الاندماج فى مجموعة من الأصدقاء تكون العلاقة بينه وبين أفرادها علاقة حميمة ووثيقة، ويدافع كل منهم عن هذه المجموعة أو الشلة بكل ما أوتى من قوة، ولا يقبل تهديداً لها من الخارج، ويضحى فى سبيلها بكل شئ ويكون لديه استعداد لمسايرة اتجاهات هذه الشلة حتى لو كانت هذه الاتجاهات غير مطابقة لاتجاهاته وآرائه حيث أنه يجد ذاته داخل هذه الشلة.

٣ ــ يسير المراهق خطوات فى طريق استقلاله عن والديه، ويكون متعجلاً لهذا الاستقلال. ويريد أن تكون له حياته الخاصة التى لا يتدخل فيها أحد ويغضب كثيراً لو أطلع أحد على أوراقه الخاصة أو فتح خطاباته الشخصية أو تصنت على أحاديثه مع رفاقه، ويضيق بسؤال الوالدين له ــ عندما يريد الخروج ــ عن موعد عودته ومع من سيكون. يريد أن يكون له حريته الكاملة فى التصرف اعتقاداً منه أنه يعرف جيداً ما يصلح له وأن سؤال الوالدين نوع من التطفل والتدخل فى شئونه وأنهم يريدون التحكم فيه ومعالجة أموره بروح وأسلوب يرى أنه لا يتفق مع رغباته وميوله. ويخجل المراهق جدا لو حدث التدخل أمام زملائه وأصدقائه. وهو يتيه أمام أصدقائه وأفراد شلته بأنه يفعل ما يريد ولا يستطيع أحد أن يتدخل فى شئونه. إذن فهذا الاستقلال مطلب للمراهق وأمل يسعى إلى تحقيقه دائماً وعندما يشعر أنه حققه فإنه يحس بلذة كبيرة لأنه يؤكد ذاته ويثبت شخصيته. ويزيده هذا الشعور اعتزازاً بكيانه المتحرر.

٤ ــ يهتم المراهق بمظهره الشخصى ويريد أن يبدوا أنيقاً وسيما حيث أن هذا المظهر الأنيق سيجذب إليه الأنظار ويترك الآثار الطيبة فى نفوس الآخرين وينعكس ذلك فى نظرتهم إليه ومعاملتهم له خاصة أفراد الجنس الآخر. ويشعر المراهق بكثير من الضيق إذا لم تناسبه ملابسه من ناحية الحجم

خاصة وأنه يمر بفترة يسرع فيها النمو الجسمي ويشعر المراهق بالحرج إذا وجد وسط مجموعة من الرفاق يفوقونه في المظهر والملبس فهو يريد ألا يبدو أقل من الآخرين، ويتعسه جداً ألا يستطيع أن يجاري رفاقه في هذا السبيل فيتحاشى المجموعة ويبتعد عنهم.

٥ ـ من مظاهر التفتح العقلي والاجتماعي أيضاً في المراهقة إعجاب المراهق ببعض الأفراد من خارج بيئته الأسرية. وقد يكون موضوع هذا الإعجاب مدرساً أو زميلاً أكبر بحيث تتجسد في هذا الفرد الصفات التي يعجب بها المراهق ويتمنى لو كانت من سجاياه، مثل التفوق الرياضي أو المظهر الجذاب أو التفوق العقلي والتحصيلي أو الحضور الاجتماعي. ولذا فالمراهق يتوحد مع هذه الشخصيات وتأخذ هذه الظاهرة شكلاً أكبر في مرحلة تالية وهي إعجاب المراهق بإحدى الشخصيات الشهيرة المحلية أو العالمية في ميادين العلم أو الفن أو الرياضة. ويزداد إعجاب المراهق به إلى درجة التعصب لآرائه وأسلوبه. وقد يحاول تقليد هذه الشخصية في مظهرها وملامح شخصيتها الظاهرة وهي ما يسميه علماء النفس الاجتماعي بظاهرة "عبادة البطولة" في المراهقة.

٦ ـ يزداد وعي المراهق بالمفاهيم المتعلقة بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية مثل "الطبقة الاجتماعية" و "المكانة الاجتماعية". ويزيد هذا الوعي عندما يحتك المراهق بزملاء له من طبقات ومستويات اجتماعية مختلفة وقد يرى بنفسه مواقف اجتماعية يبدو فيها أثر هذه المفاهيم في التعامل الاجتماعي بين المحيطين به، ويزداد هذا الوعي حدة ويكتسب صفة انفعالية إذا مر هو شخصياً بمثل هذه المواقف وقد يقف من هذه المفاهيم بعد ذلك موقف المؤيد أو المعارض أو المحايد ـــ ويتوقف ذلك على موقع أسرته في السلم الاجتماعي ودرجة ثقافته ونوعها. وهي بداية الاتجاهات السياسية والاجتماعية التي سيعتنقها في حياته.

٧ ـ من مظاهر التقدم الاجتماعي أيضاً استعداد المراهق لخدمة الآخرين وتقديم العون لهم. ويكون ذلك إما مباشرة، أو عن طريق الجمعيات التي يشترك فيها، والتي تقدم الخدمات الاجتماعية. ويدفعه إلى تقديم هذه الخدمات رهافة مشاعره من ناحية، ورغبته في تأكيد ذاته من ناحية أخرى، ومن ناحية ثالثة يقوم هذا السلوك أحيانا كتكفير من جانب المراهق عن مشاعر الإثم التي يشعر بها.

٨ ـ من مظاهر التقدم الاجتماعى فى النصف الثانى من المراهقة، ميل المراهق إلى انتقاء اصدقائه، فبعد أن كان فى أول المرحلة يصادق كل من يصادفه، ويرفض نصائح وتوجيهات الوالدين فيما يتعلق بضرورة انتقاء الأصدقاء ويعتبر هذا تدخلا فى شئونه، نجده فى نهاية المرحلة ينتقى أصدقائه على أساس التشابه فى الميول والتقارب فى الاتجاهات الخلقية والاجتماعية ويحدث ذلك بعد أن تكون اتجاهاته وميوله هو قد تحددت، ولم يعد ذلك الفرد الذى يقبل إقامة أى علاقة صداقة تدعم كيانه المهتز، وإنما هو ذلك الفرد الاجتماعى الناضج الذى يختار من يتجاوب معه فى نظرته للحياة الاجتماعية.

٩ ـ كذلك من مظاهر التقدم الاجتماعى فى آخر مرحلة المراهقة نمو الذكاء الاجتماعى. وهو توظيف القدرة العقلية فى المجال الاجتماعى وتترجم هذه القدرة عن نفسها فى التمكن من إنشاء علاقات اجتماعية مع الآخرين، والتصرف الحسن والملائم فى المواقف الاجتماعية المختلفة. وتقدير الظروف الاجتماعية للزملاء والأصدقاء والتقييم الصحيح للمناسبات الاجتماعية الخاصة أو العامة وإدراك مغزاها والحساسية الاجتماعية بصفة عامة.

١٠ ـ فى نهاية المراهقة يهتم المراهق بالمشكلات التى تصادفه فى أول دخوله الحياة العملية كمشكلات الزواج مثل اختيار الشريك وتدبير منزل الزوجية وكمشكلات العمل واختيار المهنة وكمشكلة التوافق المهنى والأسرى. وهكذا نجد أن التفكير فى هذه المشكلات يمثل أقصى درجات النضج الاجتماعى للمراهق.

ثانياً : تطور السلوك الاجتماعى فى المراهقة

يفضل بعض الباحثين تقسيم فترة النمو الاجتماعى فى المراهقة إلى مراحل لتتضح أبعاد التطور الذى يطرأ على هذا الجانب فى شخصية المراهق. ومن هذه التقسيمات. تقسيم تطور السلوك الاجتماعى عند الفتى المراهق إلى المراحل الثلاث الآتية : ـ (فؤاد البهى السيد . الأسس النفسية للنمو . القاهرة. دار الفكر العربى ١٩٧٥ ص ٣١٤ ـ ٣٥).

١ ـ مرحلة التقليد :

وتبدأ مع بداية المراهقة وتتميز بفرط الإعجاب من جانب المراهق بزملائه الشجعان والأقوياء والأذكياء. ويحاول أن يقلد الزعماء فى نظره وتنتهى هذه المرحلة فى سن الخامسة عشرة.

٢ ـ مرحلة الاعتزاز بالشخصية

وتبدأ فى الخامسة عشرة وتتميز بروح المنافسة وبمحاولة المراهق الانتصار على زملائه بمغالاته فى منافستهم وبميله إلى السلوك العدوانى أحيانا وتمتد هذه المرحلة إلى قرب نهاية المراهقة.

٣ ـ مرحلة الاتزان الاجتماعى

وتحدث فى نهاية المرحلة ويظهر فيها تخفف المراهق من العصيان والاندفاع والتهور، وفى نظرته الجديدة لهذه الأمور على أنها أعمال صبيانية.

أما تطور السلوك الاجتماعى عند الفتاة المراهقة فيسير عبر المراحل الآتية:

١ ـ مرحلة الطاعة

وهى امتداد للمسايرة التى كانت سائدة فى الطفولة المتأخرة. وتمتد لتشمل بدايات مرحلة المراهقة. وتظهر الفتاة خاضعة للمعايير التى يضعها الوالدان. وتتميز بالطاعة ودماثة الخلق والوداعة والرزانة والحياء والتظاهر بالحشمة طمعا فى إرضاء الأهل والوالدين.

٢ ـ مرحلة الاضطراب

وتمتد من حيث تنتهى المرحلة السابقة حتى حوالى سن الخامسة عشرة. وتتميز بالاضطراب الانفعالى واختلال الاتزان. فتبالغ الفتاة فى استجاباتها للمثيرات الهادئة وتتقلب من حالة انفعالية إلى أخرى مناقضة بسرعة وبحدة ويدون مقدمات وقد تبالغ فى الاهتمام بمظهرها ثم تعدل عن ذلك وهكذا.

٣ ـ مرحلة تقليد الفتيان

وتبدأ فى الخامسة عشرة، وتبدو فى تقليد الفتيان فى السلوك والزى والحوار إعجابا من الفتاة المراهقة بمظاهر القوة ولكن هذه المرحلة لا تستمر طويلاً، فقد تستمر عاما أو عامين على الأكثر لتعود الفتاة إلى طبيعتها الأنثوية الرقيقة. وقد يتوقف النمو بالبعض عند هذه المرحلة، وهن النساء المسترجلات.

٤ ـ مرحلة الاتزان الاجتماعى

وتبدأ فى أواخر المراهقة وتبدو فى استجابة الفتاة للمعايير الأنثوية الصحيحة فى السلوك فى زينتها وحديثها وأنماط حياتها وتقبل دورها الأنثوى فى الحياة برضاً كامل.

ثالثاً : العوامل التى تؤثر فى النمو الاجتماعى للمراهق

أما العوامل التى تؤثر فى النمو الاجتماعى للمراهق فهى وسائط التربية أو عوامل التربية ذاتها متمثلة فى الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق والجو الثقافى العام فى المجتمع وكما تعكسه إلى حد ما أجهزة الإعلام. وفيما يلى نبين فى نبذة بسيطة كيف تؤثر هذه العوامل فى نمو المراهق اجتماعيا.

أ) الأســـــرة

١ ـ الأسرة أهم عوامل التربية الاجتماعية على الإطلاق. فهى التى توفر مختلف المواقف والخبرات التى يمر بها المراهق فى طفولته والتى لها أثر كبير فى تشكيل شخصيته وبلورة اتجاهاته الاجتماعية والانفعالية وعندما يشاهد معلم الصف الأول فى المدرسة الابتدائية فى اليوم الأول من الدراسة فروقا فردية بين أطفاله فى النواحى الانفعالية والاجتماعية، فهذه الفروق معظمها يرجع إلى الأسرة والمناخ الأسرى الذى عاش الطفل فى ظله فى منزله.

٢ ـ والمعاملة الوالدية أهم العوامل حسما فى المتغيرات الأسرية بدورها، فهى من العوامل المسئولة إلى حد كبير فى وضع الطفل فى إحدى الفئتين الكبيرتين: فئة المنبسطين أو فئة المنطوين. فالمفترض أن الطفل إذا تلقى معاملة صحيحه أصبح من أفراد الفئة الأولى أو ممن يستمتعون بصحة نفسية وبتكيف اجتماعى على الوجه الأرجح، والعكس صحيح فإن تعرض الطفل لمعاملة خاطئة أو منحرفة فسيكون أقرب إلى أفراد الفئة الثانية وربما كان من الذين تتعثر عملية التكيف الاجتماعى لديهم وينالون حظاً قليلاً من الصحة النفسية. وفيما يلى نعرض لأهم الأساليب الخاطئة فى التربية كما نشير إلى الأسلوب الصحيح، وأثر كل منهما على النمو الاجتماعى بإيجاز شديد.

من الأساليب الخاطئة فى المعاملة الوالدية :

* **القسـوة :** ومن شأنها أن تزرع فى الطفل إحساس بأنه غير مرغوب فيه. وهذا الإحساس يؤدى بالتالى إما إلى الثورة والتمرد وربما الجناح، وإما أن تؤدى إلى الانطواء والتقوقع إحساسا بظلم المجتمع وقهره.

* **التدليل والعطف الزائد :** ويعطى نتائج قريبة من ذلك أيضاً، لأن الطفل الذى ينال معاملة من هذا النوع يتعود على الأخذ دون العطاء. وهو لن يجد هذه المعاملة فى المدرسة أو المجتمع. وفى الأغلب أنه يصطدم عندما ينخرط فى الحياة، وقد ينتهى به الأمر إلى الانعزال والانطواء.

* **التجاهـل :** وهو ألاَّ يشعر الوالدان بالطفل ويشمل هذا الأسلوب أيضاً عدم عقابه إذا أخطأ أو مكافأته إذا أحسن. وفى ظل هذا الأسلوب من المعاملة لا تتكون لدى الطفل معانى السلوك ولا يعرف على وجه الدقة حدود الخطأ والصواب.

* **التحكـم :** وهو أنه يضع الوالدان من القيود ما يقيد حركة الطفل، ولا يسمحان له بحرية التعبير عن نفسه وعن مشاعره، بل إنهما يعمدان إلى رسم خطوط محددة ليس له أن يتخطاها. وعليه أن يتصرف ويسلك كما يريد الوالدان أو على الأقل لا يستطيع أن يأتى مالا يرضيان عنه. وهذا الأسلوب من المعاملة يجعل الطفل شخص نمطى بعيد عن التلقائية والمرونة.

* **الرفـض :** وهو ألاَّ يشعر الطفل بتقبل والديه له، بل إنهما كثيرا الانتقاد له، وأنهما لا يبديان نحوه الود والحب ولا يحرصان على مشاعره ولا يقيمان وزنا لرغباته. وهذا الأسلوب يؤدى إلى نتائج شبيهة بالتى ينتهى إليها الطفل من جراء تعرضه للقسوة.

* **الأساليب التى تزرع الشعور بالذنب :** مثل اللوم والتقريع والتأنيب والسخرية والمقارنة وهذه الأساليب من شأنها أن تشعر الطفل بالدونية وبأنه أقل من الآخرين مما يدفع به بعيداً عن الناس وعن التجمعات، وأن يكون اتصاله بالآخرين ـ إذا اضطر إلى ذلك ـ من خلال روح عدائية مشوبه بالحقد والحسد.

* التذبـــذب : وهو أن الوالدين لا يعاملان الطفل معاملة واحدة فى الوقت الواحد، وهذا يجعل الطفل لا يستطيع أن يتوقع رد فعل والديه إزاء أى موقف وتعتمد المعاملة فى هذا الأسلوب إلى حد كبير على المزاج الشخصى والوقتى للوالدين. وفى ظل هذا الأسلوب من المعاملة يشعر الطفل بكثير من الظلم والفوضى مما يجعله عرضه للتقلب هو الآخر، ولا يستطيع تحديد معانى الأشياء أو دلالاتها وهذا الوضع يجعله بعيداً عن التكيف الاجتماعى.

* عدم المساواة فى المعاملة : وهو أيضاً أسلوب خاطئ. حيث يشعر الطفل فيه بدرجة من المرارة والسخط. ويجعله ناقما على والديه وعلى إخوته المحظوظين ولا نتوقع من الطفل فى هذه الحالة أن يمنح الحب والود لأحد، ففاقد الشئ لا يعطيه.

* التباين فى المعاملة الوالدية : بمعنى أن كل والد يعامل الطفل معاملة مختلفة وهى معاملة ضارة لأنها تجعل الطفل لا يعرف الحدود بين السلوك القويم والسلوك الخاطئ ويعلمه الانتهازية ويزين له الوصول إلى هدفه بأى وسيلة.

أما أسلوب المعاملة الصحيحة فيعتمد على الابتعاد عن الأساليب الخاطئة السالفة الذكر مع إشعار الطفل بالحب والحنان والرعاية والدفء وضرورة إرشاده إلى الطريق القويم فى السلوك والخلق وتوجيهه إذا أخطأ. وأن تلبى مطالبه بدون تطرف أو مغالاة وأن يعرف أنه لا تهاون فى ظل معاملة متوازنة عادلة ثابتة. والطفل الذى يحظى بمثل هذه المعاملة هو الطفل السوى الذى يستطيع أن يتعامل مع الآخرين معاملة الند للند، يعطى ويأخذ، يعرف معنى التعاون ويستطيع أن يمارسه.

٣ ــ أطلنا بعض الشئ فى توضيح أساليب المعاملة الوالدية لأنها كما قلنا حاسمة فى تكوين شخصية المراهق. والمعاملة ليست الجانب الأسرى الوحيد بل إن هناك نواح منها:

* درجة التوافق بين الوالدين : فإذا كان الوئام هو طابع العلاقة بين الوالدين انعكس ذلك على طبيعة العلاقات داخل الأسرة كلها، ووفر جوا ملائما للنمو الاجتماعى. أما إذا كان العكس فإن المراهق يحرم من هذا الجو الطبيعى للنمو السليم .

* **حالات الانفصال بين الزوجين** : وسواء كان الانفصال كـاملا بـالطلاق أو جزئيـا كتعبير عن الخلاف فإن له أسـوأ الأثـر علـى النمـو الاجتمـاعى للأبنـاء. ويسـمى علماء الاجتماع هذه الأسرة "بالأسر المنهارة" Broken Houses ، ولا يمكـن أن تعطينا نشئاً رُبى تربية اجتماعية سليمة.

* **المستوى الاقتصـادى والاجتمـاعى للأسـرة** : وهـو متغير هـام لأنـه يؤثـر علـى ممارسات الأسرة الثقافية والاجتماعية والترفيهية. ومما لاشك فيـه أن المسـتوى الاقتصـادى والاجتمـاعى المرتفـع يوفـر للمراهـق خبـرات اجتماعيــة لا يعرفهــا نظيره الذى يعيش فى مستوى اقتصادى واجتماعى منخفض.

٤ ـ وبصفة عامة فإن المراهق يصطدم بوالديه فى بداية مرحلة المراهقة ويصـل ذروة الصدام بينه وبين والديه فى منتصف المراهقة. ويزداد الأمر سوءا لـو قابل الآباء تصرف الأبناء بالقسوة أو بالشدة أو بالعنف ولم يدركوا أن سلوك أبنائهم مظهر من مظاهر النمو سرعان ما يزول، وهو مـا يعرفـه كثير مـن الآباء المستنيرين، حتى ولو كانوا غير متعلمين ويحدث فـى نهايـة المراهقـة بالفعل ـ حينما تهدأ انفعـالات المراهـق ـ وتصـقل أبعـاد الحيـاة الاجتماعيـة ويتشرب الأنماط الثقافية، نجده حينئذ يقبل على أسرته ويفهم مالم يكن يفهمـه من قبل ويوافق على ما كان يعارضه، بل ويكـون عونـا لوالديـه فـى توجيـه إخوته الصغار وفى كافة المسئوليات الأخرى.

ب ـ المدرسة :

١ ـ تتميز المدرسة بأنها بيئة متسعة تختلف كليـة عـن البيئـة المنزليـة سـواء فـى عـدد أفرادهـا أو فـى وظيفتهـا أو فـى طبيعـة العلاقـات السـائدة فيهـا وقيمـة المدرسة أنها نمـوذج مصغـر للمجتمـع. فـالطفل يعيـش فـى المدرسـة وكأنـه يتمرن على ممارسة ألوان الحياة الاجتماعية حتى يكون مهيئاً لخوض الحيـاة الاجتماعية الحقيقية فى المجتمع. والمدرسـة فـى هـذا الوضـع كأنهـا حـوض للسباحة يتمرن فيه الناشئ على السباحة قبل أن يمارس رياضته فى البحر.

٢ ـ المدرسة تتيح ألوان مختلفة من الأنشطة منها الثقافى والاجتمـاعى والريـاضى بجانب المواقـف التعليميـة التقليديـة. وأمـام المراهـق هـذه الألـوان وعليـه أن يمارس ما يتفق مع ميولـه. ومـا يجـد نفسـه راغبـا فـى ممارسـته مـن ألـوان النشـاط ولهـذا النشـاط قيمـة تربويـة ونفسية كبيرة إذ يسـاعد المراهـق علـى

إعلاء دوافعه ويساعده على تـأكيد ذاتـه وعلـى اكتسـاب مزيـد مـن الخبرات الاجتماعيـة وغيرهـا. وهذه الأنشطة مـن أفضـل الوسـائل التـى ننمّـى بهـا شخصية المراهق.

٣ ـ من الوظائف الاجتماعية الهامة التى تيسرها البيئة المدرسية فى سـبيل تنمية المراهـق اجتماعيـا هـى وجـود المعلمين. والمعلم بالنسبة للمراهـق يـؤدى وظائف نفسية عدة. فهو فى المدرسة امتـداد لـدور الأب أو علـى الأقل الأخ الأكبر فى الأسرة. ولذا فهو قـد يتحدى المعلم باعتبـاره صـورة مـن الوالـد. ولكنـه قد يتخـذه كقدوة ومثـل أعلـى فـى السلوك والتفكير خاصـة إذا حـاز إعجابه، أو إذا كان المعلم من هؤلاء الذين يتفهمون دوافع المراهق وميولـه. ويتوحد المراهق مع معلمـه فـى المدرسـة كمـا توحـد مـع والـده فـى طفولتـه المبكـرة. وبتوحـد المراهـق مـع معلمـه يخطـو خطـوات واسـعة فـى سـبيل الاستقلال بشخصه عن والديه، وفض الروابط الوجدانية بينه وبينهما.

جـ ـ جماعة الرفاق :

١ ـ تتكون جماعة الرفاق من مجموعة من الأقران الزملاء المتقاربين فـى السـن وفى المستوى الدراسى غالبا، وفى الميول والاتجاهـات. ويربـط بينهم لذلـك مجموعة من الروابط العاطفية والاجتماعية وللجماعة نظامها وتقاليدها التـى اتفق عليه أعضاؤهـا. ويشـعر المراهـق بمسـئوليته تجـاه هـذه الجماعـة فهـى إطاره المرجعى فى كثير من الأمور.

٢ ـ تمـارس جماعـة الأقـران أنشـطتها معـا. وتحـرص الجماعـة علـى أن يكـون الأعضـاء جميعهـم موجوديـن فـى كـل نشـاط. ومـن الأنشـطة التـى تمارسـها الأنشـطة الرياضيـة والرحـلات وقـد تكـون هـذه الجماعـة علـى صلـة بـأحد المعلميـن فـى المدرسـة يتوسـمون فيـه التفـاهم لأهدافهـم ويتخذونـه مرشـداً وموجها، وقد لا يكون للجماعة أى اتصال بالكبار، بل وقد ينحـرف نشـاطها ويأخذ صوراً لا اجتماعية.

٣ ـ وتختار الجماعة أفرادها حسب معايير ترى أن لهـا الأولويـة. وهـى تتكـون أصلا حول فرد له صفات الزعامة مع بعض المقربين إليه ثـم يزداد عددهـا بانضمام بعض الرفاق إليهم. وأهم المعايير التى تختار الجماعة أفرادها على

أساسها، الولاء للجماعة، والإخلاص لأفرادها، والالتزام بما يتفق عليه أفرادها. فهى جماعة سيكولوجية قبل أى شئ آخر. وقد ترفض الجماعة كثير ممن لا ترى فيهم أهلا للانضمام إليها.

٤ ـ لجماعة الرفاق أهمية كبيرة بالنسبة للنمو الاجتماعى للمراهق، لأنه يمارس فى إطارها الحوار الاجتماعى وأساليب التفاعل الاجتماعى ويشعر فى ظلها بالانتماء إلى الجماعة والالتزام بمعايير حددتها جماعته وبالمسئولية الاجتماعية، وهذه الجماعة مالم تنحرف عن وظائفها النفسية والاجتماعية تسهم كثيراً فى نمو المراهق اجتماعيا.

د ـ وسائل الإعـلام

أجهزة الإعلام من الأدوات التى تؤثر فى الرأى العام. كما أن برامجها وعروضها وانتاجها يفترض أنها تعكس بدرجة ما الوضع الاجتماعى والثقافى السائد وأجهزة الإعلام تبث اتجاهات اجتماعية وعقلية، وقيمتها أنها تتسلل إلى بيوت الناس وعقولهم وتحاصرهم أينما ذهبوا، ولا تحتاج منهم أحيانا أن ينتقلوا إليها. كما أن لبعضها جاذبية خاصة كالسينما والتليفزيون والمسرح ويقبل عليها المراهقون بشغف. ومن ثم فأن لأجهزة الإعلام تأثير لا يستطيع أحد أن ينكره على تفكير المراهقين واتجاهاتهم. ولذا يجب أن تعمل هذه الأجهزة داخل الإطار الاجتماعى والثقافى للمجتمع، وتحت رقابة رشيدة لاتقيد عملية الإبداع الفنى، ولكن تمنع الإسفاف والتهريج، الذى يظهر أحيانا فى هذا المرفق الخطير، فقد تهدم إحدى المسرحيات فى ساعات قليلة ما تحاول أن ترسخه أجهزة التعليم فى نفوس الشباب فى سنوات.

رابعاً : خصائص مرحلة المراهقة من الوجهة الاجتماعية

تتميز مرحلة المراهقة من الوجهة الاجتماعية بالخصائص والمميزات الآتية:

١ ـ مرحلة المراهقة التى يبحث فيها المراهق عن نفسه أو عن ذاته وتنتهى بالنسبه له عندما يحدد موقفه فى الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه ولذا تقتصر فترة المراهقة فى المجتمعات البدائية والريفية لأن المراهق يجد نفسه اجتماعيا بمجرد أن يصل سن البلوغ حيث يعترف به الكبار عضو فى

مجتمعهم ويكون قادراً على كسب عيشه، كما يتزوج وينشئ أسرة. بينما تطول هذه الفترة فى المجتمعات الحديثة حيث يتعين على المراهق أن ينتظر – حتى يحصل على هذا الاعتراف من جانب المجتمع به كعضو كامل العضوية – مدة لا تقل عن عشر سنوات بعد نضجه الجنسى.

٢ – مرحلة المراهقة هى المرحلة التى يكتسب فيها المراهق الاتجاهات الاجتماعية المتعلقة بكافة نواحى الحياة كما أنها المرحلة التى تتحدد فيها قيم المراهق بعد الخبرات التى يمر بها. ويرتب المراهق هذه القيم ترتيباً يعكس ثقافته وميوله. وهذه الخبرات وتلك القيم لا تتجاور كمتراكمات، ولكنها تتكامل معا فى فلسفة للحياة يحاول أن يتبناها المراهق وتكون له كالبوصلة التى توجه سلوكه الاجتماعى. ولكن هذه العملية لا تتم إلا فى نهاية المرحلة والمراهق على مشارف الرشد، بل إنها من علامات الرشد الأساسية.

٣ – مرحلة المراهقة هى المرحلة التى يحدث فيها الفطام النفسى للمراهق ويقصد بالفطام النفسى وصول الفرد إلى درجة من النضج تسمح له بالاعتماد على نفسه والانفصال بالتالى عن والديه، فكما أن الفطام الذى يحدث فى عام الطفل الأول يجعله يعتمد على نفسه فى تناول طعامه إلى حد كبير يحدث الفطام النفسى فى المراهقة الذى يجعل المراهق مهيئا لتنظيم شئونه بنفسه، ولا يحتاج لوالديه إلا للمشورة بينما يتحمل هو كامل مسئوليته.

٤ – العلاقات التى يعقدها المراهق مع أصدقائه دائمة إلى حد كبير، وليست كالعلاقات التى يقيمها الطفل فى المدرسة الابتدائية حيث تجده يصادق زميلة فى الفصل أو جاره فى المسكن، فإذا انتقل إلى فصل آخر أو إلى سكن جديد نسى زميله. أما المراهق فإنه عندما يعقد صداقة مع زميل له فإنه يحاول الاحتفاظ بها، بل ويكون مستعداً للتضحية من أجل صديقه ويأسف جداً إذا قطعت علاقته به.

٥ – تتبدى روح المسئولية الاجتماعية فى سلوك المراهق. فهو عندما ينضم إلى جمعيات النشاط الاجتماعى والخدمات العامة فهو يعكس روح المسئولية التى يتحلى بها كما تظهر هذه الروح فى استعداد المراهق لتقديم الخدمة التى يستطيعها لمن يحتاجها من أصدقائه أو جيرانه أو معارفه.

٦ ـ الفروق الأساسية بين الجنسين فى النمو الاجتماعى تظهر فى حرص البنات واهتمامهن بموضوع الزواج أكثر من البنين. كذلك تكون البنات أكثر مسايرة من البنين للنظام والقواعد والقوانين، وهن أيضاً أكثر تعلقاً بمدرسيهن.

خامساً : الشعور الدينى فى مرحلة المراهقة

يمكن تلخيص أهم ملامح الشعور الدينى خلال مرحلة المراهقة فيما يأتى:

١ ـ ما إن تبدأ مرحلة المراهقة حتى يبدأ المراهق نتيجة تفتحه العقلى وثورته الانفعالية فى مراجعة عامة شاملة لكل الجوانب الدينية من مفاهيم وشعائر ويبدأ فى تسليط أضواء النقد على المفاهيم والمسلّمات التى كان يقبلها من قبل.

٢ ـ يحدث نتيجة لهذه المراجعة أن تهتز ثقة بعض المراهقين فى عدد من المفاهيم الدينية مثل الآخرة والثواب والعقاب والأنبياء ورسالاتهم. ويحدث هذا الشك فى بداية المرحلة، ويبدأ بانقطاع المراهق عن أداء الشعائر ثم يمتد الشك إلى المعتقدات نفسها.

٣ ـ هذا التنبه إلى المعتقدات الدينية والتفكير فيها تسمى "باليقظة الدينية" ومن عوامل اليقظة الدينية التى يمر بها المراهق اكتشافه للحجم الهائل الذى يحتله الدين فى تفكير الناس وفى توجيه سلوكهم وفى مدى سيطرة مفاهيم الدين على المفاهيم الاجتماعية وأساليب التعامل بين الناس. ولأن تأثير الدين يمتد إلى أعماق نفسه ممثلاً فى "الأنا الأعلى" الذى يقف حائلاً بينه وبين أن يأتى أمراً يغضب الله والناس. ويكتشف المراهق أنه يحيط بأعنف دوافعه وأسلوب إشباعه هالة من التحريم والتقديس. والتحريم يتم على أساس التعاليم الدينية والتقديس يشير إلى أن السبيل الوحيد إلى الإشباع يتم فقط فى الإطار الاجتماعى المشروع وهو الزواج، وهو يحاط بالتقديس لأن تعاليم الدين تباركه.

٤ ـ تبلغ اليقظة الدينية أوجها فى سن السادسة عشرة. وهذه اليقظة قد تأخذ طابع الحماس الدينى الذى قد يصل إلى درجات الهوس والانسحاب شبه الكلى من الحياة للتفرغ للعبادة وهو ما نجده عند بعض الراشدين وما نجده عند المتصوفة حيث تتلون حياتهم كلها باللون الدينى ويفكرون فى الذات الآلهية

إلى درجة الذوبان فيها. وقد تأخذ هذه اليقظة الطابع العكسى طابع الشك، والذى قد يصل إلى مجاهرة المراهق بالإلحاد. وكلا المظهرين الحماس الدينى والشك الدينى فى بعض جوانبهما ـ عند بعض العلماء ـ هو رد فعل لعنف الدفعات الجنسية عند المراهق وللصعوبات التى يقابلونها فى عملية التكيف الفردى أو التكيف الاجتماعى. فالحماس نوع من الالتجاء إلى الدين طلباً لحمايته والبحث عن المخرج فى محرابه، والشك نوع من إعلان عدم الرضا والضيق من الدين الذى يتصور أنه يقف حائلاً بينه وبين إشباع دوافعه.

٥ ـ وفى أواخر مرحلة المراهقة تختفى مظاهر التطرف الدينى ليحل محلها نوع من التقييم الموضوعى الهادئ للدين ولموضوعاته. ويشعر المراهق الذى كان شاكا بإحساس الذنب. ولا يجد المراهق تناقضا بين الإرادة الإلهية والثواب والعقاب أو بين الطبيعة البشرية وفضائل الخير والفضيلة، ولا تعود الحوادث والمواقف الشخصية تؤثر على حكمه على الدين. ومن مظاهر هذا الاستقرار الدينى، أو الإيمان الدينى المستقر:

* النظرة إلى المشكلات الدينية نظرة أكثر واقعية وتقديره للكون، وتأمله فى الجوانب العقلية والفكرية فى الدين.
* تحول شعور الخوف والرهبة عنده من العقاب الدينى إلى درجة من الثقة فى رحمة الله وفى عدالته.
* شعور التسامح الذى يبديه إزاء الأديان الأخرى وأتباعها. وأن الدعوة للدين تكون بالتى هى أحسن "ولكم دينكم ولى دين".

٦ ـ هناك بعض الفروق بين الجنسين فيما يتعلق بالشعور الدينى، فنجد أن الفتيات وإن كن أحيانا أقل ممارسة للشعائر الدينية من الفتيان فهن أعمق حسا من الناحية الدينية. وتقل جداً ظاهرة الشك الدينى بينهن إذا قورن بالبنين وقد صنف المليجى (عبد المنعم المليجى: تطور الشعو الدينى عند الطفل والمراهق. القاهرة. دار المعارف ١٩٥٥) الشعور الدينى عند الطفل والمراهق إلى الاتجاهات الدينية الآتية عند الجنسين:

الاتجـــاه	بنـــــون	بنــــات
الإيمان التقليدى	٥٠ ٪	٦١ ٪
الحماس الدينى	٢٥ ٪	٢٦ ٪
الشـــــــك	٢٤ ٪	١٣ ٪
الالحـــــاد	١ ٪	ــ ٪

سادساً : النمو الخلقى فى المراهقة :

الخلق هو التنظيم المستقر والثابت نسبيا من العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا. والسلوك الخلقى تبعا لذلك هو نمط السلوك الذى تحدده قواعد الخلق والمعايير الاجتماعية التى يدين بها المجتمع. وانتهى بعض الباحثين إلى أن مكونات الخلق تشمل الولاء للجماعة والفرد والشجاعة الأدبية والأمانة الأدبية والمالية وتحمل المسئولية والمودة والصداقة والإخاء. وتبدو هذه الصفات ذات ارتباط عال موجب بينها. وهو ما تعززه المشاهدات اليومية العادية لسلوك الناس مما يؤكد وحدة الخلق.

والنمو الخلقى عند المراهق يتسع ويشمل أفقا أرحب مما نجده عند الطفل. فإذا كان ولاء الطفل هو للأسرة ومعاييرها الاجتماعية وقيمها الخلقية، فإن المراهق يخرج من هذا الإطار ليدين بالولاء لقيم المجتمع حتى ولو تعارضت مع قيم الأسرة، وتكتسب نظرته للأمور طابعاً مثالياً. ولذا نجد عند المراهق استعداد للخدمة والتضحية وروح المسئولية. وقد يتسع مجال النمو الخلقى فى الرشد فيما بعد عند بعض الأفراد ليشمل الإنسانية كلها.

وينتهى الباحثون إلى أن العوامل التى تؤثر فى النمو الخلقى عند المراهق تتلخص فى العوامل الآتية:

١ ـ الثواب والعقاب :

كما يواجهه المراهق فى الأسرة والمدرسة ومن جماعة الرفاق وفى المجتمع عامة، حيث يثاب عن السلوك الخلقى ويعاقب على السلوك اللاخلقى. والثواب والعقاب هنا ليست له صورة واحدة. وإنما يتمثل الثواب فى الاستحسان بكل صوره كما يتمثل العقاب فى الاستهجان بكل صوره.

٢ ـ التقليــد :

وهو عامل هام أيضاً، بحيث يقلد الطفل أبواه في سلوكهم الخلقي في المنزل ثم يلتحق بالمدرسة فيقلد مدرسيه، ثم يقلد من يعجب بهم من رفاقه الكبار، أو من الشخصيات التي يتعرف عليها، أو من الشخصيات العامة. وهنا يبدو أثر البيئة والقدوة الحسنة أمام المراهقين في تشكيل خلقه.

٣ ـ التأمــل :

وهو تأمل الفرد الخاص للأمور الخلقية وتقييمه الشخصي لسلوكه ولسلوك الآخرين في ضوء التعاليم الخلقية والمبادئ المتعارف عليها بين أفراد المجتمع وفي ضوء النتائج التي يراها أمامه.

سابعاً : رعاية النمو الاجتماعي

١ ـ تشجيع المراهق على الاشتراك اشتراكاً إيجابيا في مختلف أوجه الحياة الاجتماعية سواء في الأسرة أو في المدرسة أو في المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وذلك بتوعيته بالأسلوب الصحيح الذي يتبع في المناسبات المختلفة والهدف من هذه المناسبات والوظائف الاجتماعية التي تؤديها.

٢ ـ كلما كان الجو الأسرى جوا ديموقراطيا يسوده التفاهم والتفهم والرعاية بعيداً عن التسلط والتحكم، هيأ ذلك الجو المناسب للتربية الاجتماعيه الصحيحة للمراهق حيث يتعود على إبداء رأيه وعلى الاستماع إلى آراء الآخرين واحترامها، وعلى عدم التشبث بالرأى وأن الرأى السائد هو رأى الأغلبية.

٣ ـ يجب ترك الحرية للمراهق في اختيار أصدقائه على أن يتم توجيهه في هذا المجال. فيمكن تبصيره بالصفات التي يحسن توافرها في الصديق، وإفهامه أن رغبته في الصداقة لا ينبغي أن تدفعه إلى مصادقة كل من يعرض له، على أن نترك له حرية التصرف بعد ذلك. هذا الأسلوب في المعاملة لا يجعل المراهق يعاند أو يكذب على أهله.

٤ ـ مثلما نحاول أن نقضي أو نخفف من صفة العناد عند المراهق فإننا نريد أيضاً أن يكوّن لنفسه شخصية مستقلة بمعنى أن يكون له آراؤه التي يصل إليها بعد اقتناع وليس عن طريق الانصياع للآخرين كالأصدقاء، أو تبنيا لآراء معاكسة لآراء الوالدين، وأن يدافع عن وجهة نظره على أن يكون لديه

الاستعداد للتخلى عنها إذا اقنعه أحد بذلك. ونعنى بذلك أننا نريد للمراهق أن يكون ذا شخصية متزنة واثقة لا أن يكون إمّعة ومسايراً للآخرين. وتحتاج تنمية هذه الشخصية لدى المراهق إلى قاعدة من الاتزان الانفعالى والقدوة الطيبة عند المراهق والوالدين معاً.

٥ ـ من الأهداف التربوية المرغوبة تنمية القدرات القيادية عند شبابنا. ويتأتى ذلك عن طريق اكتشاف القدرات القيادية عند المراهقين فى المدرستين الإعدادية والثانوية بملاحظتهم فى المواقف المختلفة داخل الفصل وخارجه وخارج المدرسة أيضاً. وبعد تحديد العناصر التى لديها استعداد للقيادة يمكن تنمية هذه الاستعدادات بإسناد بعض المهام القيادية إليهم، مع توجيههم فى أسلوب قيامهم بهذه المهام. على أن يعرفوا أن القيادة هى وضع إمكانيات الفرد فى خدمة تنسيق وتنظيم جهود الآخرين لتحقيق هدف ما. وتتضمن القيادة الرشيدة قدراً كبيراً من الإيثار وإنكار الذات وليست تسلطا وتحكما فى الآخرين، بل إن القائد يعطى للمجموعة أكثر مما يأخذ منها.

٦ ـ وليس الأفراد القياديين فقط هم الذين عليهم أن يتعودوا تحمل المسئولية بل إن ذلك مطلب تربوى أساسى لجميع المراهقين كجزء من إعدادهم للحياة الاجتماعية. ونقصد هنا بالمسئولية الجانب الفردى الخاص بالفرد والمتعلق بمسئوليته الخاصة عن شئونه الشخصية والجانب الاجتماعى الخاص بالمجتمع والمتعلق بمسئوليته إزاء أفراد أسرته وإزاء جيرانه وإزاء بيئته ومجتمعه بصفة عامة. وتشمل المسئولية الاجتماعية، بمعنى أن يكون المراهق على استعداد لمعرفة مشكلات بيئته ولديه الرغبة والاقتناع فى المشاركة فى الجهود المبذولة لحلها. ويكون المراهق على استعداد لتحمل المسئولية الاجتماعية فى النصف الثانى من المراهقة.

٧ ـ يوشك المراهق فى نهاية المرحلة على الدخول فى الحياة الاجتماعية ويكون حينئذ قد كون عدداً من الاتجاهات الاجتماعية والعقلية واكتسب عددا من القيم الخلقية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. كما يكون قد تأثر بعدد من الكبار الذين قابلهم أو سمع عنهم أو قرأ لهم. كل هذه الاتجاهات والقيم والتوحدات تعتّبر دوافع ومثيرات للسلوك، ولكنه لكى يكون لها جدو ى، وحتى تساعد فى بناء شخصية متكاملة، وتمكن هذه الشخصية من التكيف فى المجتمع لابد لها أن تنصهر فى بوتقة واحدة وتخرج على شكل

فلسفة للحياة. ولابد لكل شخصية سوية متزنة أن يكون لها فلسفة فى الحياة، لأنها تكون فى هذه الحالة ـ أى الفلسفة بمثابة البوصلة التى توجه الفرد فى خضم الحياة العالى، ووسط الأمواج المتلاطمة فى حياتنا الحديثة. وقمة الرعاية الاجتماعية التى يمكن أن نوفرها للمراهق أن نساعده على تكوين هذه الفلسفة. وهذا لا يعنى أن نفرض عليه فلسفة جاهزة نؤمن بها، وإنما يعنى أن نتيح له الفرصة لكى يختار لنفسه وأن يكوّن فلسفة خاصة به. وبالطبع فإن المراهقين سيختلفون فى فلسفاتهم لأن كلاً منهم سيتأثر بالخبرات التى مر بها وموقفه الاجتماعى والاقتصادى ودرجة ثقافته. والمدرسة بجمعياتها الثقافية والاجتماعية والعلمية خير مكان يمكن أن يبنى المراهق لنفسه فيه فلسفة للحياة. على أن يكون المشرفون على هذه الجمعيات متصفين بصفات الديمقراطية وسعة الأفق والثقافة الواسعة وأن يكون قبل هذا لكل منهم فلسفة خاصة به.

خاتمـــــة

فى التحول من المراهقة إلى الرشد

لايكاد علماء النفس يختلفون فى تحديد بداية المراهقـة، ولكنهم يختلفـون فـى تحديد نهايتهـا كمـا سبق أن ذكرنـا، وذلك لأن دلالات النضـج العقلـى والانفعـالى والاجتماعى ليست واضحة، كما أن متغيرات اجتماعية ليست ثابتة تتدخل فى تحديد نهاية هذه المرحلة

فالمراهق يحقق النضج العضوى فى الثامنة عشرة مثلا، كما يحقق فى نفس السن تقريبا النضج العقلى. ولكن الأمر ليس بهذه البسـاطة لأن التحـول إلـى الرشـد لا يتم بالنضج العضوى والنضـج العقلـى، ولكـن أيضـاً بـالنضج الانفعـالى والنضـج الاجتماعى، وهما المظهران اللذان يتأخر نضجهما مما يؤخر انتهاء فـترة المراهقـة وليس ذلك فقط، بل إن تأخر النضج الانفعالى والاجتماعى يؤثر أيضاً علـى اكتمـال النضج العقلى وأدائه لوظائفه كاملة فى الحياة والمجتمع، ونوضح ذلك فيما يلى :

إذا كان المراهق يستطيع أن يمارس كـل أنـواع التفكير الاستدلالى والنقدى والابتكـارى فـإن الاضطـراب الوجدانـى لازال يشـوش عليـه هـذا التفكير ويوجهــه وجهات خاصة، أهمها أنه يجعل تفكير المراهق ـ رغم نضجـه ـ منحصـراً داخـل نفسه أكثر مما هو موجه إلى الخارج، وتشوبه لذلـك نزعـه غير قليلـة مـن التحيز. ويصعـب أن يتجـه التفكير إلـى الخـارج مـالم يحصـل المراهـق علـى الاسـتقرار الانفعالى، حيث تخلو نفسه من الصراعات والتوترات التى كانت تجذب انتباهه إلـى داخل نفسه. وبوصول المراهق إلى درجة طيبة من الثبات الانفعالى تتوجه العمليات العقلية لخدمة تكيفه فى الوسط الـذى يعيش فيـه، فيصبـح الخيـال واقعيـاً فـى خدمـة أهداف الفرد وحل مشاكله بعد أن كان خيالاً جامحا، وينصب الانتبـاه علـى الأمـور التى يقابلها المراهق فى حياته، ويتحول التفكير إلى البحث عن أفضل السبل لتحقيق أهـداف المراهـق فـى الإطـار الاجتمـاعى حيـث يكـون مواطنـا نافعـاً لنفســه ونافعاً للآخرين.

وهكذا يبدو لنا أن الاتزان الانفعالى هو الفيصل فـى عمليـة النضـج الشـامل، وبالتالى الانتقال من المراهقة ـ مرحلة التحول من الطفولة إلى الرشد ـ إلى مرحلة الرشد فعلاً. وهذا الاتزان الانفعالى يعتمد بدوره على عدة عوامل: منهـا مـا يتحقـق

فى أثناء المرحلة مثل رغبة المراهق فى أن يعامل معاملـة الشـخص الكبـير، ومثـل رغبته فى تحقيق الاستقلال عن والديه واتخاذ قراراته الخاصة بنفسه وقدرتـه علـى تحمل مسئوليته الخاصة، ومن هذه العوامـل أيضـاً تواضـع آمـال المراهـق وأهدافـه حتى تتناسب مع إمكانياته العقلية والاجتماعية والاقتصادية. ولكن من العوامل ما لا يتحقق له بسرعة مثل الإشباع الجنسى الذى يتأخر كثيراً.

وإذا كان انتهاء المراهق من دراسته والتحاقه بـالعمل يمكنـه مـن الحصـول على الاعتراف الاجتماعى به، ويصنع له مكانة اجتماعية لم تكن له مـن قبـل، فـإن الأهلية الاجتماعية الكاملة لا يحصل عليها المراهق إلا عند الـزواج وتكويـن أسـرة وهو ما يتأخر فى ظروف المجتمع الحديث، وبالتالى يكون المراهق مؤهلاً للدخـول فى مرحلة الرشـد، ولكـن تنقصـه هـذه الخطـوة التـى تكمـل اتزانـه الفـردى واتزانـه الاجتماعى. ولا يعنى هذا بالطبع أن الفرد لكى يحقق رشده لابـد أن يـتزوج، ولكـن يعنى أن العضوية الاجتماعية الكاملة فى المجتمع رهن بتكوين الأسرة.

وهكذا يتضح لنا أن المراهق عندما يحقق اتزانـه الانفعـالى فهـو يسـتطيع أن يتكيف مع المجتمع وهى آخر مظاهر الانتقال مـن المراهقـة إلـى الرشد، ويسـتطيع حينئذ أن يعيش مع نفسه ـ وبالتالى مع المجتمع ـ فى وئـام.

و الحمد من قبل ومن بعد

هذا الكتاب

لقد أدركت القيادة السياسية في مصر أهمية مرحلة الطفولة فخصصت عقد التسعينيات عقداً للطفل المصري لتحشد فيه كل الجهود وتسخر كل الإمكانيات بهدف توفير أفضل تنشئة لهذا الطفل. وانتهزت الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل هذه المناسبة واتفقت مع دار قباء لنشر سلسلة في الثقافة النفسية حول الطفل المصري ورعاية نموه. وهذا الكتاب الذي بين يديك ـ قارئي العزيز ـ يتضمن التغيرات النمائية للطفل منذ الميلاد وحتى سن الثامنة عشرة حسب قانون الطفل المصري، كما يتضمن الكتاب الخطوط العريضة والتوجيهات العملية والتطبيقية التي تكفل حسن رعاية الطفل المصري، ليأخذ مكانه بين أطفال العالم المتقدم.

عبده غريب